

بسم الله الرحمن الرحيم

زاد المسلم والداعية

د. محمد حيدر الخير الطيب

أستاذ مساعد كلية التربية

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان

218.7 محمد حيدر الحبر الطيب ، 1981-

م.ح.ز

زاد المسلم والداعية / محمد حيدر الحبر الطيب -

ط.١ - الخرطوم

- م.ح. الحبر، 2019

ردمك 978-99942-1-798-4

1. الإسلام - دعوة

رقم الإيداع (2018/553)

مقدمة :

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من احتباه من عبیده فجعله من المقربين الأبرار، وبصر من أحبه فزهدهم في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهب لدار القرار، واجتنب ما يسخطه والحذر من عذاب النار، وأخذوا أنفسهم بالجد في طاعته، وملازمة ذكره بالعشي والإبكار، وعند تغاير الأحوال وجميع آناء الليل والنهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار.

أحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم، الواحد الصمد العزيز الحكيم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وحببيه وخليله، أفضل المخلوقين، وأكرم السابقين واللاحقين، وصلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين، وآل كل وسائر الصالحين، أما بعد :

فإن الله أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم برسالة خالدة صالحة لكل زمان ومكان وأمره أن يبلغ هذه الرسالة إلى أمته فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٧] فقام صلى الله عليه وسلم بعون الله وتوفيقه بتبليغ تلك الرسالة وأداء الأمانة على أكمل وجه وأبلغه مستعملا في ذلك جميع وسائل التبليغ الراتبة والطارئة، وسار على نهجه دعاة الحق في كل زمان ومكان من الخلفاء والولاة والوعاظ وأهل العلم إلى وقتنا هذا. إن تزكية النفوس من أعظم أمور الدين، وأجل خصاله، حيث اهتم شيوخنا وعلماءنا الأجلاء بذلك علماً وعملاً، فالاستقامة ملازمة للإيمان الباطن، وصلاح الظاهر ناشئ عن صلاح الباطن، وكذا العكس.

ومع شدة الحاجة إلى التذكرة والاستقامة والالتزام بتعاليم الدين علماً وعملاً، لأجل ذلك رغبت أن أسهم في خدمة هذا الجانب، فيسر الله تعالى بمنه وتوفيقه جمع هذا الكتاب

وإعداده ، وأسميته زاد المسلم والداعية ، ثم عرضته على والدي (وقد تعلمت عليه بعض أبواب الفقه والتجويد) فكان لتحكيمه من حيث الحذف والتعديل والتوجيه بالإضافة الفضل في إخراج الكتاب بهذه الصورة فجزاه الله عني خيرا ، وقد حرصت بألا أورد ولا أستدل بحديثا ضعيفا في هذا الكتاب ، وقد بقيت لموضوع الكتاب بواق جديدة بالكتابة، فالأمل أن تتواصل متابعة ذلك واستكمالها في إصدار آخر أو أكثر إن شاء الله تعالى .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم أما بعد :

الإسلام دين الكمال والشمولية:

إن الإسلام دين الكمال والشمول جاء الإسلام بما يحتاج إليه البشر في دينهم وديانهم
وفي عباداتهم ومعاملاتهم وفي شتى المجالات ومختلف نواحي الحياة فهو منبج للحياة البشرية
بكل مقوماتها وقد اشتمل على المبادئ الراقية والأخلاق والنظم العادلة والأسس الكاملة
ولذلك فالعالم البشري مفتقر بأجمعه إلى أن يأوي إلى ظله الظليل ذلك لأنه المبدأ النافع
للإنس في حل المشكلات الحربية والاقتصادية والسياسية وجميع مشكلات الحياة التي لا
تعيش الأمم عيشة سعيدة بدون حلها فعقائده أصح العقائد وأصلحها للقلوب والأرواح
ويهدي إلى أحسن الأخلاق فما من خلق فاضل إلا أمر به ولا خلق سيئ إلا نهى عنه لهذا
كانت القاعدة الكبرى لهذا الدين رعاية المصالح كلها ودفع المفساد فهو يسائر الحياة وركب
الحضارة فيأمر بطلب الأرزاق من جميع طرقها النافعة المباحة من تجارة وصناعة وزراعة
وأعمال متنوعة ولم يحرم إلا الأسباب بالضرارة التي تحتوي على ظلم وجور وبغي وعدوان
وذلك من محاسنه وفيه الأمر بأخذ الحذر من الأعداء وتوقي شرورهم بكل وسيلة وقد حث
على الاجتماع والاتلاف الذي هو الركن الأصيل للتعاون والتضامن والتكافل على المصالح
ومنافع الدين والدنيا ونهى عن الاختلاف والافتراق قال تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣] [سورة آل عمران: من الآية ١٠٣] ، وفيه الإرشاد
إلى جميع طرق العدل والرحمة المتنوعة وفيه الحث على الوفاء بالعقود والعهود والمواثيق
والمعاملات التي بها قوام العباد وفيه الأمر بإقامة العدل على النفس والقريب والبعيد والعدو
والصديق {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ} [النساء: ١٣٥] [سورة النساء: من الآية ١٣٥] ، وفيه الحث على

الأخذ على أيدي السفهاء والجرمين حسب ما يناسب جرائمهم وردعهم بالعقوبات والحدود المانعة والمخففة للجرائم وبذلك حفظ على الناس نفوسهم واحترمها فأوجب القصاص على من قتل مسلماً متعمداً ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] [سورة البقرة: آية ١٧٩] ، واحترم أموال الغير فأوجب قطع يد من سرق ثلاثة دراهم فأكثر ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨] [سورة المائدة: من الآية ٣٨] ، واحترم الأعراس عن القذف فأوجب ثمانين جلدة على من قذف مسلماً من غير بينة ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] [سورة النور: من الآية ٤] ، واحترم الأنساب وحفظ الفروج فأوجب رجم الزاني المحصن حتى يموت وجلد من لم يحصن مائة جلدة مع تغريبه عاما عن بلده ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢] [سورة النور: من الآية ٢] ، واحترم العقول فحرم الخمر وكل مسكر وسماها أم الخبائث وأوجب الحد في هذه الحدود على الغني والفقير والشريف والوضيع، وقد أوجد الله الثقلين لعبادته الجامعة لمعرفته والتقرب إليه بكل قول وعمل أو منفعة وخلق لهم ما في الكون مسخرالجميع مصالحهم وأمرهم أن يستحصلوا هذه النعم بكل وسيلة وأن يستعينوا بها على طاعته فمن الغلط الفاحش بعد هذا أن يعرض المسلمون عن تحكيم هذا الدين الذي هو غاية في الكمال والشمول والخلود والبقاء. . ثم يستمدون نظمهم من النظم الأجنبية والقوانين الوضعية وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] [سورة المائدة: من الآية ٤٤] ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] [سورة المائدة: من الآية ٤٥] ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] [سورة المائدة: من الآية ٤٧] ، ومن احتج بما يرى من حالة المسلمين اليوم وتأخرهم عن مجارة الأمم في المخترعات وسائر مرافق الحياة فقد غلط وأخطأ في احتجاجه

لأن المسلمين لم يقوموا حق القيام بما دعا إليه هذا الدين ولم يُحكّموه في جميع أمورهم الدينية والدنيوية واكتفوا بالاسم عن المسمى وباللفظ عن المعنى والواجب أن ينظروا في تعاليم هذا الدين وتوجيهاته وسننه ودعوته لجميع البشر إلى ما فيه خيرهما المتنوع. وكما أن هذا الدين هو الصلة بين العباد وبين ربهم يتقربون به إليه وبه يغدق عليهم خيرات الدنيا والآخرة فإنه الصلة بين العباد بعضهم بعضا تقوم به حياتهم وتنحل به مشكلاتهم السياسية والاقتصادية والمالية وكل حل بغيره فإن ضرره أكثر من نفعه وشره أعظم من خيره فإن الدين يهدي للتي هي أقوم وبه يتم النشاط الحيوي ويستمد كل واحد من الآخر مادة الدين والحياة، لا كما يزعمه أعداء الإسلام أن الدين مؤخر ومخدر لمواد الحياة: { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا } [الكهف: ٥] [سورة الكهف: من الآية ٥] ، فالإسلام هو الدين الكامل الشامل لعموم الخلق وعموم المصالح وكما أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة إنسهم وجنهم فكذلك دينه قد تكفل بإصلاح أحوال الخلق إصلاحا روحيا وماديا وبه تم الكمال وحصل، وضمن لمن قام به الحياة الطيبة من كل وجه ، والعبادات ليست محصورة في الصلاة والزكاة والصوم والحج بل جميع الأعمال التي يتوسل بها إلى القيام بواجبات النفس والعوائل والمجتمع الإنساني فهي عبادة فالنفقات الخاصة والعامّة عبادة والصناعات التي تعين على قيام الدين ودفع المعتدين من أفضل العبادات، والتطورات التي فيها نفع للعباد والتي لا تزال تتجدد في الحياة والمجتمع قد وضع لها هذا الدين قواعد وأساسا يتمكن العارف بالدين وبالواقع من تطبيقها مهما كثرت وعظمت وتغيرت بها الأحوال وهذا من كمال الدين، أما غيره من النظم والأسس فإنها وإن عظمت واستحسنّت فإنها لا تبقى زمنا طويلا بل تختلف باختلاف التطورات وكثرة التغيرات لأنها من صنع البشر المخلوقين الناقصين في علمهم وحكمتهم وجميع صفاتهم { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ } [المائدة: ٥٠] [سورة المائدة: آية ٥٠] .

وصلي اللهم وسلم على حبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عقيدة المسلم :

الحمد لله حمد كثيرا طيبا مباركا فيه والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

عقيدة المسلم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وهو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان وهو يحمل من اتصف به على فعل الحميل وترك القبيح، والحميل ما أمر الله به ورسوله والقبيح ما نهى الله عنه ورسوله، فكل طاعة لله فهي من شعب الإيمان. وأصوله ستة:

(١) الإيمان بالله تعالى بأنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، والإيمان بأمره ونهيهِ ووعده ووعيدهِ وثوابهِ وعقابه وعلمه المحيط بكل شيء وقدرته على كل شيء، والإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأهتعالى يرانا ويسمعنا ويعلم سرنا وعلايتنا قال تعالى في سورة الحديد من الآية (٤) : { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الحديد: ٤] لا إله غيره ولا رب سواه. والإيمان به تعالى يستلزم محبته وخوفه ورجاءه وطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٢) الإيمان بملائكته الكرام البررة عموما، وخصوصا (جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت) ومع كل إنسان أربعة ملائكة لا يفارقونه اثنان يكتبان الحسنات والسيئات واثنان يجرسانه من الآفات. وملائكة موكلون بإعداد الجنة لأهلها. وملائكة موكلون بإيقاد النار وتعذيب أهلها، قال تعالى في سورة التحريم من الآية (٦) : { عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم: ٦] وليس في السماوات السبع

موضع قدم ولا كف ولا شبر إلا وفيه ملك قائم أو ملك راعع أو ملك ساجد لله تعالى
{ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } [الأنبياء: ٢٠] [سورة الأنبياء: آية ٢٠] .

(٣) الإيمان بكتب الله المتزلة على الأنبياء والمرسلين كالنوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الكتب السماوية والمهيمن عليها وناسخها وفيه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وشفاء لما في الصدور {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] [سورة فصلت: آية ٤٢] ، ومن لازم الإيمان به تلاوته وتدبره والعمل به فما آمن بالقرآن من استحل محارمه.

(٤) الإيمان بأنبياء الله، الرسل منهم (٣١٣) وأولو العزم منهم (٥) هم: (نوح، وإبراهيم الخليل، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم) (١) وأول الرسل نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن لازم الإيمان به محبته وتصديقه وامتناله أمره واجتناب نهيه وتحكيم شرعه والعمل بسنته قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» قال النووي حديث صحيح.

(٥) الإيمان بالقدر خيره وشره وأن الله تعالى علم أعمال عباده ومقادير خلقه قبل أن يخلقهم وكتب ذلك في اللوح المحفوظ وشاءها منهم وخلقها وأوجدها في أوقاتها المحددة بلا تقدم ولا تأخر فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه رفعت الأقلام وجفت الصحف {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام: ١١٥] [سورة الأنعام: آية ١١٥] .

(٦) الإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه الإيمان بأشراط الساعة: كخروج الدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ثم الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ثم الإيمان بالبعث بعد الموت والجزاء والحساب والثواب والعقاب والحوض والميزان والصراف

والجنة والنار وذبح الموت بينهما ثم الخلود الدائم في نعيم أو عذاب، فيقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت فاحتر لنفسك أي المتزلتين ما دمت على قيد الحياة.

أركان الإسلام

أركان الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «بني الإسلام على خمس»: ١ - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (لا معبود بحق إلا الله، ومحمد مبلغ عن الله).

٢ - وإقام الصلاة: (أداؤها بأركانها وشروطها والخشوع فيها) .

٣ - وإيتاء الزكاة: (إذا ملك المسلم ٨٥ غراما ذهباً أو ما يعادلها من النقود يدفع منها ٢. ٥ في المئة بعد سنة، وغير النقود لها مقدار معين) .

٤ - وحج البيت (من استطاع إليه سبيلا بالمال والصحة والأمن) .

٥ - وصوم رمضان: (الامتناع عن الطعام والشراب، وشهوة الفرج وجميع المفطرات، من الفجر حتى الغروب مع النية) " متفق عليه " .

مبطلات الإسلام:

مبطلات الإسلام إن للإسلام مبطلات إذا فعل المسلم واحدا منها فقد فعل الشرك الذي يحبط العمل، ويُخلد في النار، ولا يغفره الله إلا بتوبة.

١ - دعاء غير الله: كدعاء الأنبياء أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين لقوله الله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [يونس: ١٠٦] (أي المشركين) " سورة يونس " آية ١٠٦ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار» (الند: المثل والشريك) رواه البخاري.

٢ - اشتهزاز القلب من توحيد الله، ونفوره من دعائه والاستغاثة به وحده، وانسراح القلب عند دعاء الرسل أو الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين، وطلب المعونة منهم لتوليه تعالى عن المشركين: { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [الزمر: ٤٥] (اشمأزت: نفرت) " سورة الزمر " آية ٤٥ .

٣ - الذبح لرسول أو ولي لقوله تعالى: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ } [الكوثر: ٢] (أي صل لربك واذبح له) " سورة الكوثر " آية ٢ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من ذبح لغير الله» رواه مسلم .

٤ - النذر لمخلوق على سبيل التقرب والعبادة له، وهي لله وحده. قال الله تعالى: { رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا } [آل عمران: ٣٥] سورة آل عمران " آية ٣٥ .

٥ - الطواف حول القبر بنية التقرب والعبادة له، وهو خاص بالكعبة، لقول الله تعالى: { وَكَيْطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } [الحج: ٢٩] سورة الحج " آية ٢٩ .

٦ - الاعتماد والتوكل على غير الله، لقول الله تعالى: { فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ } [يونس: ٨٤] سورة يونس " آية ٨٤ .

٧ - الركوع أو السجود بنية العبادة للملوك أو العظماء الأحياء أو الأموات إلا أن يكون جاهلا، لأن الركوع والسجود عبادة لله وحده.

٨ - إنكار ركن من أركان الإسلام المعروفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، أو إنكار ركن من أركان الإيمان: وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٩ - كراهية الإسلام، أو كراهية شيء مجمع عليه في العبادات، أو المعاملات، أو الاقتصاد، أو الأخلاق لقوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد: ٩] سورة محمد " آية ٩ .

- ١٠ - الاستهزاء بشيء من القرآن، أو الحديث الصحيح، أو بحكم مجمع عليه من أحكام الإسلام، لقوله تعالى: {قُلْ أِبَالَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ - لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: ٦٥ - ٦٦] سورة التوبة " آية ٦٥، ٦٦ .
- ١١ - إنكار شيء من القرآن الكريم، أو الأحاديث الصحيحة مما يوجب الردة عن الدين إذا تعمد ذلك عن علمبلا شبهة.
- ١٢ - شتم الرب أو لعن الدين أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاستهزاء بحاله، أو نقد ما جاء به مما يوجب الكفر.
- ١٣ - إنكار شيء من أسماء الله، أو صفاته، أو أفعاله الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة من غير جهل ولا تأويل.
- ١٤ - عدم الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله لهداية الناس، أو انتقاص أحدهم لقوله تعالى: {لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥] سورة البقرة " آية ٢٨٥ .
- ١٥ - الحكم بغير ما أنزل الله إذا اعتقد عدم صلاحية حكم الإسلام أو أجاز الحكم بغيره لقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤] سورة المائدة " آية ٤٤ .
- ١٦ - التحاكم لغير الإسلام، أو عدم الرضا بحكم الإسلام، أو يرى في نفسه ضيقا وحرجا في حكمه لقوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥] " سورة النساء " آية ٦٥ .
- ١٧ - إعطاء غير الله حق التشريع كالديكتاتورية ، والعلمانية ، والشيعوية ، أو غيرها ممن يسمحون بالتشريع المخالف لشرع الله ، لقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١] سورة الشورى " آية ٢١ .

١٨ - تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، كتحليل الزنا أو الخمر أو الربا غير متأول، لقوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥] سورة البقرة " آية ٢٧٥.

١٩ - الإيمان بالمبادئ الهدامة: كالشيعوية الملحدة، أو الماسونية اليهودية، أو الاشتراكية الماركسية، أو العلمانية الخالية من الدين، أو القومية التي تفضل غير المسلم العربي على المسلم الأعجمي لقوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]

٢٠ - تبديل الدين والانتقال من الإسلام لغيره لقوله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [البقرة: ٢١٧].
ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري "

٢١ - مناصرة اليهود والنصارى والشيعيين ومعاونتهم على المسلمين لقوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨].

٢٢ - عدم تكفير الشيعيين المنكرين لوجود الله، أو اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن الله كفرهم فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: ٦] سورة البينة " آية ٦.

23 - القول بانفصال الدين عن الدولة، وأنه ليس في الإسلام سياسة، لأنه تكذيب للقرآن والحديث والسيرة النبوية.

إن هذه المبطلات أشبه بنواقض الضوء، فإذا فعل المسلم واحدا منها، فليجدد إسلامه، وليترك المبطل، وليتب إلى الله قبل أن يموت فيحبط عمله، ويخلد في نار جهنم. قال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥] سورة الزمر "

آية ٦٥ . وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول: «اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم» .

اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم أنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل واعتقاد ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل واعتقاد ، اللهم وفق مجتمعنا لأداء فرائضك واحفظهم من موجبات غضبك وأليم عقابك ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى الله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

علامات الساعة الكبرى و الصغرى :

الحمد لله حمداً يوافي نعم الله علينا ويكافئ مزيده، وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، اللهم صل وسلم وبارك عليه صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

إن الكلام في مسألة الدار الآخرة لا اجتهاد فيه، وإنما أخذناه من فم الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم، فكل مسائل الدار الآخرة مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة، علامات الساعة تنقسم إلى قسمين: علامات صغرى، وعلامات كبرى ، وهناك فرق بين علامات الساعة الصغرى، وعلامات الساعة الكبرى و الفرق الأساسي الجوهرى هو أن علامات الساعة الصغرى إذا ظهرت كلها فباب التوبة لا يزال مفتوحاً أمام المسلم.

علامات الساعة الصغرى : هي كثيرة نذكر منها :

١ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: "بعثت أنا والساعة كهاتين" وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ومدهما، ودل هذا على أنه صلى الله عليه وسلم نبي آخر الزمان وأنه لا نبي بعده إلى قيام الساعة.

٢ وفاته صلى الله عليه وسلم؛ وهي من أعظم المصائب التي كانت بعده صلى الله عليه وسلم.

٣ فتح بيت المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم أعدد ستا بين يدي الساعة فذكر منها فتح بيت المقدس وفتحت على أيدي الصحابة رضي الله عنهم.

٤ الموتان وهو الموت الكثير الوقوع بمرض الطاعون المسمى اليوم بالكوليرا، وكان هذا في أرض الشام سنة ثمان عشرة من الهجرة أيام خلافة عمر رضي الله عنه؛ إذ أخبر بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله أعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان.

٥ الفتن وهي كثيرة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا". رواه مسلم، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وغن كان عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما أنقيد ينقاد".

ومن الفتن التي ذكر وقوعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقعت ما يلي:

١ فتنة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين فتكون بعضها مقتلة دعواهما واحدة".

٢ ما وقع بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه من قتال كبير أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة".

٣ فتنة الخوارج الذين خرجوا عن طاعة الإمام علي رضي الله عنه؛ إذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم: "سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان "الشباب" سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة".

٤ ظهور الدجالين وهو مدعوا النبوة في المسلمين ظهر في أيام الصحابة الدجال مسيلمة الكذاب ومنهم الأسود العنسي الذي ظهر في اليمن، وما زال الدجالون يظهرون، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عددهم قريبا من ثلاثين دجالا؛ إذ قال: "لا تقوم الساعة حتى يقتتل ففتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة" رواه البخاري، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من الثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥ وجود كذابين على رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعون الأحاديث وينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضلوا المسلمين ويفسدون دينهم عقائد وعبادات وأخلاقا وآدابا؛ إذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم "سيكون في آخر أمي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم فيكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم" رواه مسلم.

٦ قوله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى" مدينة بالشام" رواه البخاري، وظهرت هذه النار سنة ستمائة وأربعة وخمسين هجرية ٦٥٤هـ من جانب الحرة الشرقية بالمدينة النبوية، وقد تاب أهل المدينة من تلك الآية فلم يبق منهم من يسمع رباب ولا دف ولا يشرب وبتوا تلك الليلة ما بين راع وساجد وداع إلى الله عز وجل وتال للقرآن وتائب مستغفر من ذنوبه.

٧ قوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم قال حذيفة رضي الله عنه أطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة قال: "إنها لن تقوم حتى ترو قبلها عشر آيات" وذكر منها وثلاثة خسوف بالمشرق وخسوف بالمغرب وخسوف بجزيرة العرب، وقيل

له صلى الله عليه وسلم متى ذلك؟ قال: "إذا ظهرت القيان "القيان: جمع قينة وهي المرأة المغنية" والمعازف وشربت الخمر" رواه مسلم وغيره.

٨ قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة، وقد ضيقت الأمانة في ديار المسلمين قبل سقوطهم واحتلال الكفار لبلادهم، وقد تحرروا من حكم الكفار بعد خروجهم من بلادهم ومع هذا انتشر الظلم والشر والفساد وضاعت الأمانات، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف إضاعة الأمانات يا رسول الله؟ فقال: "إذ وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" رواه البخاري.

٩ قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي مأخذ القرون قبلها شبرا بشير وذراعا بذراع" قيل له يا رسول الله كفارس والروم؟ قال: من الناس إلا أولئك" رواه البخاري، فهذه أوضح علامة من علامات الساعة، وقال صلى الله عليه وسلم: "لتبع سنن من كان قبلكم شبرا بشير وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم" قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟.

١٠ قوله صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري: "صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا" هذه أظهر علامات الساعة والعياذ بالله.

١١ من علامات الساعة قوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم بعد أن سئل عنها: "أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالية رعاء الشاء يتطاولون في البنيان" وقد وقع ولود الأمة ربتها أيام كان للمسلمين إيماء وعبيدا وقد يصدق عليه كفالة الولد والده أو أمه إن كانت له جنسية الدولة التي هو فيها، ولم يكن لوالده جنسيته فهو يكفلهما.

١٢ إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشوا الزنى ويذهب الرجال، ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وهو الرجل.

١٣ تداعي الكفار على أمة الإسلام في رواية أحمد وأبي داود وقد تم هذا وتسلط الكفار على المسلمين فحكموا بلادهم من الشرق إلى الغرب، والحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الأكلة على قصعتها" فقال قائل من قلة يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن" قيل وما الوهن يا رسول الله؟ قال: "حب الدنيا وكرهية الموت".

١٤ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس" وفي هذا دليل على أن الروم يدخلون في الإسلام في آخر الزمان كما فيه دليل على ما عليه الروم من صفات حميدة وهي الخلق الكريم والسلوك القويم فهم خير الناس لليتيم والضعيف والمسكين وهو ظاهر في بلادهم ولذا سيأتي يوم يدخلون فيه في الإسلام بإذن الله تعالى.

١٥ التهاون بالسنن بصورة عامة بين المسلمين وهذا من علامات الساعة الصغرى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد لا يصلي فيه ركعتين" في صحيح ابن خزيمة. فهذه خمس عشرة علامة من علامات الساعة الصغرى وبقي منها أكثر من خمسة وأربعين علامة كلها قد وقعت وهي دالة ومقررة قيام الساعة ونهاية هذه الحياة الدنيا.

علامات أشراط الساعة الكبرى

فهي عشر علامات ولم تقع منها علامة بعد إذ لو وقعت تتابعت وقامت القيامة وهي:
١ ظهور المهدي وهو رجل من آل البيت واسمه محمد بن عبد الله ويومه يكون العالم الإسلامي في فرقة وفتن وشر وفساد، فيأتي به الله تعالى لنصرة الإسلام والمسلمين فيحكم

ويسود ويصلح الله به المسلمين وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "المهدي من عترتي من ولد فاطمة" رواه أبو داود.

٢ ظهور المسيح الدجال والأعور الدجال لأنه أعور بعين مطموسة وسمي الدجال والأعور الدجال لأنه أعور بعين مطموسة وسمي الدجال لأنه كذاب يغطي الحق ويستتره وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فقال: "إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية" رواه البخاري. وذكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس أن المسيح الدجال يدعي الربوبية ومن أحواله أنه لا يدخل مكة ولا المدينة، ومن فتنته أنه يحيي ويميت ومكان خروجه المشرق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "والدجال يخرج من أرض المشرق يقال لها خراسان" حديث صحيح رواه أهل السنن، ويقتله أي الدجال نبي الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما فتن العالم الإسلامي وآذاه وضره.

٣ العلامة الثالثة: من أشراط الساعة الكبرى نزول نبي الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر نزوله ويخبر به؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" وقال صلى الله عليه وسلم: "ليترن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص" "الإبل" فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد" رواه البخاري. وسمي المسيح لقول الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: من الآية ٨٢] إذ كان يمسخ المريض فيشفى، وينزل من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ومن الأحداث التي تقع على عهده عليه السلام القضاء على المسيح الدجال

وفتنته، هلاك يأجوج ومأجوج إذ قال تعالى: في كتابه القرآن الكريم: {حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [الأنبياء الآية: ٩٤] .

٤ العلامة الرابعة: من علامات أشراط الساعة الكبرى خروج يأجوج ومأجوج إذ قال تعالى في كتابه العزيز: {حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يوحى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال إني قد أخرجت عبادا لي أحد بقتلهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهو من كل حدب ينسلون وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وهم الذين يؤخذ منهم في عرصات القيامة تسعة وتسعون وواحد من غيرهم "في الصحيح" إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقت خروج يأجوج ومأجوج بعد نزول نبي الله عيسى عليه السلام من السماء وقال صلى الله عليه وسلم: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدا إن شاء الله تعالى واستثنوا فيعودون وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشقون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم سهامهم إلى السماء فترجع عليها الدمفيقولون قهرنا أهل الأرض وعدونا أهل السماء. حديث صحيح رواه أحمد والترمذي. وبعد عتوهم وطغيانهم وظلمهم واعتدائهم يدعوا الله تعالى نبيه عيسى وأصحابه عليهم فيرسل الله تعالى عليهم النفث دود صغير في رقابهم فيصبحون فرسى أي قتلى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض بعد هلاك يأجوج ومأجوج؛ إذ كان عيسى والمسلمون معه فوق حصونهم فينادي عيسى عليه السلام قائلاً: ألا أبشروا أن الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون.

٥ العلامة الخامسة تخريب الكعبة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلاً أفيدها يضرب عليها بمساحيه ومعوله، وفي رواية البخاري قال صلى الله عليه وسلم كأني به أسود

أفحح يقلعها حجراً حجراً وهذه العلامة لا تقع إلا بعد نهاية الإسلام حيث لم يبق من يقول الله الله لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال الله الله".

٦ العلامة السادسة ظهور الدخان في العالم الإنساني فقد أخرج مسلم في صحيحه الحديث التالي وهو أن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكر؟ قلنا نتذاكر الساعة، فقال صلى الله عليه وسلم "إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج وثلاث خسوف خسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم". رواه مسلم.

٧ العلامة السادسة: طلوع الشمس من مغربها ففي كتاب الله تعالى قوله عز وجل: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: الآية ١٥٨]

وقد تكون هذه العلامة آخر العلامات لذا من رآها وآمن لا ينفعه إيمانه ويهلك كافرا والعياذ بالله.

٨ العلامة الثامنة: خروج الدابة وهذه العلامة تكون بعد طلوع الشمس من مغربها لأن هذه الدابة تكلم الناس وتفرق بين المؤمن والكافر وهي لا تقبل توبة عبد إذ باب التوبة قد أغلق عند طلوع الشمس من مغربها، وهذه آية من كتاب الله تقرر أنه لا إيمان لمن لم يتب قبل طلوع الشمس؛ إذ قال تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل الآية: ٨٢] وهذه الدابة من عملها الذي أخرجت من أجله أنها تكلم الناس وتسم الناس على خراطيمهم بالإيمان للمؤمن والكافر ولللكافر، وقد أخرج أحمد قول النبي صلى الله عليه وسلم "تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم".

٩ العلامة التاسعة: رفع القرآن وانتهاء الإسلام ففي صحيح مسلم: "يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه حبة من إيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة". ففي صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: "يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة التمر وشعير لا يباليهم الله بالة".

١٠ العلامة العاشرة: حشر الناس إلى الشام وذلك بعد ما لم يبق في الأرض إلا عدد قليل لهلاك الناس بأحداث لقيام الساعة، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين "يحشر الناس على ثلاث طرائق "حالات" راغبين راهبين وأثان على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث أمسوا".

فوائد التعرف على علامات الساعة وأشرطها:

١ ان نتقي الله فنطيعه ولا نعصيه، وطاعة الله تكون بالإيمان به ولكل ما أمرنا أن نؤمن به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر.

٢ أن نتعلم حتى نعلم محاب الله ومكارهه وكيف نعمل المحاب ونترك المكاره.

٣ على العلماء أن يجمعوا أهل القرية والحي في مسجدهم الجامع وذلك كل يوم بعد صلاة المغرب ثم يعملون وهم رجال ونساء وأطفال ليلة آية وليلة حديثا ويشرحون لهم الآية والحديث يحضونهم على العمل بما في الآية وبما في الحديث، وذلك طول العام ويومئذ لم يبق جاهل ولا جاهلة وإذا انتفى الجهل انتفى الظلم والفسق وأصبح أهل القرية كأهل الحي أولياء الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٤ على العلماء بعد نجاحهم في إصلاح أهل القرى وأهل أحياء المدن بحيث انتفى الجهل وثبت العلم وساد الصدق والصبر والطاعة لله ورسوله ولأولي الأمر، ولم يبق فسق ولا فجور ولا شرك ولا خرافة ولا بدعة، يومئذ على العلماء المرابين أن يتصل علماء كل بلد إسلامي بحكامهم ويدعوهم برفق ولطف ليطبقوا شرع الله كما هو في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويومها يسود الإسلام ويدخل الناس فيه فيسعدون ويكملون في

الدارين، اللهم حقق لنا هذا إنك وليه والقادر عليه، وصلى اللهم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أسماء الله الحسنى :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وارزقنا من كرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن دعوة لا يستجاب لها.

جميع أسماء الله تعالى تعتبر صفات الله تعالى إلا اسما واحدا فقط هو (الله) فإنه علم على الذات وليس صفة، وهذه الصفات عددها لا يقل عن مائة إلا واحدا إن قلنا إن أسماء الله تعالى (توقيفية) وهو قول الجمهور. بمعنى أننا نتوقف عن إطلاق أي صفة على الله تعالى وأي اسم إلا إذا ورد بهذا الاسم نص من كتاب أو سنة. وعددها يزيد على ذلك كثيرا إن قلنا إن أسماء الله تعالى (توقيفية). بمعنى أن كل اسم يليق بالله تعالى يجوز إطلاقه عليه ولو لم يرد به نص. وقد ذكر علماء التوحيد من الصفات التي يتصف بها الله ثلاث عشرة صفة وقالوا إن كل مكلف يجب أن يلم بها ويعرفها ويؤمن بها إيمانا جازما، لأن هذه الصفات لا بد منها للإله، وما عداها متفرع منها، أو داخل فيها، أو تابع لها ، وأسماء الله الحسنى كلها هي التي ننادي بها ربنا. وبها نذكره ونعبده ونسأله ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لله تسعة وتسعين اسما - مائة إلا واحدا - من أحصاها دخل الجنة" ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما - مائة إلا واحدا- لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة. وهو وتر يجب الوتر"

وهذه الأسماء كما ذكرتها رواية الترمذي. وأذكر أمام كل اسم معناه لتمام الاستفادة:

الله : علم على الذات الإلهية المقدسة
الرحمن : المنعم بجلائل النعم
الرحيم : المنعم بدقائقها "صغارها"
الملك : المتصرف في ملكه كما يشاء
القدوس : المطهر من العيوب والنقائص
السلام : الأمان لخلقه
المؤمن : المؤمن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم
المهيمن : المسيطر
العزیز : الغالب
الجبار : المنفذ لأوامره
المتكبر : المنفرد بصفات العظمة
الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل. أو المقدر
البارئ : الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل
المصور : المعطي لكل شيء صورة تميزه عن غيره
الغفار : كثير المغفرة وستر الذنوب
القهار : القابض على كل شيء والقاهر لكل شيء
الوهاب : كثير النعم دائم العطايا والمنتن
الرزاق : خالق الأرزاق وخالق أسبابها
الفتاح : الذي يفتح خزائن رحمته لعباده
العليم : العالم بكل شيء فلا يغيب عنه شيء
القابض : قابض الأرواح أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده
الباسط : موسع الرزق على من يشاء

الخافض: الذي يخفض من يستحق الخفض بالخزي والذل والعذاب
الرافع: الذي يرفع من يستحق الرفعة من المتقين
المعز: يعز من استمسك بدينه ويعطيه النصر والغلبة
المذل: الذي يذل أعداءه
السميع: المدرك لكل ما يسمع
البصير: المدرك لكل ما يبصر
الحكم: الحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
العدل: العادل الكامل في عدالته
اللطيف: الذي لطف (دق) علمه بما في القلوب
الخبير: العالم بجزاي الأمور ودقائقها
الحليم: الذي لا يستفزه غضب ولا يتعجل العقوبة
العظيم: البالغ أقصى مراتب العظمة
الغفور: كثير الغفران
الشكور: الذي يعطي الكثير على العمل القليل
العلي: الذي بلغ أعلى مراتب العظمة التي لا يتصورها عقل ولا يدركها الفهم
الكبير: الذي لا تستطيع الحواس ولا العقول إدراكه
الحفيظ: الذي يحفظ الكون من الخلل والإضطراب ويحفظ أعمال العباد فلا يضيع منها

شيء

المقيت: خالق الغذاء الروحي والمادي
الحسيب: الذي يكفي عباده أو الذي يحاسبهم يوم القيامة
الجليل: الذي له صفات الجلال
الكريم: المعطي من غير سؤال ولا عوض

الرقيب: الذي يراقب الأشياء ويلاحظها
المجيب: الذي يستجيب لمن دعاه
الواسع: الذي وسع علمه ورحمته كل شيء
الحكيم: صاحب الحكمة
الودود: المحب الخير لخلقه والمحسن إليهم في كل الأحوال
المجيد: البلغ النهاية في الجد والشرف والعظمة
الباعث: باعث الرسل ومن في القبور
الشهيد: العالم بكل مخلوق
الحق: الثابت الذي لا يتغير
الوكيل: القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه
القوي: صاحب القدرة التامة
المتين: الذي بلغ النهاية في الشدة
الولي: المتولي أمر خلقه
الحميد: المحمود المستحق للثناء
المحصي: الذي لا يغيب عن علمه شيء
المبدئ: المظهر للأشياء من العدم
المعيد: الذي يعيدها بعد عدمها
المحيي: خالق الحياة في كل حي
المميت: سالب الحياة من الأحياء
الحي: صاحب الحياة الدائمة
القيوم: القائم بنفسه والمقيم لغيره
الواحد: الذي يجد كل ما أراده فلا يحتاج لغيره لغناه المطلق

الماجد: البليغ النهاية في المجد والعظمة

الواحد-الصمد-القادر-المقتدر

المقدم: الذي بيده تقديم كل شيء حسا ومعنى

المؤخر: المقدم والمؤخر من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقروناً بالآخر فإن الكمال من اجتماعهما فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته.

الأول: يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبء أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

الآخر: فسرها النبي صلى الله عليه وسلم تفسيراً كاملاً واضحاً فقال: "أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء".

الظاهر: الذي أظهر وجوده بآياته ومخلوقاته

الباطن: الخفي بذاته فلا يعلمها أحد على ما هي عليه

الوالي: الذي تولى الأشياء وملكها

المتعالى: المتزه عن النقائص

البر: كثير الخير عظيم الإحسان

التواب: الذي يوفق العصاة للتوبة ويقبلها منهم

المنتقم: المعاقب من يستحق العقوبة

العفو: الماحي لسيئات من أناب إليه

الرؤوف: عظيم الرأفة والرحمة

مالك الملك: ذو الجلال والإكرام

المقسط: المنصف للمظلومين من الظالمين

الجامع: الذي يجمع الناس يوم القيامة
الغني: المستغني عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل من سواه
المغني: المتفضل بإغناء من شاء من خلقه
المانع: الذي يمنع أسباب الهلاك
الضار: الذي يتزل عقابه بأعدائه
النافع: الذي عم خيره
النور: الظاهر بنفسه والمظهر لغيره
الهادي: الذي هدى وأرشد كل شيء إلى ما فيه صلاحه
البديع: الذي لا نظير له
الباقي: الدائم الوجود
الوارث: الباقي بعد فناء الموجودات
الرشيد: المرشد لعباده والذي تجري تصاريفه بمنتهى الحكمة والسداد
الصبور: الذي لا يتعجل بالعقوبة ولا يتعجل بشيء قبل أوانه
معنى الإحصاء لأسمائه تعالى: أحصى معانيها، وحفظها من التحريف فيها والتبديل
والتعطيل، وحاول التخلق بحسن صفاتها كالحلم والعفو والرفقة والرحمة والكرم ونحو ذلك،
والحذر من مثل الجبار والقهار، ومراقبة مثل: الحسيب الرقيب، وكذلك التعرض لمثل التواب
والغفور بالتوبة وطلب المغفرة، والهادي والرزاق بطلب الهداية والرزق ونحو ذلك .
نسأل الله سبحانه وتعالى دائما أن يوفقنا لما يحب ويرضى، ونسأله أن لا يكلنا إلى أنفسنا
طرفة عين، ونعلم ونوقن أن الفضل لله وحده، وأن الخير من عنده وحده سبحانه وتعالى،
وأنا لا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا، فهو الذي يثبت الدين آمنوا بالقول الثابت عند سؤال
الملكين، وهو الذي يمن عليهم بأن يجوزوا الصراط، وهو جل شأنه الذي يدخلهم الجنة
بفضله تعالى وكرمه، كما قال صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل الجنة أحد بعمله، قالوا: ولا

أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمديني الله برحمته منه وفضل) ، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فقه القلب :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران: ١٠٢]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء: ١]. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم -، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. قال الله تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)} [النحل: ٧٨].

وقال الله تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)} [الحج: ٤٦].

الله تبارك وتعالى خلق الإنسان، والإنسان له ظاهر وباطن، وفي باطنه أكثر الأعضاء وأهمها كالقلب والكبد والمعدة.

ولفظ القلب يطلق على معنيين:

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه، يدخل فيه الدم، ثم يدفعه بواسطة العروق لتغذية البدن.

الثاني: لطيفة ربانية روحانية، لها بذلك القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان.

وهو المخاطب والمطالب، والثاب والمعاقب، وهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني.

وقال الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)} [ق: ٣٧].

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمِيًّا، أَلَا إِنَّ حِمِيَّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه.

وإذا آمن العبد بالله أكرم الله قلبه بعشر كرامات:

الأولى: الحياة: كما قال سبحانه: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)} [الأنعام: ١٢٢].

ومن أحميا أرضاً ميتة فهي له، وكذلك الله عزَّ وجلَّ خلق القلب، وجعل فيه نور الإيمان، فلا يجوز أن يكون لغيره فيه نصيب.

الثانية: الشفاء: كما قال سبحانه: {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤)} [التوبة: ١٤].

فالعسل شفاء الأبدان .. والإيمان شفاء القلوب .. والعلم شفاء من الجهل.

الثالثة: الطهارة: فالصائغ إذا امتحن الذهب مرة لا يدخله النار، وكذلك الله إذا امتحن قلوب المؤمنين لا يدخلهم النار: {أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبُغُوا إِلَى اللَّهِ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)} [الحجرات: ٣].

الرابعة: الهداية: كما قال سبحانه: { وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (١١) {التغابن: ١١}.

الخامسة: ثبوت الإيمان: فكما أن الورقة إذا كتب فيها قرآن لم يجز إحراقها، فكذلك قلب المؤمن إذا كتب فيه الإيمان لم يجز إحراقه: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (المجادلة: ٢٢).

السادسة: السكينة: كما قال سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَزِدَّادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (٤) {الفتح: ٤}.

السابعة: الإلفة: كما قال سبحانه: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ حَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (الأنفال: ٦٣).

الثامنة: الطمأنينة: كما قال سبحانه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (٢٨) {الرعد: ٢٨}.

التاسعة: المحبة: كما قال سبحانه: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } (٧) {الحجرات: ٧}.

العاشر: الزينة والحفاظة من السوء: كما قال سبحانه: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } (٧) {الحجرات: ٧}.

وصلاح القلب أصل كل خير وسعادة للعبد كمال حياته وكمال نوره، فالحياة والنور مادة الخير كله في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } (٢) {الأنفال: ٢}. وقال الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ (١١) } [التغابن: ١١] ، والقرآن نور تستضيء به القلوب وتشرق به، وروح تحيا به القلوب، فالمؤمن حيي أكرمه الله بالنور الذي يبصر به الحق من الباطل.
والقلب فيه قوتان:

قوة العلم والتمييز .. وقوة الإرادة والمحبة.

وكمال القلب وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه.

فكمال استعمال قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته، وإثاره على الباطل.

فمن لم يعرف الحق فهو ضال .. ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه .. ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه.

فالمسلمون أخص بالحق؛ لأنهم عرفوه واتبعوه.

واليهود أخص بالغضب؛ لأنهم أمة عناد، عرفوا الحق فلم يتبعوه.

والنصارى أخص بالضلال؛ لأنهم أمة جهل، عرفوا الحق وضلوا عنه.

وقد أمرنا الله عزَّ وجلَّ بطلب الهداية إلى طريق الحق، وهو طريق المنعم عليهم بمعرفة الحق والعمل به بقوله سبحانه: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) } [الفاتحة: ٦، ٧].

إن حياة القلب ونعيمه وسروره وبهجته بالإيمان بالله، ومعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وعبادته، وطاعته وطاعة رسوله.

قال الله تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) } [النحل: ٩٧]. وقال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) } [الأنفال: ٢٤].

وحياة القلب تكون بثلاثة أشياء:

قصر الأمل .. وتدبر القرآن .. وتجنب مفسدات القلب.

فأما قصر الأمل، فهو العلم بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب.

فإنه يبعثه على تدارك الأيام، وانتهاز الفرص التي تمر من السحاب، ويشير عزيمات القلب إلى دار البقاء والخلود، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة كما قال سبحانه: { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ (٣٥) } [الأحقاف: ٣٥].

وأما تدبر القرآن، فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعلقه، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، كما قال سبحانه: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) } [ص: ٢٩].

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، واقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وجمع الفكر فيه على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتدله على مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صور الدنيا والآخرة، والجنة والنار.

وتحضره بين الأمم السابقة، وتريه أيام الله فيهم، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يحبه الله وما يبغضه.

وتريه طريق أهل الجنة، وأهل النار، ومراتب أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وتطلعه على تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والترغيب والترهيب، والمواظب والصبر وغيرها.

وأما مفسدات القلب فكثرة الخلطة. والتمني .. والتعلق بغير الله .. وكثرة الشبع وكثرة النوم .. فهذه الخمسة أكبر مفسدات القلب.

فالقلب السليم يسير إلى الله تعالى والدار الآخرة، وهذه الخمسة تطفئ نوره، وتضعف قواه، قاطعة له عن الوصول إلى ما خلق له، وجعل نعيمه وسعادته وابتهاجه ولذته في الوصول إليه.

فإنه لا نعيم للقلب ولا لذة، ولا ابتهاج ولا كمال، إلا بمعرفة الله ومحبته، والطمأنينة بذكره، والفرح والابتهاج بقربه، والشوق على لقائه، فهذه جنته العاجلة. كما أنه لا نعيم له في الآخرة، ولا فوز ولا فلاح إلا بجوار ربه في دار النعيم في الجنة الآجلة.

فله جنتان: لا يدخل الثانية منهما حتى يدخل الأولى، وهذه الأشياء الخمسة قاطعة عن هذا، حائلة بين القلب وبينه.

ولحياة القلب علامات أهمها:

وجل القلب من الله سبحانه، وشدة خوفه منه، كما قال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)} [الأنفال: ٢].

ومنها: القشعريرة في البدن، ولين الجلود والقلوب عند سماع القرآن كما قال الله سبحانه: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)} [الزمر: ٢٣].

ومنها: خشوع القلب عند ذكر الله سبحانه كما قال الله عز وجل: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)} [الحديد: ١٦].

ومنها: الإذعان للحق والإخبات له كما قال الله سبحانه: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) } [الحج: ٥٤].

ومنها: كثرة الإنابة إلى الله كما قال الله سبحانه: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) } [ق: ٣٣].

ومنها: السكينة والوقار كما قال الله سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) } [الفتح: ٤].

ومنها: خفقان القلب بحب المؤمنين كما قال الله سبحانه: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) } [الحشر: ١٠].

ومنها: سلامة القلب من الأحقاد كما قال الله سبحانه: {وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) } [آل عمران: ١٠٣].
وإذا مات قلب العبد تعطلت جوارحه عن الطاعة والعبادة .. ولم يؤد حق الله من الطاعة والعبودية .. ولم يعمل بكتاب ربه .. ولا بسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .. وعادى الرحمن .. ووالى الشيطان.

وأكل رزق الله ولم يشكره .. ودفن الموتى ولم يعتبر .. وعلم أن الموت حق ولم يستعد له .. وأقبل على الدنيا يعمرها ويجمعها وينافس في جمع حطامها .. ويتعذب بذلك ليله ونهاره كله: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) } [التوبة: ٥٥].

ومحركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة:

الحبة .. والخوف .. والرجاء.

فالحبة أقواها، ويحركها في القلب كثرة ذكر المحبوب، ومطالعة آلائه ونعمائه، فيسير إلى محبوبه الذي يرى كل نعمة منه.

والخوف، المقصود منه المنع والزجر عن الخروج عن الطريق.

ويحركه في القلب مطالعة آيات الوعيد والزجر، والعرض والحساب والنار وأهوالها، والعقوبات التي حلت بالمجرمين.

أما الرجاء، فيقود الإنسان إلى الطريق.

ويحركه في القلب مطالعة الكرم والإحسان، والحلم والعفو، والعطاء والمن.

فتوحات القلب

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)}

[العنكبوت: ٦٩].

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه.

القلب إذا خلا من الاهتمام بالدنيا، وتعلق بالآخرة، وتأهب للقدوم على الله عز وجل، فذلك أول فتوحه، وتباشير فجره.

فعند ذلك يتحرك قلب العبد لمعرفة ما يرضى به ربه منه، فيفعله ويتقرب به إليه، وينبعث لمعرفة ما يسخطه منه فيجتنبه.

فإذا تمكن العبد في ذلك، فتح الله له باب الأنس بالخلوة والوحدة، ومحبة الأماكن الخالية التي تهدأ فيها الأصوات والحركات، فلا شيء أشوق إليه من ذلك.

فإنها تجمع عليه قوى قلبه وإرادته وإقباله على ربه، وتسد عليه الأبواب التي تفرق همه، وتمزق شمله.

ثم يفتح له باب حلاوة العبادة، بحيث لا يكاد يشبع منها، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب، ونيل الشهوات.

ثم يفتح له باب حلاوة استماع كلام الله فلا يشبع منه، وإذا سمعه هدأ قلبه كما يهدأ الصبي إذا أعطي ما هو شديد المحبة له.

ثم يفتح له باب شهود عظمة المتكلم به وجلاله، وكمال نعوته وصفاته، ومعاني خطابه، بحيث يستغرق قلبه في ذلك.

ثم يفتح له باب الحياء من الله عزَّ وجلَّ، وهو أول شواهد المعرفة، وهو نور يقع في القلب، يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه عزَّ وجلَّ، فيستحي منه فيخلواته وجلواته. ويرزقه الله عند ذلك دوام المراقبة للرقيب، ودوام التطلع إلى ربه، حتى كأنه يراه ويشاهده فوق سماواته، مستويًا على عرشه، ناظرًا إلى خلقه، سامعًا لأصواتهم، مطلعًا على حركاتهم.

فإذا استولى هذا على العبد، غطى عليه كثيراً من المموم بالدنيا وما فيها، فهو في وجود بين يدي ربه ووليه، والناس في وجود آخر.

ثم يفتح له باب الشعور بمشهد القيومية لربه على جميع الكائنات، فيرى سائر التقلبات الكونية، وتصاريف الوجود بيده سبحانه وحده.

فيشاهده ذلك ربه العظيم، مالك النفع والضرر، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة، فيتحذه وحده وكيلاً، ويرضى به رباً ومدبراً، وعند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه.

فإذا استمر له ذلك، فتح عليه باب القبض والبسط، فيقبض عليه حتى يجد ألم القبض لقوة وارده، وتفيض أنوار المعرفة والمحبة والإخلاص من قلبه، كما يفيض نور الشمس من جرمها.

وكلما سار إلى ربه من الطريق الموصل إليه، زادت الهداية في قلبه، وزاد نور الإيمان، وانشرح صدره، ووجد اللذة في طاعة مولاه.

فإذا استمر على حاله، واقفاً بباب مولاه، لا يلتفت عنه يميناً ولا شمالاً، ولا يجيب غير من يدعوه إليه، ويعلم أنه لم يصل بعد، رجا أن يفتح له فتح آخر، هو فوق ما كان فيه. فيستغرق قلبه في أنوار مشاهدة جلال الله، بعد ظهور أنوار الوجود الحق، ويبقى قلبه ساجداً في بحر من أنوار آثار الجلال والجمال لربه، فتنبع الأنوار من باطنه، كما ينبع الماء من العين، ويجد قلبه عالياً صاعداً إلى من ليس فوقه شيء.

ثم يرقبه الله تبارك وتعالى فيشهد قلبه أنوار الإكرام، بعد ما شهد أنوار الجلال والعظمة لمولاه.

فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال والإكرام، والإنعام والإحسان، فيذوق المحبة الخاصة، الملهبة للارواح والقلوب، الباعثة لحسن العبادة، ولذة المناجاة.

فيبقى القلب مأسوراً في يد حبيبه العزيز الكريم، ووليه الغفور الرحيم، ممتحناً بحبه، مستسلماً لطاعته، متلذذاً بعبادته، مستغرقاً في جلاله وجماله، وهذا غاية مراد الرب من عبده: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)} [الجمعة: ٤].

٦ - أقسام القلوب

قال الله تعالى: {الْمَ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)} [الحديد: ١٦].

وقال الله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)} [البقرة: ٧٤].

تنقسم قلوب العباد إلى ثلاثة أقسام:

صحيح .. وسقيم .. وميت.

فالقلب الصحيح هو السليم الذي قد صارت السلامة صفة ثابتة له، قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره.

فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، وسلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما.

بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة، وتوكلاً وإنابة، وخشية وإحباتاً وخوفاً ورجاء.

وخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فهذا أزكى القلوب، وهو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

والقلب الثاني: القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبد به بأمره وما يحبه ويرضاه.

بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حباً وخوفاً ورجاءً، ورضاً وسخطاً، وتعظيماً وذلاً.

إن أحب أحب لهواه .. وإن أبغض أبغض لهواه .. وهواه أحب إليه وآثر عنده من رضا مولاه.

فالهوى إمامه .. والشهوة قائده .. والجهل سائقه .. والغفلة مركبه .. والسيئات تجارته .. والمعاصي بضاعته .. والمحرمات سلعته.

لا يستجيب لداعٍ ولا ناصح، ويتبع كل شيطان مرید .. من الإنس والجن، فهذا أبحث القلوب وأنجسها وأركسها: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)} [غافر: ٣٥].

والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة، فهو السقيم. فله مادتان: تمده هذه مرة .. وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما. ففيه من محبة الله تعالى، والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه، ما هو مادة حياته ونجاته.

وفيه من محبة الشهوات وإيثارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة، والظلم، ما هو مادة هلاكه وعطبه. وهو ممتحن بين داعيين:

داعٍ يدعوه إلى الله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقرهما منه بآبًا، وأعلاهما صوتًا، وأكثرها حضورًا.

فالقلب الأول حي مخبت واع لين، والثاني يابس ميت، والثالث مريض. فإن كان له مذكر فهو إلى السلامة أدنى، وإن لم يكن له مذكر فهو إلى العطب أدنى، وهو صيد من يسبق إليه.

وقد جمع الله بين هذه القلوب الثلاثة في قوله سبحانه: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقِ بَعِيدٍ (٥٣) وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤)} [الحج: ٥٣، ٥٤].

فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو الإدراك للحق، ثم الانقياد له والقبول.

والقلب الميت القاسي لا يقبل الحق ولا ينقاد له.

والقلب المريض إن غلبت عليه صحته التحق بالقلب السليم، وإن غلب عليه مرضه التحق بالقلب الميت القاسي.

وكل ما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ .. وفي القلوب من الشبه والشكوك .. فتنة لهذين القلبين .. وقوة للقلب الحي السليم .. لأنه يرد ذلك ويكرهه ويغضه .. ويعلم أن الحق في خلافه.

ويستدل على معرفة ما في القلوب بحركة اللسان، فإن القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألستها مغارفها.

فلسان المرء يغرف لك من قلبه:

حلو وحامض .. وعذب وأجاج .. وحار وبارد .. وطيب وخبيث .. وحسن وقبيح .. وحق وباطل .. وخير وشر.

فالقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل .. ومن الحقد والحسد .. ومن الشح والبخل .. ومن الكبر والعلو .. ومن حب الدنيا .. وحب الرياسة.

فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، وسلم من كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله والدار الآخرة.

غذاء القلوب

قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (٢٨) { [الرعد: ٢٨].

وقال الله تعالى: {وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (٨٢) { [الإسراء: ٨٢].

الله عزَّ وجلَّ جعل للقلوب نوعين من الغذاء:

الأول: الطعام والشراب الحسي، وللقلب منه خلاصته وصفوه، ولكل عضو منه بحسب استعداده وقبوله.

الثاني: غذاء روحي معنوي، خارج عن الطعام والشراب من السرور والفرح، والابتهاج واللذة، والعلوم والمعارف.

وبهذا الغذاء كان سماويًا علويًا، وبالغذاء المشترك كان أرضيًا سفليًا، وقوامه بهذين الغذاءين.

وللقلب ارتباط بكل واحدة من الحواس الخمس، وله غذاء يصل إليه منها كحاسة السمع والبصر، وحاسة اللمس والشم والذوق، وارتباطه بحاستي السمع والبصر أشد من ارتباطه بغيرهما، ووصول الغذاء منهما إليه أكمل وأقوى من سائر الحواس. وانفعاله عنهما أشد من انفعاله عن غيرهما، واقترانه في القرآن بهما أكثر من اقترانه بغيرهما.

بل لا يكاد يقرن إلا بهما أو بأحدهما كما قال سبحانه: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٧٨) [النحل: ٧٨].

وتأثر القلب بما يراه ويسمعه، أعظم من تأثره بما يلمسه ويذوقه ويشمه، ولأن هذه الثلاثة هي أهم طرق العلم وهي السمع والبصر والعقل.

وتعلق القلب بالسمع والبصر، وارتباطه بهما، وتأثره بهما لا يخفى، لكن ما يدركه بحاسة السمع من العلم والهدى أعم وأشمل، وما يدركه بحاسة البصر أتم وأكمل.

فللسمع العموم والشمول، والإحاطة بالموجود والمعدوم، والحاضر والغائب، والحسي والمعنوي، وللبصر التمام والكمال.

وهذه الحواس الخمس لها أشباح وأرواح، وأرواحها حظ القلب ونصيبه منها.

فمن الناس من ليس لقلبه منها نصيب إلا كنصيب الحيوانات البهيمية منها، فهو بمثلتها كما قال سبحانه: { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) } [الفرقان: ٤٤]

ولهذا نفى الله تبارك وتعالى عن الكفار السمع والبصر والعقل، لعدم انتفاعهم بها كما قال سبحانه: { وَكَأَنَّهُمْ كَثِيرٌ مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) } [الأعراف: ١٧٩].

فهم يسمعون ويصرون بالحواس الظاهرة، وبهما قامت عليهم الحجة، ولا يسمعون ولا يصرون بالحواس الباطنة، التي هي سماع القلب، التي هي روح حاسة السمع، التي هي حظ القلب، ولو سمعوه من هذه الجهة، لحصلت لهم الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة. وتعلق السمع الظاهر الحسي بالقلب، أشد من تعلق البصر به، وآثاره على قلب الإنسان أسرع وأشد، فرمما غشي على الإنسان إذا سمع كلاماً يسره أو يسوؤه، أو صوتاً لذيذاً طيباً مناسباً، ولا يحصل له ذلك من رؤية الأشياء بالبصر الظاهر إلا نادراً. فإذا كان المسموع معنى شريفاً بصوت لذيذ، حصل للقلب حظه ونصيبه من إدراك المعنى، وابتهج به أتم ابتهاج على حسب إدراكه له، كما يحصل للقلب عند سماع آيات القرآن المرتلة.

٨ - فقه أعمال القلوب

قال الله تعالى: { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) } [الحج: ٣٢]. وقال الله تعالى: { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) } [النور: ٥٢].

الأوامر تنزل في كل لحظة من ذات الله تبارك وتعالى، والأعمال تصدر من ذات الإنسان، فإذا تطابقت الأوامر والأعمال، فلهذا الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة، وإذا خالفت أعمال الإنسان أوامر الرب، شقي هذا الإنسان في الدنيا والآخرة.

والأعمال التي تصدر من الإنسان نوعان:

أعمال القلوب .. وأعمال الجوارح.

وأعمال القلوب من أصول الإيمان وقواعد الدين:

كالإيمان والتوحيد .. ومحبة الله ورسوله .. والتوكل على الله .. وإخلاص الدين له .. واليقين على ذاته وأسمائه وصفاته .. والخوف منه .. والرجاء له .. والحشية منه .. والخشوع له .. والتذلل والتضرع بين يديه .. والصبر على حكمه، والاستعانة به ونحو ذلك. فهذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق، والناس فيها على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات:

ظالم لنفسه .. ومقتصد .. وسابق بالخيرات.

فالظالم لنفسه: هو العاصي بترك مأمور، أو فعل محظور.

والمقتصد: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات.

والسابق بالخيرات: المتقرب إلى ربه بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب، التارك

للمحرم والمكروه، الذاكر لربه في كل حين.

وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح، كلاهما مطلوب، لكن الأول أساسي للثاني، والثاني

مظهره وعلامته، لكنه لا يقبل بدونه.

وإنما خص الله أعمال القلوب بالتحصيل دون أعمال الجوارح، لأن أعمال الجوارح تابعة

لأعمال القلوب، فلولا إرادة القلب لم تحصل أفعال الجوارح ولهذا قال سبحانه: {أَفَلَا يَعْلَمُ

إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)}

[العاديات: ٩ - ١١].

وجعل الله القلوب الأصل في المدح كما قال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)} [الأنفال: ٢].

وجعلها الأصل في الذم كما قال سبحانه: {وَمَنْ يَكْتُمهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ} [البقرة: ٢٨٣].

ويا بشرى لكل من بادر للقيام بالأعمال الصالحة ابتغاء وجه ربه الأعلى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)} ... [البقرة: ٢٥].

هذا ما ندعو إليه .. وهذا ما نحبه لأنفسنا .. وهذا ما نحبه لكل إنسان إلى يوم القيامة: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} [إبراهيم: ٥٢].

وكل ما نحبه ونرجوه أن يصلح الله أحوال الأمة في الدنيا .. وأن يسكنهم الجنة في الآخرة .. وأن يهديهم إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة: {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)} [هود: ٨٨].

اللهم: {رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)} [آل عمران: ٨].

{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)}

[الأعراف: ٢٣]. {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)}

[آل عمران: ٥٣]. {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

(٧٤)} [الفرقان: ٧٤]. {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَىٰ

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧)} [آل عمران: ١٤٧].

{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) } [النمل: ١٩].
 { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) } [نوح: ٢٨].

{ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) } [البقرة: ٢٠١].
 { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) } [البقرة: ٢٨٦].

{ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) } [الأنبياء: ٨٧].
 «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه .
 «اللَّهُمَّ! إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» أخرجه أحمد والترمذي .

«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا» أخرجه مسلم.
 سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)} [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢].

الموت :

الحمد لله المفرج للركب عقب الشدة المنجي لخلص عباده من غياهب الظلم المعدة والصلاة والسلام على سيد الأنام وعلى آله وصحبه الكرام ، أما بعد :

يجب على المسلم الاستعداد لتزول الموتقال الله تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.) إلى آخر السورة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه وآخر إلى جبينه وآخر أبعد منه فقال: " أتدرون ما هذا؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم قال: " هذا الإنسان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل ".

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل وهو يعظه: " اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك " وكتب الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشيخ أبي الفتح بن سلامة " قرع سمعي بأنك تلتمس مني كلاما وجيزا في معرض النصح والوعظ وإني لست أرى نفسي أهلا له فإن الوعظ زكاة نصابها الاتعاض فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ".

وقد أوصى الله تعالى عيسى بن مريم عليهما السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم: " تركت فيكم ناطقا وصامتا " فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لم يتعظ بهما كيف يعظ غيره، ولقد وعظت نفسي بهما وقبلت وصدقت قولها وعملا وأبت وتمردت

تحقيقا وفعلا فقلت لنفسي أما أنت مصدقة بان القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المتزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت: بلى فقلت لها قد قال الله تعالى: (من كان يريد الحياة للدينا وزنتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين لبس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وبطل ما كانوا يعملون).

فقد وعد الله بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على تناول أذ الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنفت منها، أفكان النصراني عندك أصدق من الله تعالى فإن كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشد عليك من النار فإن كان كذلك فما أجهلك فصدقت فما انتفعت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد اخبر الناطق عن الصامت.

قال الله تعالى: (قل إن الموت الذي تفرون منه ملائكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

وقلت لها هي أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا منك كل ما أنت راغبة فيه وأن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس بآت.

وقد قال الله تعالى: (أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون).

فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان منها قولاً لا يحصل وراءه ولم تجتهد قط في تزود الآخرة كاجتهادها في تدبير العاجلة ولم تجتهد في رضى الله تعالى كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضى الخلق ولم تستحي من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه

مع إن الموت ربما يحطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن تحتطف منها، فقلت لها ألسنت تستعدين للصيف بمقدار طولته وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرحص في تركه إلا الحمق ثم استمرت على سجيتهما ووجدتني كما قال بعض الحكماء في الناس من يترجر نصفه ثم لا يترجر نصفه الآخر وما أراي إلا منهم ولما رأيتها متمادية في الطغيان غير منتفعة بمواعظ الموت والقرآن رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فإن ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موص نفسي وإياك بالحذر منه هو الداء العظيم وهو السبب الداعي إلى الغرور والإهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فإنه لو أخطر صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليله أو يموت إلى أسبوع أو شهر لاستقام على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه الله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يؤمل أنه يمسي أو أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويق ولم يقدر إلا على سير ضعيف.

فأوصيك ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: " صل صلاة مودع " ولقد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به ومن غلب على ظنه في كل صلاة أنها آخر صلواته حضر معه خوفه من الله تعالى وخشيته منه ومن لم يخطر بمخاطره قصر عمره وقرب أجله وغفل قلبه عن صلواته وسئمت نفسه فلا يزال في غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويق متتابع إلى أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فيني طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى من نفسه إلا بما وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فإن خداعها لا يقف عليه إلا الأكياس وقليل ما هم والوصايا وإن كانت كثيرة والمذكورات وإن كانت

كبيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأجمعها وقد قال الله عز وجل في محكم القرآن: (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله).

فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها لنفسه ليجدها يوم مردها ومنقلبها وقال يزيد الرقاشي كان في بني إسرائيل جبار من الجبابرة وكان في بعض الأيام جالسا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فاشتد خوفه من هجومه وهيئته وقدمه فوثب في وجهه وقال له: " من أنت أيها الرجل ومن أذن لك في الدخول إلى داري فقال أذن لي صاحب الدار وأنا الذي لا يحجبني حاجب ولا أحتاج في دخولي على الملوك إلى إذن ولا أرهب سياسة السلطان ولا يفزعني جبار ولا أحد من قبضتي فرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه ووقعت الرعدة في جسده وقال: أنت ملك الموت قال: نعم قال أقسم عليك بالله إلا أمهلتني يوما واحدا لأتوب من ذنبي وأطلب العذر من ربي وأرد الأموال التي أودعتها خزائني إلى أربابها ولا أتحمل مشقة عذابها، فقال كيف أمهلك وأيام عمرك وأيام عمرك محسوبة وأوقاتها مثبتة مكتوبة فقال أمهلتني ساعة، فقال إن الساعات في الحساب وقد عبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد، فقال من يكون عندي إذا نقلتني إلى لحدي فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال ما لي عمل؟ فقال لا جرم يكون مقيلك في النار ومصيرك إلى غضب الجبار " وقبض روحه، فخر عن سريريه وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ولو عملوا ما يصير إليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر.

سكرات الموت

قال الله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).
وقال تعالى: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد).

روي البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها قالت: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يديه فجعل يقول إلى الرفيق الأعلى حتى قبض " وفي صحيحه: " لما ثقل صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فجعلت فاطمة رضي الله عنها تقول واكرب أبتاه فقال صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم " ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على مريض فقال " إني لأعلم ما يلقي ما فيه عرق إلا وهو يألم بالموت على حدته ". ويروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لو أن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السماوات والأرض لمتوا بأذن الله تعالى " وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين " هو كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى " وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال في سبيل الله ويقول " إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ". وقال شداد بن أوس: الموت أقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمنشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم، ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما مات قال الله عز وجل له " كيف وجدت الموت " قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال: "أما إنا قد هونا عليك ". وعن موسى صلوات الله عليه أنه لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له " يا موسى كيف وجدت الموت " قال: وجدت نفسي كشاة حية بيد القصاب تسلخ.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنهم كانت فيهم أعاجيب " ثم أنشأ يحدث قال " خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض

الأموات يخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر تلاشى بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلي فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول لوددت لو أبي رأيت رجلا ليبيأ حازما قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت فلما أنزل به الموت قيل له يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت لو أبي رأيت رجلا ليبيأ حازما قد نزل به الموت يخبرني عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه. فقال: أجد كأن السماوات انطبقن على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسي تخرج على ثقب إبرة".

ويروى أن إبراهيم الخليل قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال أتطبق ذلك؟ قال بلى فأعرض ثم التفت فإذا هو رجل أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكان ذلك حسبه.

وروى عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه عمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدته درجته في الجنة وإن الكافر إذا كان عمله معروفا في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار.

وروي البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من قبل أن أراه ". وقيل لم يلق ابن آدم أشد من الموت وما بعده أشد منه.

وفي الوسيط للواحدي بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأمراض والأوجاع كلها يريد الموت ورسول الموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه وقال أيها العبد كم خبر بعد وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر

ليس بعدي خبر وأنا الرسول ليس بعدي رسول أحب ربك طائعا أو مكروها فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون؟ فوالله ما ظلمت له أجلا ولا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقى منكم أحدا". وعن أنس بن مالك قال: "لقي جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال يا ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء هاهنا عشرة آلاف وهاهنا كذا وكذا؟ فقال ملك الموت تزوى لي الأرض حتى كأنهم بين فخذي فألتقطهم بيدي".

اعلم لو أنا انتظرنا ضربة شرطي لتكدر عيشنا وفي نفس يمكن مجيء الموت بشدائده وهو أمر من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ويود لو قدر على صياح وأنين ويجذب روحه من كل عضد وعرق فتبرد قدماه، ثم فخذاه وهكذا حتى يبلغ الحلقوم فعنده ينقطع نظره إلى دنياه ويغلق عنه باب توبته فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر"

قال الشاعر :

يا فرقة الأحباب لا بد لي منك ... ويا دار دنيا إني راحل عنك
ويا قصر الأيام مالي وللمنى ... ويا سكرات الموت مالي وللضحك
فما لي لا أبكي لنفسى بعبرة ... إذا كنت لا أبكي لنفسى فمن يبكي
ألا أي حي ليس بالموت موقنا ... وأي يقين أشبه اليوم بالشك

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. وأنفقوا من ما رزقكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرجتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين. ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون).

وفي كتاب الترمذي قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أكثرُوا ذكر هازم اللذات الموت".

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده " وفي رواية مسلم: " يبيت ثلاث ليال " قال ابن عمر رضي الله عنهما ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور " أي لا تركزن إليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه. لا تشتغل فيها به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

اللهم أجعلنا ممن الذين يقول لهم خزنة الجنة إذا جاؤوها: (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مايفعل بالمختضر والميت :

الحمد لله العلي العظيم، حمداً مباركاً كما ينبغي لجلال وجهه الكريم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وصلى الله وسلم على آله وعترته الطاهرين الطيبين، وصحبه السادة المقربين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد : ينبغي لكل عاقل أن يكون شديد الخوف من عذاب ربه، وأن يكثر ذكر الموت في جميع أحواله، وأن يكون أجله بين عينيه، فيقصر أمله، ويبادر إلى التوبة، ويتحلل من مظالم الناس خوفاً من فجأة الموت؛ فإن الله -تعالى- لم يجعل للموت وقتاً معيناً، ولا علامة معلومة، حتى يأمن من هجومه قبلها، فكم من صحيح فجأه الموت، ومريض طال مرضه، ثم عوفي، وأنشد في ذلك:

تزود من الدنيا قليلاً فما تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

قال تعالى {وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت} {لقمان: ٣٤}.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات" يعني: الموت، عن ابن عمر -رضي الله عنه-، قال: أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بمنكبي، فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك .

فإذا مرض إنسان، واشتد تألمه، فليصبر، ولا يكثر الشكوى، ولا الجزع، ففي حسن الصبر جزيل الأجر، مع أن الشكوى والجزع لا يفيدان شيئاً.

ويستحب عيادة المريض المسلم؛ لما روى البراء بن عازب، قال: أمرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- باتباع الجنائز، وعيادة المرضى .

وما روى زيد بن أرقم، قالعادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من وجع كان بعيني، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

فإن رجاه، دعا له، ويستحب أن يقول: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، سبع مرات؛ لما روي: أن النبي -صلى الله عليه وسلم-: قال: "من عاد مريضا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، عافاه الله من ذلك المرض" .

وإن رآه مترولا به، فالمستحب أن يلقيه قول: لا إله إلا الله؛ لما روى أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله" ، وقال: "من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة" ، وليرفق في ذلك، ولا يلح عليه إلحاحا يضجره، لا سيما إن كان وارثه، أو عدوه، ونحو ذلك. ويكره للمريض أن يتمنى الموتع أنس ، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تدعوا بالموت، ولا تتمنوه، فمن كان داعيا، فليقل: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي" وينبغي للمريض أن يحسن الظن بربه، مع خوفه منه .

ما ينبغي أن يفعل بالمتضرر: وذلك ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يوجه إلى القبلة، فيضع على جنبه الأيمن، وصدرة إلى القبلة؛ كما يجعل في لحده، فإن تعذر ذلك، فعلى ظهره، وأخصاه إلى القبلة ، قال ابن حبيب: ولا أحب لأهل الميت توجيهه حتى يغلب، ويعاين، ويوقن بالموت ، ومن علامة ذلك: إحداد نظره، وإشخاص بصره.

الثاني: أن يلقن الشهادتين: لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ، فعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله" ، ولا ينبغي أن يلح عليه بالتلقين فيضجره؛ كما تقدم، فإذا قالها مرة، كفاه، بل إن اعتقدها، ولم ينطق، كفاه ذلك.

الثالث: قراءة: سورة (يس)، وقد اختلف في ذلك، فاستحب، وكره خوف التحديد، ولم يكن ذلك عند مالك أمرا معمولا به ، ووجه الاستحباب: حديث معقل بن يسار، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حضرتم المريض، أو الميت، فقولوا خيرا"، وقال: فاقروا، وكبروا؛ "فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" ، وقد فسرت القراءة - (يس) ، ويستحب أن لا يقربه حائض ولا جنب . ولا بأس بالبكاء بالدموع حينئذ وحسن التعزي والتصبر أجمل لمن استطاع وينهى عن الصراخ والنياحة .

ما يفعل بالميت إذا مات قبل أن يغسل: وذلك سبعة أشياء:

أحدها: تغميضه؛ لأن فتح عينيه يقبح منظره، عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، وقال: "إن الروح إذا قبض، تبعه البصر" ، وينبغي أن يتولى الإغماض أرفق أوليائه بمأسهل ما يقدر عليه.

الثاني: أن يشد لحيه الأسفل بعصابة عريضة، ويربطها من فوق رأسه؛ لئلا يسترخي لحياه، فينفتح فوه، ويدخل الهوام إلى جوفه، فيقبح بذلك منظره أيضا.

الثالث: تليين مفاصله عقب موته؛ لأن ذلك أبقى للينها، فيرد ذراعيه إلى عضديه، ويمدهما، ويرد فخذه إلى بطنه، ويردهما فيمدهما ، ورجليه إلى فخذه، ثم يمدهما؛ فإن ذلك يعين الغاسل على تمديده وتكفينه.

الرابع: المبادرة إلى خلع ثيابه، لأن الثياب تحمي الجسم، فيسرع إليه التغيير والفساد.

الخامس: أن يوضع على سرير أو لوح؛ حتى لا تصيبه نداوة الأرض، فتغيره ، وتسرع إليه هوام الأرض، فحفظه بذلك برفعه عن الأرض أولى.

السادس: تثقيب بطنه لثلا يعلو، فيجعل عليه سيف، أو حديدة، فإذا لم يكن، فطين مبلول؛ لما روي: أن مولى لأنس مات، فقال أنس -رضي الله عنه-: ضعوا على بطنه حديدة .

السابع: تسجيته بثوب، فإنه أستر؛ لما روت عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سجي بثوب حبرة .

ولا ينبغي أن يعجل بغسله إلا بعد أن تتحقق وفاته، وذلك بعد أن ترى فيه علامات؛ منها: أنتسرخي قدماه فلا تنتصبان ، ويميل أنفه، وتنفرج زندا يديه ، وقال الشافعي: ولا ينبغي أن يعجل بغسله؛ لأنه قد يغشى عليه، فيخيل إليهم أنه قد مات، ولم يمت .
فإذا تحقق، فالأولى المبادرة بغسله وتجهيزه ودفنه ، وقال ابن شعبان: لا يؤخر غسل الميت بعد خروج روحه -يريد: خوف انفجاره، أو تغير رائحته .

ليس في غسل الميت حد ولكن ينقى ويغسل وترا. نماء وسدر ويجعل في الأخيرة كافور وتستر عورته ولا تقلم أظفاره ولا يخلق شعره ويعصر بطنه عصرا رقيقا وإن وضىء وضوء الصلاة فحسن وليس بواجب ويقلب لجنبه في الغسل أحسن وإن أجلس فذلك واسع ولا بأس بغسل أحد الزوجين صاحبه من غير ضرورة والمرأة تموت في السفر لا نساء معها ولا محرم من الرجال فليميم رجل وجهها وكفيها ولو كان الميت رجلا يم النساء وجهه ويديه إلى المرفقين إن لم يكن معهن رجل يغسله ولا امرأة من محارمه فإن كانت امرأة من محارمه غسلته وسترت عورته وإن كان مع الميتة ذو محرم غسلها من فوق ثوب يستر جميع جسدها ويستحب أن يكفن الميت في وتر ثلاثة أثواب أو خمسة أو سبعة وما جعل له من وزرة وقميص وعمامة فذلك محسوب في عدد الأثواب الوتر وقد كفن النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية أدرج فيها إدراجا صلى الله عليه وسلم ولا بأس أن يقمص الميت ويعمم وينبغي أن يحنط ويجعل الحنوط بين أكفانه وفي جسده ومواضع السجود منه ولا يغسل الشهيد في المعترك ولا يصلى عليه ويدفن بثيابه ويصلى على قاتل نفسه ويصلى

على من قتله الإمام في حد أو قود ولا يصلي عليه الإمام ولا يتبع الميت بمحجر والمشى أمام الجنائز أفضل ويجعل الميت في قبره على شقه الأيمن وينصب عليه اللبن ويقول حينئذ اللهم إن صاحبنا قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره وافتقر إلى ما عندك اللهم ثبت عند المسألة منطقته ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويكره البناء على القبور وتخصيصها ولا يغسل المسلم أباه الكافر ولا يدخله قبره إلا أن يخاف أن يضيع فليواره واللحد أحب إلى أهل العلم من الشق وهو أن يحفر للميت تحت الجرف في حائط قبلة القبر وذلك إذا كانت تربة صلبة لا تتهيل ولا تتقطع وكذلك فعل برسول الله صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على الجنائز والدعاء للميت

والتكبير على الجنائز أربع تكبيرات يرفع يديه في أولاهن وإن رفع في كل تكبيرة فلا بأس وإن شاء دعا بعد الأربع ثم يسلم وإن شاء سلم بعد الرابعة مكانه ويقف الإمام في الرجل عند وسطه وفي المرأة عند منكبيها والسلام من الصلاة على الجنائز تسليمة واحدة خفية للإمام والمأموم وفي الصلاة على الميت قيراط من الأجر وقيراط في حضور دفنه وذلك في التمثيل مثل جبل أحد ثوبا ويقال في الدعاء على الميت غير شيء محدود وذلك كله واسع ومن مستحسن ما قيل في ذلك أن يكبر ثم يقول الحمد لله الذي أمات وأحيا والحمد لله الذي يحيي الموتى له العظمة والكبرياء والملك والقدرة والسناء وهو على كل شيء قدير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك أنت خلقتهم ورزقتهم وأنتمتهم وأنت تحييهم وأنت أعلم بسرهم وعلايتهم جئناك شفعا له فشفعنا فيه اللهم إنا نستجير بجبل جوارك له إنك ذو وفاء وذمة اللهم قه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وعافه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بماء وتلج وبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله

وزوجا خيرا من زوجة الله إن كان محسنا فزد في إحسانه وإن كان مسينا فتجاوز عنه اللهم إنه قد نزل بك وأنت خير منزول به فقير إلى رحمتك وأنت غني عن عذابه اللهم ثبت عند المسألة منطلقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده تقول هذا يباثر كل تكبيرة وتقول بعد الرابعة اللهم اغفر لحينا وميتنا وحاضرنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا إنك تعلم متقلبنا ومثوانا ولوالدينا ولمن سبقنا بالإيمان وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم من أحييتهمنا فأحيه على الإيمان ومن توفيته منا فتوفه على الإسلام وأسعدنا بلقائك وطيبنا للموت وطيبه لنا واجعل فيه راحتنا ومسرتنا ثم تسلم وإن كانت امرأة قلت اللهم إنها أمتك ثم تتماذى بذكرها على التأنيث غير أنك لا تقول وأبدلها زوجا خيرا من زوجها لأنها قد تكون زوجا في الجنة لزوجها في الدنيا ونساء الجنة مقصورات على أزواجهن لا يغيبن بهم بدلا والرجل قد يكون له زوجات كثيرة في الجنة ولا يكون للمرأة أزواج ولا بأس أن تجمع الجنائز في صلاة واحدة ويلى الإمام الرجال إن كان فيهم نساء وإن كانوا رجالا جعل أفضلهم مما يلي الإمام وجعل من دونه النساء والصبيان من وراء ذلك إلى القبلة ولا بأس أن يجعلوا صفا واحدا ويقرب إلى الإمام أفضلهم وأما دفن الجماعة في قبر واحد فيجعل أفضلهم مما يلي القبلة ومن دفن ولم يصل عليه وووري فإنه يصل على قبره ولا يصل على من قد صلى عليه ويصل على أكثر الجسد واختلف في الصلاة على مثل اليد والرجل ، الدعاء للطفل والصلاة عليه وغسله

تثني على الله تبارك وتعالى وتصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم تقول اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك أنت خلقته ورزقته وأنت أمته وأنت تحييه اللهم فاجعله لوالديه سلفا وذخرا وفرطا وأجرا وثقل به موازينهم وأعظم به أجورهم ولا تحرمنا وإياهم أجره ولا تفتنا وإياهم بعده اللهم ألحقه بصالح سلف المؤمنين في كفالة إبراهيم وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وعافه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم تقول ذلك في كل

تكبيرة وتقول بعد الرابعة اللهم اغفر لأسلافنا وأفراطنا ولمن سبقنا بالإيمان اللهم من أحييته منا فأحيه على الإيمان ومن توفيته منا فتوفه على الإسلام واغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ثم تسلم ولا يصلى على من لم يستهل صارخا ولا يرث ولا يورث ويكره أن يدفن السقط في الدور ولا بأس أن يغسل النساء الصبي الصغيرين ست سنين أو سبع ولا يغسل الرجال الصبية واختلف فيها إن كانت لم تبلغ أن تشتهى والأول أولى.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وصف الجنة :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

قال الله تعالى: { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى } ، وقال: { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا } ، وقال: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا } { أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا } ، وقال: { سَابِقُوا إِلَى مَعْفُورَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ، وقال: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ } { الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }

إن الله تبارك وتعالى الذي أخبر عما في الجنة من أنواع الأطعمة، والأشربة، والملاذ المتنوعة قد أشهد عبادهفي هذه الدار من آثار الجنة وأتمودجا منها: من الراححة الطيبة،

واللذات المشتهة، والمناظر البهية، والفاكهة الحسنة، والنعيم، والسرور، وقوة العين. وقد روى أبو نعيم عن جابر، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يقول الله - عز وجل - للجنة: طيبي لأهلك، فترداد طيبا، فذلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذلك» كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكر بنار الآخرة. وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم» فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته، وما يذكرهم بها، مع أنه ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: «اطلبوا الجنة جهدكم، واهربوا من النار جهدكم؛ فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها» ويقول: «لا تنسوا العظيمنتين. قلنا: وما العظيمنتان يا رسول الله؟ قال: الجنة والنار» وفي الحديث المرفوع: «ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان، تقول الجنة: يا رب قد طاب ثمري، واطردت أنهارى، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إلي بأهلي. وتقول النار: اشتد حرى، وبعد قعري، وعظم جمري، فعجل إلي بأهلي». وروى الحسن بن سفيان بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كثروا من مسألة الله الجنة، واستعيذوا به من النار، فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك هذا سألنيك فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب عبدك هذا استعاذ بك مني فأعذه» .

والجنة -يا عباد الله- اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين، والمسكن، والقصور، وجميع ما تشتهيئه الأنفس، وتلد الأعين، ويشنف الأسماع، ويطيب المشام، وهي جنات كثيرة؛ ففي المسند عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام». وقال عفان: كما بين السماء والأرض، والفردوس، أعلاها درجة وفي لفظ «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله». وروى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي

الله عنه، أن أم حارثة بن سراقه أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة- وكان قتل يوم بدر- فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهد في البكاء؟ قال: «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» .

والجنة نوعان -في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وحليهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وروى ابن ماجه في سننه عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا هل من مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها -أي لا عوض لها ولا مثل- هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد، في درا سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة، في محلة عالية بهية. قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها. قال: قولوا: إن شاء الله. قال القوم: إن شاء الله» .

ومن سعة الجنة أن عرض الباب الواحد من أبوابها كما بين مكة والأحساء، قال - صلى الله عليه وسلم -: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر» متفق عليه، وفي حديث آخر «وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام» .

وريجها يوجد من مسيرة مائة عام.

والجنة بعضها أعلى من بعض، في الصحيحين من حديث أبي سعيد، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ، وبعض الجنان غرسها الله بيده زيادة في كرامتها وتفضيلاً أهلها، روى ابن أبي

الدنيا بسنده، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «خلق الله جنة عدن بيده: لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران» ، ثم قال لها: «انطقي قالت: {قد أفلح المؤمنون} [المؤمنون: ١] فقال الله - عز وجل -: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل» ثم تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} [الحشر: ٩] .

أما أدنى أهل الجنة منزلة، فروى مسلم في صحيحه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «سأل موسى - عليه السلام - ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟» وفي رواية: «عن أحسن أهل الجنة منها حظا. قال: رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: ألا ترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهدت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب» الحديث، وروى الطبراني عن ابن عمر مرفوعا: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه» الحديث، وفي الصحيحين عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حيا، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملاء، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملاء. فيقول لله: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملاء، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملاء. فيقول له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشر أمثالها. قال: فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة» .

وأهل الجنة يستوعبون كثيرا مما أعد لهم من النعيم لكمال حياتهم وضخامة أجسامهم، وتوافر قواهم ومع ذلك لا ييلون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يمتنون روى الحاكم بسنده في صحيحه قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل من اليهود، فقال: يا أبا القاسم أأنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون- ويقول لأصحابه إن أقر لي بهذا خصمته- فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بلى والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع». . فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضم» ، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يدخل أهل الجنة الجنة جردا، مردا، مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعا» .

ولأهل الجنة طرب ولذة حين يسمعون غناء الحور العين بالتسبيح والتمجيد والتقدیس والثناء على الرب - عز وجل -، وأكملهم فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، روى الترمذي عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن في الجنة لجمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلهما، يقلن: نحن الخالدات فلا نبئد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له» وروى ابن المبارك عن يحيى بن أبي كثير: «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طال ما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نضعن، والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت. وتقول: أنت حيي وأنا حبيك، ليس دونك مقصر، ولا وراءك معدل» ، وفي حديث أبي أمامة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعته الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان» ، وروى ابن أبي الدنيا بسنده، عن محمد بن المنكدر، قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا يتزهون

أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدي وتمجيدي.

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله، وخطابه، وسلامه عليهم، ومحاضرتهم لهم، ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه من قبل.

وأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضاً، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم؛ ولهذا قال حارثة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقد سأله: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت

ليلي وأضمأت نھاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها. فقال: «عبد نور الله قلبه» وفي حديث أبي أيوب: «أنهم يتزاورون على النجائب» .

ومنتدى أهل الجنة ومتحدثهم تحت شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. ولهم زيارة أخرى أعلا من هذه وأجل، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه، ويسمعهم كلامه، ويحل عليهم رضوانه، والجنة فوق السموات تحت العرش، عرضها كعرض السماء والأرض لو وصلت إحداهما بالأخرى، هذا وصف الجنة التي جعلها الله مقراً لأحبابه، وملاًها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بخذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص. وأهل البشرى بما هم أهل الإيمان والتقوى والعمل الخالص لله الموافق للسنة لإخلاص في طاعة الله، وإحسان إلى خلقه، وهم أربعة أصناف من الرجاء والنساء، ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً} [النساء: ٦٩] . وعن ابن عباس

رضي الله عنهما قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة: النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة. ونساءكم من أهل الجنة الودود الولود، التي إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها، ثم تقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى» أخرجہ النسائي وبقية على شرطه.

فاتقوا الله عباد الله، وأكثروا من سؤال الله الجنة، واعملوا لها أعمالها من واجب واجتناب محرم، واسألوه الفردوس منها، فإنه أعدل الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة. واسألوه تعالى العون على أعمال أهل الجنة، قال تعالى : {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم} [الحديد: ٣٧] ، قال تعالى : {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حيوه طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون طيبة} [النحل: ٩٧] ، اللهم ثبتنا على الإيمان والعمل الصالح، وأحينا حياة طيبة، وألحقنا بالصالحين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وصف النار :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد :

خلق الله تعالى النار وجعلها مثوى للكافرين وعاقبة للمجرمين والمتكبرين فهو الحكم العدل شديد العقاب وأحكم الحاكمين وحذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنذر وأخبر أنها مثوى الظالمين ، قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة} التحريم: ٦ . وقال - صلى الله عليه وسلم - ((ما منكم من أحد إلا

سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك))
شدة حرها:

قال الله تعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} ، وقال: {كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى} { نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى} ،
وقال تعالى: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها".

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط"

أول من تسعر بهم النار من الموحدين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه

وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار"

فالإصرار على بعض المعاصي والكبائر يوجب دخول النار، لكن الخلود فيها للمشركين والكفار، قال تعالى {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين} النساء: ١٤.

أما قول الله تعالى {وإن منكم إلا واردة} مريم: ٧١. فالورود هنا بمعنى المرور على الصراط المبني فوق جهنم، ثم قال تعالى {ثم نحسي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً} مريم: ٧٢.

إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم، فليست حالهم واحدة ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً، ولكن لهم مواقف وأحوال واختلفت الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم وجملة ذلك أنها خمسة أحوال: حال البعث من القبور، والثانية حال السوق إلى مواضع الحساب والثالثة حال المحاسبة، والرابعة حال السوق إذا دار الجزاء، والخامسة حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها.

الحالة الأولى: حال البعث من القبور: فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح لقول الله تعالى {يتعارفون بينهم} وقوله {يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً} وقوله {فإذا هم قيام ينظرون} وقوله: {قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين} إلى قوله {ترجعون}.

والحالة الثانية: حال السوق إلى مواضع الحساب وهم أيضاً في هذه الحال بحواس تامة لقوله عز وجل {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون} {من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم} {وقفوهم إنهم مسؤولون} ومعنى فاهدوهم أي دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة.

والحالة الثالثة: وهي حالة المحاسبة وهم يكونون فيها أيضاً كاملي الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرأوا كتبهم الناطقة بأعمالهم وتشهد عليهم جوارحهم بسيناتهم، فيسمعونها وقد أخبر الله تعالى أنهم يقولون {مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها} وأنهم يقولون لجلودهم {لم شهدتم علينا} وليشاهدوا أحوال القيامة وما كانوا مكذبين في الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها. وأما الحالة الرابعة: وهي السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألستهم لقوله تعالى {ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم} ويحتمل أن يكون قوله تعالى {يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام} إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق.

والحالة الخامسة، حال الإقامة في النار. وهذه الحالة تنقسم إلى بدو ومآل. فبدوها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عمياً وبكماً وصماً إذلاً لهم تمييزاً عن غيرهم، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين، فيستقرون في النار ناطقين سامعين مبصرين ولهذا قال الله تعالى {وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي} وقال {لو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين} وقال {كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أحرهم لأولاهم} إلى قوله {وقالت أولاهم لأحراهم} وقال {كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير* قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء} وأخبر تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون {أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله} وأن أهل الجنة ينادونهم {أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم} وأنهم يقولون {يا مالك ليقض علينا ربك} فيقول لهم {إنكم ما كنتم} وأنهم

يقولون لخزنة جهنم {ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب} فيقولون لهم {أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال} .
وأما العقبي والمال فإنهم إذا قالوا: {أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون} فقال الله تعالى {احسبوا فيها ولا تكلمون} وكتب عليهم الخلود بالمثل الذي يضرب لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى المكوت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام، لكن سلب السمع يقين، لأن الله تعالى يقول: {لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون} فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق، ويحتمل أن تكون الحكمة في سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على ألسنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه، وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته، فلما كانت حجة الله عليهم في الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم في الأخرى بسلب الأسماع يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: وفي آذاننا قر ومن بيننا وبنيك حجاب وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيهون قوم نوح عليه السلام كانوا يستغشون ثيابهم تسترا منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه وقد أخبر الله تعالى عن الكفار في وقت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فقال: ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم وإن سلبت أبصارهم فلائهم أبصروا الغير فلم يعتبروا والنطق فلائهم أوتوه فكفروا فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا .

وصف النار وعذابها :

١ - الخلود الدائم؛ قال تعالى {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين} النساء: ١٤ . وقال - صلى الله عليه وسلم - ((ثم يقال ... ويا أهل النار خلود فلا موت فيها))

- ٢ - أبواهما؛ قال تعالى {لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم} الحجر: ٤٤ .
 أي: فريق معيّن متميز عن غيره.
- ٣ - سعتها وعظمتها؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها))
- ٤ - حرها؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم))
- ٥ - قعرها؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهدوي بها سبعين عاما ما تفضي إلى قرارها))
- ٦ - دركاتهما؛ فلجنة درجات وللنار دركات، قال تعالى {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} النساء: ١٤٥ .
- ٧ - أوديتها؛ قال تعالى {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون ويمنعون الماعون} الماعون: ٤ - ٧. والويل: وادي في جهنم.
- ٨ - سجونها؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((يحشر المتكبرين يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال))
- ٩ - عذابها؛ قال تعالى {يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد} الحج: ١٩. مقامع: أي مطارق أو سياط، وقال تعالى {كلا إنها لظى. نزاعة للشوى} المعارج: ١٥. وقال تعالى {لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل} الزمر: ١٦. وقال - صلى الله عليه وسلم - ((يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب)).

١٠ - سلاسلها وأغلالها؛ قال تعالى { إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون }
غافر: ٧١.

١١ - أجسادهم؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة)).

١٢ - وجوههم؛ قال تعالى { ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة } الزمر: ٦٠. وقال تعالى { وتغشى وجوههم النار } إبراهيم: ٥٠. وقال تعالى { إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر } القمر: ٤٧.
١٣ - لباسهم؛ قال تعالى { فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار } الحج: ١٩. أي:
فصلت.

١٤ - طعامهم؛ قال تعالى { إن شجرة الزقوم طعام الأثيم. كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم } الدخان: ٤٣. وقال تعالى عن شجرة الزقوم { فإنهم لا كلون منها فمألون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم } الصافات: ٦٦. وقال - صلى الله عليه وسلم - عن شجرة الزقوم ((لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن تكون طعامه)) وقال تعالى { ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغني من جوع } الغاشية: ٦. والضريع: نوع من الشوك، وقال تعالى { ولا طعام إلا من غسلين } الحاقة: ٣٦. الغسلين: صديد أهل النار أو شجر فيها.

١٥ - شراهم؛ قال تعالى { من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد. يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ } إبراهيم: ١٦.
الصديد: ما يسيل من أجساد أهل النار، ويتجرعه: أي يتكلف بلعه لمرارته، ويسيغه: أي يتلعه لشدة كراهته. وقال تعالى { وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا } الكهف: ٢٩.

والعذاب في النار يتفاوت على حسب أعمالهم .

- أشد الناس عذابا؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((أشد الناس عذابا للناس في الدنيا، أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة))

- يليهم العذاب كل على حسب عمله قال - صلى الله عليه وسلم - ((منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته)).

- أدناهم عذابا؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أحمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه)).

فالنار فيها كل أصناف العذاب ما يعلمه الإنسان وما لا يعلمه قال تعالى {وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون} الزمر: ٢٩. وقال تعالى {وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون} الزمر: ٤٧. فسبيل النجاة منها هو ترك المعاصي والبعد عن طرق الشهوات والشبهات واجتناب النواهي والإقبال على الطاعات.

من صفات أهل النار

قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى} {وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} {فَإِنَّ الْحَجِيمَ هِيَ الْمَاوَى} ، وقال: {ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ} .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احتجت الجنة والنار، فقالت هذه: يدخلي الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلي الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشياء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء، ولكل واحدة ملؤها" أخرجه مسلم .

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا بلى، قال صلى الله عليه وسلم كل ضعيف متضعف لو أقسم على

الله لأبره، ثم قال: ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى، قال: كل عتل جواظ مستكبر" أخرجه مسلم . (والعتل الجواظ هو: الجافي الشديد الخصومة والجموع المنوع المختال في مشيته).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت (أي: الجمال)، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها" أخرجه مسلم

(ومعنى كاسيات عاريات: أي تستر بعض بدنها وتكشف بعضه، وقيل معناه: تلبس ثوباً رقيقاً يصف بدنها) ، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه في النار (يعني: أمعاؤه) فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ ليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية".

من العقوبة المرصودة للظالمين الأحداث التالية:

- حبوط أعمالهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} .
- خيبة أملهم في الأوثان التي أشركوها مع الله: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ} .

- يأسهم من رحمة الله: {أُولَئِكَ يَتَسَوَّأْنَ مِنْ رَحْمَتِي} .
- ومن مغفرته: {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ} .
- ومن رؤيته: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} .
- ومن نظره وتزكيتته: {وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ} .
- حرمانهم من النور "الذي يبحثون عنه لدى المؤمنين بلا جدوى": {قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} .

- ومن السمع، والبصر، والكلام "لحظة البعث": { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصَمًّا } .

- ومن كل اشتهاؤهم: { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } .

- بأسهم من الحياة الآخرة: { قَدْ يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ } .

- حيث لا نصيب لهم فيها: { أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ } .

- ويخذلون: { لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } .

- وحيث ينسون: { الْيَوْمَ نُنَسِّأُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا } .

- ويعدون: { ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّذْحُورًا } .

- ولا مولى لهم ولا ناصر: { وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } .

- ولن تفتح لهم أبواب السماء: { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } .

- ولن يقبل منهم دفاع عن أنفسهم: { وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فِيعْتَدِرُونَ } .

- وفي كلمة واحدة: إحقاقهم: { إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } .

- وخسراهم: { أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } .

- ويوم البعث يمثل الأشرار أمام الله منكسي الرعوس: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو

رُؤُوسِهِمْ } .

- سود الوجوه: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَىٰ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ } .

- عابسة كالحية: { وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ } .

- تعلوها ظلمة وغبار: { وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ } .

- إنهم في ذلك اليوم سوف يودون أن يباعد الله بينهم وبين أعمالهم السيئة: { وَمَا

عَمِلْتُمْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا } .

- ولكن الكتاب هنالك، أحصيت فيه الأعمال على كل إنسان، حتى أتفه تفاصيلها،

ويقولون: { يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا } .

- وأكثر من ذلك هنالك، في أبدانهم، وحواسهم، شهود يشهدونضدهم: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.
- فهم: {يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ}.
- وهم: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.
- وهم مذمومون: {جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا}.
- وملومون: {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا}.
- وممقوتون: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ}.
- ويجللهم الخزي والعار: {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ}.
- ولسوف يعرضون أمام الله، فيراهم الأشهاد ويشيرون إليهم باحتقار: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ}.
- فإذا ما عرفوا حسابهم تمنوا أن لم يكونوا قد عرفوه، وأن لو كان الموت عدماً حقاً لهم: {وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهٖ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهٖ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}.
- ويرون أخيراً العذاب الأليم يقترب: {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ}.
- ويجسون تقطع كل العلائق التي تربطهم بسادتهم، وأتباعهم: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابَ}.
- ويجدون أنفسهم عاجزين عن أن يرجعوا مجرى الزمن، ويعودوا إلى الأرض: {يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ}.

- فليس أمامهم إلا أن يعضوا أصابعهم مع زفرات الأسي: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } .

- ولن يجدوا شيئاً يهدئ عطشهم وجوعهم: { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا } ، { لَيْسَلَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ } .
- إن مسكن المعذبين هو -على نقيض مقام الطائعين- سجن: { وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا } .

- وهو ذو أبواب كثيرة، كل باب يخص طائفة بعينها: { لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } .

- سجن زبانيته من الملائكة الأشداء القساة: { عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } .

- ولكنه سجن تحت الأرض مقسم إلى سرايب مظلمة كثيرة، بعضها تحت بعض: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } .

- وهي نار محكمة الانسداد عليهم: { عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ } .

- وهي حفرة مملوءة ناراً: { وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا } .

- وهي نار متقدة: { تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً } .

- يسمع لها من بعيد زجرة وهدير: { إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا } .

- حتى كأنها بركان نائر: { إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيْقًا وَهِيَ تَفُورُ } .

- فهي تقذف شراراً كالقصور الكبير: { إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ } .

- وهم موثوقو القيود: { وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ } .

- مغلولو الأعناق والأيدي والأقدام: { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ } ، { يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ } .
- مشدودون إلى سلاسل طويلة: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا } .
- "يسحبون على وجوههم" ، { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ } .
- ثم يطرحون في النار على وجوههم: { فَكُتِبَتْ لَهُمْ فِي النَّارِ } .
- وهم مضطرون إلى مكان ضيق: { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا } .
- ليدوقوا عذاباً لا نظير له يومئذ: { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا } .
- يتعرضون فيه لعقاب الإحراق: { وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } .
- فهم غداء جهنم: { فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ حَطَبًا } .
- وكلما أحس العصاة بالعذاب والألم حاولوا الهروب منه، فتدفعهم الزبانية في النار، يضربونهم بهراوات من الحديد: { وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا } .
- ويحيط بهم النكال من كل صوب: { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا } .
- وسيضرب للهب وجوههم: { تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ } .
- وسيسلخ جلدهم: { نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى } .
- وسيحرق لحمهم: { لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ } .
- ويصل إلى قلوبهم: { الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ } .
- أما الذهب الذي يجمعه البخلاء فسوف يُحمى في النار، ثم تكوى به الجباه، والجنوب، والظهور: { يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ } .
- هنالك ستكون صرخات ألم وتوسلات: { وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } .

- وستكون لهم فيها زفرات وشهقات: {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ} .
- وكلما ذابت جلودهم كان لهم غيرها، حتى يذيقهم الله العذاب مضاعفًا، وهكذا إلى الأبد: {سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} .
- ولن يقتصر أمرهم على عذاب الحريق، بل سيكونون كذلك في عذاب الحميم، يغمسون في هذا الماء المغلي، ثم يقذفون في النار، وهكذا دواليك: {يُسْحَبُونَ، فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} .
- ويصب هذا الماء الحميم على رؤوسهم، فيذيب جلودهم، وأحشاءهم: {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} .
- فإذا شربوا منه انشوت وجوههم، وتمزقت أمعاؤهم: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} ، {وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ} .
- ولسوف يسقون شرابًا آخر أكثر تقيحًا، لا يطيقون إساغته: {وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ، يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ} .
- وهنالك أيضًا طعام الزقوم، يغلي في بطونهم كرصاص يذاب: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} .
- وأطعمة أخرى ذات غصة، وعذاب كله ألم: {وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا} .
- من صنوفه الريح المحرقة: {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ} .
- وظل من دخان خادع: {وَوَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} .
- وكذلك حين تتوالى على المعذنين أقصى حالات البرودة، وأقصى حالات الحرارة - على ما قاله بعض المفسرين في كلمة "غساق": {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} .
- وموجز القول: أنهم سوف يلقون عقوبات، وآلامًا دائمة لا انقطاع لها: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} .

وقال ابن الجوزي رحمه الله في وصف النار: دار قد خص أهلها بالبعاد، وحرموا لذة المنى والإسعاد، بدلت وضاعة وجوههم بالسواد، وضربوا بمقامع أقوى من الأطواد، عليها ملائكة غلاظ شداد، لو رأيتهم في الحميم يسرحون، وعلى الزمهرير يطرحون، فحزنتهم دائم فما يفرحون، مقامهم محتوم فما يبرحون، أبد الآباد، عليها ملائكة غلاظ شداد، سيكون على تضييع أوقات الشباب، وكلما جاد البكاء زاد، عليها ملائكة غلاظ شداد، يا حسرتهم لغضب الخالق، يا محتنتهم لعظم البوائق، يا فضيحتهم بين الخلائق، على رؤوس الأشهاد، أين كسبهم للحطام، أين سعيهم في الآثام، كأنه كان أضغاث أحلام، ثم أحرقت تلك الأجسام، وكلما أحرقت تعاد، عليها ملائكة غلاظ شداد .

اللهم نجنا من النار، وأعدنا من دار الخزي والبوار، وأسكننا برحمتك دار المتقين الأبرار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدا وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشفاعة :

الحمد لله فائق الإصباح وجعل الليل سكنا يرسل الرياح بين يدي رحمته بشرا، ملك السموات والأرض وما بينهما وهو العزيز الحكيم، وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم لا إله إلا هو لم يشرك في ملكه أحدا ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وبينات من الرشاد ووعد الصدق .

وأنزل عليه كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم حميد فبلغه للناس كافة وبينه للخاصة والعامة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة حتى كمل دين الإسلام وتقررت شرائعه ولاحت سبل الأحكام وثبتت مناهجه وأمر بتبليغه إلى من شهدته وإلى من سمعه ومن لم يسمعه لتكون معالم الدين بعده لائحة وأحكامه على ما أثبتتها باقية فصلى الله عليه وعلى آله وأتباعه وسلم تسليما. أما بعد :

قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } ، أمر الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه، وينال المقام المحمود. فهذا هو حقيقة الشفاعة ، وفي صحيح مسلم عنه قال: " لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً " ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال: " شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق لسانه قلبه " .

حديث الشفاعة :

عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " يجمع الله المؤمنين يوم القيامة، كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن اتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن اتوا إبراهيم -خليل الرحمن- فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطاياها التي أصابها، ولكن اتوا موسى، عبداً آتاه التوراة وكلمه تكليماً فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب- ولكن اتوا عيسى، عبد الله ورسوله، وكلمته، وروحه، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا محمد صلى الله عليه وسلم عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فانطلق، فاستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، وقل يسمع، وسل تطعه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل

يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فاحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فاحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة" ، هذا حديث الشفاعة المشهور، وقد ذكره البخاري في أماكن متعددة من جامعه.

أنواع شفاعته صلى الله عليه وسلم في القيامة ستة أنواع كما ذكرها ابن القيم:
الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها. أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه فيقول: "أنا لها". وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه شفاعة يختص بها، لا يشركه فيها أحد.
الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.
الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم، والأحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدعوا من أنكروها، وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال.
الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم، وهذه مما لم ينزع فيها أحد.

السادس: شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده.

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات وتعظم الخيرات وتعم البركات، والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وأنزل عليه الحكمة وفصل الخطاب.

فضل تعلم العلم وتعليمه :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين ، وبعد :

العلم أفضل مكتسب، وأشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تقتنى، وأطيب ثمرة تجنى، وما اكتسب مكتسب مثل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى، يقول سفيان بن عيينة: "من طلب العلم فقد بايع الله".

قال تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }، وقال: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } ، وقال: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } .
وعن معاوية رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "من سلك سبيلاً يبتغي به علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليتستغفر له كل شيء حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر" وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من

ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" ، وقال ابن القيم: (العلم هاد. وهو تركة الأنبياء وتراثهم. وأهله عصبتهم ووراثتهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال. وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغبي والرشاد، والهدى والضلال. به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحّد، ويحمد ويمجّد، وبه اهتدى إليه السالكون ، ومن طريقه وصل إليه الواصلون. ومنه دخل عليه القاصدون. وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميّز الحلال والحرام. وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مرضي الحبيب، ومعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب. وهو إمام، والعمل مأموم. وهو قائد، والعمل تابع. وهو الصّاحب في الغربة، والمحدّث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغني الذي لا فقر على من ظفر بكتره. والكنف الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه. مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد. وطلبه قرينة. وبذله صدقة ، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام. والحاجة إليه أعظم منها إلى الشّراب والطعام) .

والعلوم تنقسم إلى ثلاثة أقسام: علوم شرعية وعلوم دنيوية وعلوم مذمومة .
فالعلوم الشرعية: هي ما استفيد من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهي أفضل أنواع العلم ، وهي قسمان:

- منها ما يتعلق بالقلوب كالإيمان والتوحيد، والخوف والرجاء، والمحبة والتوكل ونحو ذلك.

- ومنها ما يتعلق بالجوارح وهو علم المسائل والأحكام كالعلم بكيفية العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك.

والعلوم الدنيوية قسامين: علم محمود وعلم مباح.
فالعلم المحمود: ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، فالطب ضروري لبقاء الأبدان وسلامتها، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله، وأعد الأسباب

لتعاطيه، فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله، وهو فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وهو أفضل العلوم بعد علم الشرع، وفيه أجر بحسب نية صاحبه.

وكذلك الحساب، فإن تعلمه ضروري في المعاملات والبيوع، وقسمة الوصايا والموارث وغيرها، وهو فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الفرض عن الباقين.

فهذه العلوم وغيرها من أصول الصناعات كالفلاحة والخياطة والحياكة ونحوها مما يحتاجه عموم الناس في حياتهم، لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وتعرضوا للهلاك، وهي فرض كفاية.

فلا يجوز إهمالها لما فيها من منافع للناس في معاشهم، لكن نتعلم منها، ونعلم بقدر الحاجة فقط.

وأما المباح منه: فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار والأحداث ونحو ذلك.

والعلوم المذمومة : فعلم السحر والكهانة والشعوذة ونحوها مما يفسد البلاد والعباد والأخلاق وهي محرمة.

وللعلم الشرعي منزلة عظيمة في الدين، حث الله عليه ورغب فيه وفضل أهله على غيرهم، وجعل طلبه من أفضل القربات ومن أعظم أسباب دخول الجنة، لما في العلم والتعلم من معرفة الله ومعرفة أوامره ونواهيه، وقيام الدين، فالعلماء بهذا هم ورثة الأنبياء، فالأنبياء ورثوا للناس علم الشرع فمن أخذ به فهو الوارث لهم، وإذا أراد الله بعبد خيراً يسره لتعلم أمور دينه.

العلوم النافعة تصلح العقائد، وتركي النفس، وتهذب الأخلاق، وتكون بها الأعمال الصالحة ثمرة الخيرات، والعلم هو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، ومنار سبيل الجنة، وهو عبادة جليلة من أجل العبادات، يقول بشر الحافي: "لا أعلم على وجه الأرض عملاً أفضل من طلب العلم" من غرس العلم اجتني النباهة، ومن غرس الوقار اجتني المهابة.

قال ابن حزم : " لو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به الوسوس المضنية، ومطراح الآمال التي لا تفيد غير الهم، وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع إليه، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره".

فضل تعليم الناس ودعوتهم إلى الخير :

قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} .

عن أبي مسعود عقبة بن عامر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" ومعنى يُصلون عليه: أي يدعون ويستغفرون له ، تعليم الناس أمور دينهم ودعوتهم إلى الخير هو عمل الأنبياء الذين أرسلهم الله لأجله، فهي أعظم وظيفه. واختار الله لها أفضل خلقه، فمن وفقه الله للسير على طريقهم في تعليم الناس دينهم وإرشادهم إلى الخير فقد نال خيراً كثيراً لما يحصل بسبب نشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخير في الأرض، ولما فيه من إقامة حجة الله على الناس.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها يصلون على معلمي الناس الخير" . وفي ترجمة مسرّة بن مسلم الحضرمي وكان من أهل العلم والزهد التام أنه لما احتضر

ابتدأ القرآن، فانتهى في (سورة طه) إلى قوله تعالى: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) [طه/ ٨٤] ، ففاضت نفسه.

وفي ترجمة إبراهيم بن الجراح التميمي مولاهم تلميذ أبي يوسف وآخر من روى عنه قال: ((أتيته أعوده، فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم! أيهما أفضل في رمي الجمار، أن يرمىها الرجلُ راجلاً أو راكباً؟ فقلت: راكباً. فقال: أخطأت. قلتُ: ماشياً. قال: أخطأت. قلت: قل فيها يرضى الله عنك. قال: أما ما يوقف عنده للدعاء، فالأفضل أن يرميه راجلاً، وأما ما كان لا يوقف عنده، فالأفضل أن يرميه راكباً .

ثم قمت من عنده، فما بلغتُ بابَ داره حتى سمعتُ الصُّرَاخَ عليه، وإذا هو قد مات - رحمه الله تعالى -

وفي ترجمة أبي بكر محمد بن وسيم بن سعدون الطليطلي أنه كان رأساً في كل فن، مُتَقَدِّماً فيه ... قال: ((ودخل عليه - وهو في الترع - بعضُ أصحابه، فناداه، فلم يُجِبْه، فقال الآخر: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) [سبأ/ ٥٤] ، فقال له أبو بكر حين ذلك: نزلت في الكفار، وفيها: (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) .

وغير ذلك كثير ومثل ذلك كثير فلنتعظ بهذه الهمم العلية، ولنبيك على تقصيرنا ودُّنو هِمَّتِنَا ، ولنستدرك ما فرط من أمرنا بالجد والعمل، ومداومة الدرس والنظر، فمن سار على الدرب وصل، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين .

فضل تعلم القرآن وتعليمه ومكانة أهله:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد:

قد صح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يعطي القرآن الكريم اهتماماً عظيماً جداً، وعلى هذا ربي أصحابه رضي الله تبارك وتعالى عنهم، ومن مظاهر هذا الاهتمام بكتاب الله تبارك وتعالى: أن إقراء القرآن وتحفيظ القرآن كان أول ما عمد إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إبلاغ دعوته الكبرى، فكان مبعوثه إلى مختلف الجهات أول ما يقومون بإقراء الناس القرآن.

وكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن حزم حين وجهه إلى اليمن كتاباً أمره فيه بأشياء منها: أن يعلم الناس القرآن ويفقههم فيه كما جاء في سيرة ابن هشام. وروى البخاري عن أبي إسحاق عن البراء قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئانا ويحفظانا القرآن. وكان مصعب رضي الله تعالى عنه يسمى: المقرئ، يعني: الذي يقرئ الناس القرآن ويعلمهم كتاب الله تبارك وتعالى.

وكان الرجل من المسلمين إذا هاجر من المدينة دفعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى رجل من الحفظة ليعلمه القرآن.

ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة ثم أراد الرجوع إلى المدينة استخلف عتاب بن أسيد وخلف معه معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقرئهم القرآن ويفقههم في دينهم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلموننا القرآن والسنة، فبعث معهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء) إلى آخر الحديث كما هو في صحيح مسلم، وفيه ذكر غدر هؤلاء القوم بالقراء، حيث قتلوهم رضي الله تعالى عنهم.

وأوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإكرام أهل القرآن إكراماً خاصاً ومتميزاً، حتى إنه صلى الله عليه وآله وسلم سماهم اسماً ينبض بأعظم المعاني، حيث سُمي أصحاب القرآن وأهل القرآن: أهل الله وخاصته، كما رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي من حديث أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يميز بين الناس ويرتبهم ترتيباً يخضع لحفظ كل منهم من القرآن الكريم، فمثلاً: في إمامة الصلاة يقول: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله)، حتى عند دفن الموتى كان يقدم أكثرهم قرآناً، وعند اختيار أمير على مجموعة من الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم اختار ذلك الصحابي الذي كان يحفظ سورة البقرة وقال: (أنت أميرهم).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن من إجلال الله -يعني: من علامات تعظيم الله سبحانه وتعالى وإجلاله- إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقصد) رواه أبو داود عن أبي موسى رضي الله تبارك وتعالى عنه. قوله: (وحامل القرآن) يعني: وإكرام حامل القرآن.

قوله: (غير الغالي فيه) يعني: الذي لا يغلو في تعامله مع القرآن، حتى يضيع غير ذلك من الواجبات عليه. قوله: (والجافي عنه) وهو البعيد عن القرآن الهاجر للقرآن.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، فدل على أن أشرف الوظائف الانشغال بتعليم القرآن وتعلمه؛ ومن أجل هذا الحديث قعد الإمام الجليل أبو عبد الرحمن السلمي أربعين عاماً يقرئ الناس القرآن بجامع الكوفة مع جلالة قدره وكثرة علمه.

وسئل سفيان الثوري رحمه الله تعالى أيهما أفضل الجهاد أم تعليم القرآن؟ فرجح تعليم القرآن في الثواب والفضل على الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وعن عمرو بن العاص رضي الله تبارك وتعالى عنه - كما في الحديث الذي رواه الحاكم، والله أعلم بصحته. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (يؤم القوم أكثرهم قرآناً، فإن كانوا في القراءة واحداً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة واحداً فأفقههم فقهاً، فإن كانوا في الفقه واحداً فأكبرهم سناً)، فهذا فيه رد على بعض الناس الذين حينما يختارون إمامهم في الصلاة يقدمون السن على ما عداه من الاعتبارات، وينبغي التقديم على الترتيب الذي دلنا عليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (يؤم القوم أكثرهم قرآناً)، وهذا في حالة عدم وجود إمام راتب للمسجد.

وكان القراءة أصحاب مجلس عمر بن الخطاب رضي الله تبارك وتعالى عنه وأصحاب مشاورته.

ففضل الاشتغال بالقرآن الكريم لا يدانيه فضل، وكل من انتسب إلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى عامة، وإلى الدعوة السلفية بصفة خاصة، فينبغي أن يتميز باهتمامه بالقرآن العظيم، ووجود علاقة خاصة بكلام الله عز وجل.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين). وقد ثبت في فضيلة حفظ كتاب الله عز وجل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يقال لصحاب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارتق ورتل فإن مثرتك عند آخر آية تقرأها).

ومما يرغب في حفظ القرآن الكريم كثرة الأحاديث في فضل ذلك، ومنها: أن الله تبارك وتعالى لا يحرق أو لا يعذب بالنار صدراً هو وعاء للقرآن، فإن ضم القلب كلام الله تبارك وتعالى فيرجى من رحمة الله تبارك وتعالى ألا يعذب بالنار هذا القلب الذي وعى القرآن وتشرف به، فالقرآن يعني صاحبه عن كل حسب ونسب، وجاء في بعض التفاسير لقول

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من لم يتغن بالقرآن فليس منا) أن الإنسان إذا نال شرف القرآن فعليه أن يستغني به عما عداه، عليه ألا يتزل إلى مرتبة التنافس مع الناس في الدنيا، وألا يذل نفسه وقد حمل القرآن الكريم، وأن يكون عزيزاً، وهذا على أحد أوجه تفسير الحديث.

فالقرآن يغني صاحبه عن كل حسب ونسب، ويكفي أنك إذا شرفت بنيل إجازة من القراء المشايخ فقد نلت شرفاً عظيماً جداً لا يدانيه شرف، ويكفي أنك ستكون في سلسلة تظل تتدرج من شيخك إلى شيخ شيخك، إلى التابعين، إلى الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم، إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ثم إلى جبريل عليه السلام، ثم إلى رب العزة، فكأنه حبل طرفه عندك والطرف الآخر عند الله عز وجل، فهل يعلم أحد شرف ونسب أعظم من هذا النسب؟! طرف سلسلة الإسناد تبدأ به وتنتهي بالله عز وجل! فالقرآن يغني صاحبه عن كل حسب ونسب، وشرف التفقه فيه فوق كل شرف، ألا ترى أنه لا يصد واحداً من أهل القرآن عن إمامة الناس في الصلاة، حتى لو كان أعرابياً أو عبداً مملوكاً أو حتى ولد زنا على قول الإمام أبي حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن الشيباني.

إذاً: شرف القرآن يرفع عنه كل ضيعة، ويؤهله لإمامة الصلاة التي هي من الوظائف الشرعية الشريفة.

كذلك القيام على خدمة المصحف الشريف وتعليمه للناس هو فخر الفاخرين، وشرف من يطلب الشرف، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وفي الحقيقة نحن مقصرون تقصيراً شديداً بالنسبة للاهتمام بتحفيظ القرآن ومدارسته، وقد قال بعض السلف: عجبت لمن لم يحفظ القرآن ولا يعلم تأويله كيف يلتذ بتلاوته؟! أي: عجبت ممن يقرأ القرآن وهو لا يعرف تفسيره كيف يلتذ بتلاوته!؟

الفضائل التي اجتمعت للقرآن الكريم

الاشتغال بمعاني القرآن وتفسير القرآن، والاشتغال بتلاوته وحفظه وتجويده ومدارسته أمر مهم، ونحن على أعتاب هذا الشهر الكريم المبارك شهر رمضان، الذي أراد الله تبارك وتعالى أن يشرف هذا الشهر العظيم بربطه ربطاً وثيقاً بالقرآن، فقال تبارك وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥]، فاجتمع لهذا القرآن الشرف من كل الوجوه: شرف المكان، فقد أنزل في أشرف بقاع الأرض وهي مكة المكرمة والمدينة النبوية.

شرف النبي، فقد أنزل إلى أشرف نبي وهو محمد عليه الصلاة والسلام.

شرف اللغة، فقد نزل باللغة العربية التي هي لغة أهل الجنة.

وقد نزل به أشرف الملائكة وهو جبريل عليه السلام.

وهو لأشرف أمة وهي أمة الإسلام، وأمة التوحيد.

ونزل في أشرف شهر، وهو شهر رمضان.

ونزل في أشرف ليلة وهي: ليلة القدر: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ

الْقَدْرِ { [القدر: ١ - ٢].

فاجتمع للقرآن العظيم هذا الشرف العظيم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم

أصحابه من بعده، ثم السلف الصالح من بعدهم إذا دخل شهر رمضان يزيدون من الاهتمام

بكتاب الله تبارك وتعالى، حتى كان بعض السلف كـ سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك

كل شيء من العلم، وانشغل فقط بتلاوة القرآن الكريم وتديره.

فضل تعلم القرآن وتعليمه:

الحمد لله الذي علم القرآن، وجعل تعليمه نعمة مقدمة على خلق الإنسان، ومقدمة على

تعليمه البيان - (الرحمن ١) علم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣) علمه البيان (٤) (

،(سورة الرحمن ١-٤).

والصلاة والسلام على رسول الله الهادي إلى سبيل الإيمان، وعلى آله وصحبه وأهل القرآن، اللهم أدخلنا في زمرةهم يا رحيم يا رحمن
أما بعد:

فلما أحب النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عباس المحبة البالغة، والتي دفعته إلى أن ضمه إلى صدره، دعا له ببالغ الدعاء وأعظمه، وطلب له كمال الخير وأكمله، فعن ابن عباس قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (اللهم علمه الكتاب).
وتعليم الكتاب لا ينحصر في حفظه فقط، بل فهمه في أعلى المقامات، لأن الغاية من إنزاله وإرساله هو اتباع الخلق، ولا يكون ذلك إلا بعد الفهم والعلم.

وعلم تفسير القرآن أحلس ابن عباس - وهو ما زال فتى - مجالس الشيوخ الكبار من أصحاب الرأي والمشورة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما رئيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني فقال ما تقولون في { إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا } حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئاً فقال لي يا ابن عباس أكذاك تقول قلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له { إذا جاء نصر الله } والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً قال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم)

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير الناس وأفضلهم فقال: (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)

فأي فضل بعد هذا الفضل، وأي خير بعد هذا الخير، تعلم القرآن خير التعلم، ومتعلم القرآن خير المتعلمين، وتعليمه خير التعليم، ومعلمه خير المعلمين، وخير من الناس الباقين.

والاشتغال بتفسير القرآن خير الاشتغال؛ لأن الاشتغال يأخذ حكمه بناء على قيمة العلم المشتغل به، فكلما دنا دنا، وكلما علا علا، والاشتغال بالقرآن خير الاشتغال، لأن القرآن خير الحديث، فهو كلام الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) كتاب الله ولا بد لقارئ القرآن من التدبر في الآيات، والتفكير في المعاني {أفلا يتدبرون القرآن} (النساء: ٨٢) ولا يكون ذلك دون معرفة التفسير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين .

تلاوة القرآن الكريم والمحافظة عليه :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢]. { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد ... فإن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر، وللقراءة آدابٌ ومقاصد و ينبغي أن يحافظ المسلم على تلاوته ليلاً ونهاراً، سَفَرًا وَحَضْرًا، وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عاداتٌ مختلفةٌ في القدر الذي يختمون فيه، فكان جماعةٌ منهم

يُحْتَمُونَ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ حَتْمَةً، وَآخَرُونَ فِي كُلِّ شَهْرٍ حَتْمَةً، وَآخَرُونَ فِي كُلِّ عَشْرِ لَيَالٍ حَتْمَةً، وَآخَرُونَ فِي كُلِّ ثَمَانِي لَيَالِي حَتْمَةً، وَآخَرُونَ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ حَتْمَةً، وَهَذَا فِعْلُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ السَّلَفِ، وَآخَرُونَ فِي كُلِّ سِتِّ لَيَالٍ، وَآخَرُونَ فِي خَمْسٍ، وَآخَرُونَ فِي أَرْبَعٍ، وَكَثِيرُونَ فِي كُلِّ ثَلَاثِ حَتْمٍ، وَكَانَ كَثِيرُونَ يُحْتَمُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ حَتْمَةً، وَحَتْمُ جَمَاعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ حَتْمَتَيْنِ، وَآخَرُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلَاثِ حَتْمَاتٍ، وَحَتْمُ بَعْضِهِمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثَمَانِي حَتْمَاتٍ: أَرْبَعًا فِي اللَّيْلِ، وَأَرْبَعًا فِي النَّهَارِ، وَتَمَّنَّ حَتْمُ أَرْبَعًا فِي اللَّيْلِ وَأَرْبَعًا فِي النَّهَارِ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنَ الْكَاتِبِ الصَّوْفِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَرَوَى السَّيِّدُ الْجَلِيلُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورَقِيِّ -بِإِسْنَادِهِ- عَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَادَانَ مِنْ عِبَادِ التَّابِعِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ يُحْتَمُ الْقُرْآنَ فِيمَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَيُحْتَمُهُ أَيْضًا فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ، وَيُحْتَمُهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ فِي رَمَضَانَ حَتْمَتَيْنِ وَشَيْئًا، وَكَانَ يُؤَخِّرُ الْعِشَاءَ فِي رَمَضَانَ إِلَى أَنْ يَمْضِيَ رُبْعَ اللَّيْلِ ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي دَاوُدَ بِإِسْنَادِهِ الصَّحِيحَ، أَنَّ مَجَاهِدًا رَحِمَهُ اللَّهُ، كَانَ يُحْتَمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ حَتَمُوا الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ فَلَا يُحْصُونَ لِكثْرَتِهِمْ، فَمِنْهُمْ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، وَتَمِيمُ الدَّارِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَالْمَخْتَارُ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ، فَمَنْ كَانَ يَظْهَرُ لَهُ بَدِيقُ الْفِكْرِ لَطَائِفَ وَمَعَارِفَ فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى قَدْرِ يَحْصُلُ لَهُ مَعَهُ كَمَالُ فَهْمٍ مَا يَقْرَأُ، وَكَذَا مَنْ كَانَ مَشْغُولًا بِنَشْرِ الْعِلْمِ، أَوْ فَصَلَ الْحُكُومَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَهْمَاتِ الدِّينِ وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى قَدْرِ لَا يَحْصُلُ بِسَبَبِهِ إِحْلَالٌ. بَلْ هُوَ مَرصُدٌ لَهُ، وَلَا فَوَاتُ كَمَالِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فَلْيَسْتَكْثِرْ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ الْمَلَلِ، أَوْ الْهَذْرَمِ فِي الْقِرَاءَةِ ، وَقَدْ كَرِهَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ الْحَتْمَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَيْنَاهُ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ وَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ" ، وَأَمَّا وَقْتُ الْإِبْتِدَاءِ وَالْحَتْمِ فَهُوَ إِلَى خَيْرَةِ الْقَارِئِ، فَإِنْ كَانَ تَمَّنَّ يُحْتَمُ فِي الْأَسْبُوعِ مَرَّةً، فَقَدْ

كان عثمان رضي الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة، ويختم ليلة الخميس وقال الإمام أبو حامد الغزالي: الأفضل أن يختم ختمة بالليل وأخرى بالنهار، ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما، ليستقبل أول النهار وآخره وروى ابن أبي داود، عن عمرو بن مرة التابع الجليل رضي الله عنه، قال: كانوا يحبون أن يختم القرآن من أول الليل، أو من أول النهار،

وعن طلحة بن مصرف التابعي قال: من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلّت عليه الملائكة حتى يمسي، وأية ساعة كانت من الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح. وعن مجاهد نحوه، عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختمه آخر الليل صلّت عليه الملائكة حتى يمسي. قال الدارمي: هذا حسنٌ عن سعدٍ.

الأوقات المختارة للقراءة:

- أفضل القراءة ما كان في الصلاة، ومذهب الشافعي وآخرين رحمهم الله: أن تطويل القيام في الصلاة بالقراءة أفضل من تطويل السجود وغيره.
- وأما القراءة في غير الصلاة، فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير من أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة.
- وأما قراءة النهار، فأفضلها ما كان بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في القراءة في وقت من الأوقات، ولا في أوقات النهي عن الصلاة.
- وأما ما حكاه ابن أبي داود رحمه الله، عن مُعان بن رفاعة، رحمه الله، عن مشيخة أنهم كرهوا القراءة بعد العصر، وقالوا: إنها دراسة يهود، فغير مقبول، ولا أصل له.
- ويختار من الأيام: الجمعة، والاثنين، والخميس، ويوم عرفة؛ ومن الأعشار: العشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأخير من شهر رمضان؛ ومن الشهور: رمضان.

آداب الختم وما يتعلق به:

- أن الختم للقارئ وحده يُستحب أن يكون في صلاة.
- وأما من يختم في غير صلاة، كالجماعة الذين يجتمعون مجتمعين، فيُستحب أن يكون ختمهم في أوّل الليل، أو أوّل النهار، كما تقدم.
- ويُستحب صيام يوم الختم إلا أن يُصادف يوماً نهي الشرع عن صيامه. وقد صحّ عن طلحة بن مصرف، والمسيب بن رافع، وحبيب بن أبي ثابت التابعيين الكوفيين -رحمهم الله أجمعين- أنهم كانوا يُصبحون صياماً في اليوم الذي كانوا يجتمعون فيه.
- ويُستحب حضور مجلس الختم لمن يقرأ ولمن لا يُحسن القراءة، و أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أمر الحَيَّضُ بالخروج يوم العيد، فيشهدن الخير، ودعوة المسلمين
- عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كان يجعل رجلاً يراقب رجلاً يقرأ القرآن، فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس رضي الله عنهما، فيشهد ذلك - عن قتادة التابعي الجليل الإمام صاحب أنس رضي الله عنه، قال: كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا
- عن الحكم بن عتيبة التابعي الجليل الإمام قال: أرسل إليّ مجاهد وعبدُ ابن أبي لُبابة، فقالا: إنا أرسلنا إليك لأننا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن وفي بعض رواياته الصحيحة: أنه كان يقال: إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن.
- وعن مجاهد، قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون: إن الرحمة تنزل عند ختم القرآن .

استحباب الدعاء بعد ختم القرآن:

- ويستحب الدعاء عقيب الختم استحباباً مؤكداً تأكيداً شديداً لما قدّمناه .
- عن حميد الأعرج رحمه الله، قال: مَنْ قرأ القرآن، ثم دعا؛ أمّن على دعائه أربعة آلاف ملك .

- وينبغي أن يُلحَّ في الدعاء؛ وأن يدعوَ بالأمر المهمة، والكلمات الجامعة، وأن يكون معظم ذلك، أو كله في أمور الآخرة، وأمور المسلمين، وصلاح سلطاتهم، وسائر ولاية أمورهم، وفي توفيقهم للطاعات، وعصمتهم من المخالفات، وتعاونهم على البرِّ والتقوى، وقيامهم بالحقِّ، واجتماعهم عليه، وظهورهم على أعداء الدين، وسائر المخالفين .

- وإذا فرغ من الختمة، فالمستحبُّ أن يشرع في أخرى متصلاً بالختم، فقد استحبَّه السَّلفُ، واحتجَّوا فيه بحديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خَيْرُ الْأَعْمَالِ الْحَلُّ وَالرَّحْلَةُ" قيل: وما هما؟ قال: "أَفْتِتَاحُ الْقُرْآنِ وَخَتْمُهُ" ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رجل: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: "عليك بالحال المرتحل" قال: وما الحال المرتحل؟ قال: "صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ثم يضربُ من آخره إلى أوله، كلما حل ارتحل" .

مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ وَوُظِيفَتْهُ الْمَعْتَادَةُ:

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كَتَبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ" .

الأمر بتعهد القرآن، والتحذير من تعريضه للنسيان:

- عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَقَلُّبًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُنُقِهَا" .
- عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أُمْسِكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ" .

- و عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجُورُ أُمَّتِي، حَتَّى الْقِدَاةُ يَخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي، فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا" تكلم الترمذي فيه

- و عن سعد بن عبادة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهِ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْزَمًا"

مسائل وآداب ينبغي للقارئ الاعتناء بها:

وهي كثيرة جداً، نذكرُ منها أن أوّل ما يُؤمر به الإخلاص في قراءته، وأن يُريدَ بها وجه الله سبحانه وتعالى، وأن لا يقصدَ بها توصلًا إلى شيء سوى ذلك، وأن يتأدّب مع القرآن، ويستحضرَ في ذهنه أنه يناجي الله سبحانه وتعالى، ويتلو كتابه، فيقرأ على حالٍ مَنْ يرى الله تعالى، فإنه إن لم يره فإن الله تعالى .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

ذم من هجر القرآن :

الحمد لله الذي قص لنا من آياته عجباً. وأفادنا بتوفيقه إرشاداً وأدباً. وأرسل فينا رسولاً كريماً نبياً أطلعنا على الحقائق ففاق أخاه وأباه، وعرض عليه الجبال ذهباً فنأى وأبى وخصنا بشريعته القويمة وجبا، فأمننا وصدقنا وله الفضل علينا وجبا، لأنه ادخر لنا ذلك في خزائن الغيب وخبا، أحمدنا حمداً أرغم به أنف من جحد وأبى وأبلغ من فضله الواسع أرباً واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للنجاة سبباً وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المجتبي أشرف البرية حسباً وأطهرهم نسباً صلى الله عليه وسلم، على آله وأصحابه الذين سادوا الخليقة عجماً وعرباً ، أما بعد :

هجر القرآن هو الإعراض عنه أو اللغو فيه والقول فيه بغير الحَقْوَتِرك تلاوته أو العمل به أو نسيانه بعد الحفظ.

حكم هجر القرآن:

يختلف حكم هجر القرآن باختلاف نوع الهجر، فإن كان الهجر بالإعراض عنه واللغو فيه فهذا كفر صراح، وإن كان الهجر بمعنى التّرك المؤدّي إلى النّسيان بعد الحفظ فقد ذكر ابن حجر أنّه من الكبائر، وقال بأنّ ذلك هو ما ذهب إليه الرّافعيّ وغيره، ونقل عن بعض العلماء أنّ محلّ كون نسيان القرآن كبيرة عند من قال به مشروط بأن يكون عن تكاسل وتهاون، وهذا احتراز عمّا لو اشتغل عنه بمرض مانع من القراءة، وعدم التّأثيم بالنّسيان حينئذ واضح، لأنّه مغلوب عليه لا اختيار له فيه.

أمّا إذا كان الهجر متعلّقاً بعدم العمل به فذلك معصية يتوقّف كونها كبيرة أو صغيرة على نوع المخالفة ذاتها، وأمّا إذا كان الهجر بمعنى ترك التّلاوة، فإن كان يقدر عليها ولم يفعل فهو كالبيت الخرب وإن لم يكن قادراً فإنّ الله لا يكلف نفساً إلّا وسعها، هذا إلّا فيما تصحّ به صلاته فإنّه واجب على كلّ مسلم ولا يجوز تركه بحال .

أنواع هجر القرآن:

بيّن الإمام ابن القيم - رحمه الله - أنواع هجر القرآن فقال: هجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمة والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء

دائه من غيره ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله تعالى: { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } (٣٠) سورة الفرقان. وإن كان بعض الحجر أهون من بعض.

ومن هذا يتضح أن أنواع هجر القرآن ستة أنواع: هجر التلاوة. وهجر الاستماع وهجر التدبر و هجر العمل و هجر التحاكم و هجر التداوي والاستشفاء.

الآيات الواردة في «هجر القرآن»

١- حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤). المؤمنون: ٦٤ - ٧٤ مكية

٢- وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢). الفرقان: ٣٠ - ٣٢

الآيات الواردة في «هجر القرآن» معنى

٣- وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)

طه: ١٢٤

٤- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (٢٦)

فصلت: ٢٦

الأحاديث الواردة في ذمّ (هجر القرآن) معنى

١- (عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: «إن أصغر البيوت بيت ليس فيه من كتاب الله شيء، فاقروا القرآن فإتكم تؤجرون عليه. بكلّ حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول الم، ولكنتي أقول ألف، ولا م، وميم») .

٢- (عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب») .

٣- (عن عمران بن حصين- رضي الله عنهما- أنّه مرّ على قاصّ يقرأ، ثمّ سأله، فاسترجع ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ القرآن، فليسأل الله به، فإنه سيحيي أرواح يقرؤون القرآن يسألون به الناس») .

٤- (عن زيد بن وهب الجهني، أنّه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ- رضي الله عنه- الذين ساروا إلى الخوارج. فقال عليّ- رضي الله عنه-: أيها الناس، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج قوم من أمّتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتكم بشيء، ولا صلواتكم إلى صلواتكم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنّه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلواتكم تراقيهم. يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة» . لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم، ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم، لا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أنّ فيهم رجلا له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرائعكم وأموالكم، والله، إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدّم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله. قال سلمة بن كهيل: فتزلني زيد بن وهب متزلا حتّى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج

يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلّوا سيوفكم من جفونها ،
فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلّوا
السيوف، وشجرهم الناس برماحهم . قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس
يومئذ إلّا رجلاً، فقال عليّ- رضي الله عنه-: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم
يجدوه، فقام عليّ- رضي الله عنه- بنفسه حتّى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض. قال:

أخروهم، فوجدوه ممّا يلي الأرض. فكبر. ثمّ قال:

صدق الله، وبلغ رسوله. قال: فقام إليه عبيدة السلمانيّ. فقال: يا أمير المؤمنين، والله
الذي لا إله إلّا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فقال: إي
والله الذي لا إله إلّا هو، حتّى استحلفه ثلاثاً «٥» وهو يلحف له .

٥- (عن أبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنه- قال: بعث عليّ بن أبي طالب- رضي الله
عنه- إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم من اليمن بذهبية في أديم مقروط لم تحصّل من
تراها، قال: فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخليل،
والرّابع إمّا علقمة، وإمّا عامر بن الطفيل. فقال رجل من أصحابه: كئنا نحن أحقّ بهذا من
هؤلاء قال: فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في
السّماء، يأتيني خبر السّماء صباحاً ومساءً؟». قال:

فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كثّ اللّحية، محلوق الرّأس،
مشمّر الإزار.

فقال: يا رسول الله، اتق الله. قال: «ويلك أولست أحقّ أهل الأرض أن يتقي الله؟»
قال: ثمّ ولى الرّجل. قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا. لعله
أن يكون يصلّي»، فقال خالد:

وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «إني
لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشقّ بطونهم» قال: ثمّ نظر إليه وهو مقفّ فقال: «إنّه يخرج

من ضئضىء هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود» (.

٦- (عن سليمان بن يسار قال: تفرّق التاسعن أبي هريرة- رضي الله عنه- فقال له ناتل أهل الشام : أيها الشيخ، حدّثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلّم. قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: «إنّ أوّل الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟

قال: قاتلت فيك حتّى استشهدت. قال: كذبت، ولكنّك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتّى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها.

قال: فما عملت فيها؟، قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنّك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، فقد قيل ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتّى ألقي في النار.

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلّا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنّك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه ثمّ ألقي في النار» (

٧- (عن سهل بن سعد الساعديّ- رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ونحن نقترأ، فقال: «الحمد لله، كتاب الله واحد، وفيكم الأحمر، وفيكم الأبيض، وفيكم الأسود، اقرؤوه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقيمون السهم، يتعجّل أجره ولا يتأجله» (.

٨- (عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا فيه قوم يقرءون القرآن قال: «اقرأوا القرآن وابتغوا به الله - عز وجل - من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» .

٩- (عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة، ليس لها ريح وطعمها مرّ» .

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في ذم (هجر القرآن)

١- (عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: لقد أتى علينا حين وما نرى أن أحدا يتعلم القرآن يريد به إلا الله، فلما كان هاهنا بأخرة. خشيت أن رجالا يتعلمونه يريدون به الناس وما عندهم، فأريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم، وإنا كنا نعرفكم إذ فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذ ينزل الوحي، وإذ ينبئنا الله من أخباركم، فأما اليوم فقد مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي، وإنا أعرّفكم بما أقول، من أعلن خيرا حبيناه عليه وظننا به خيرا، ومن أظهر شرا بغضناه عليه وظننا به شرا، سرائركم فيما بينكم وبين الله - عز وجل - .

٢- (عن عليّ - رضي الله عنه - قال: من الناس من يؤتى الإيمان ولا يؤتى القرآن، ومنهم من يؤتى القرآن ولا يؤتى الإيمان، ومنهم من يؤتى القرآن والإيمان، ومنهم من لا يؤتى القرآن ولا الإيمان، ثم ضرب لهم مثلا، قال: فأما من أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن فمثل التمرة حلوة الطعم لا ريح لها، وأما مثل الذي أوتي القرآن، ولم يؤت الإيمان فمثل الآسة، طيبة الريح مرة الطعم، وأما الذي أوتي القرآن والإيمان فمثل الأترجة طيبة

الرَّيحِ حَلْوَةَ الطَّعْمِ، وَأَمَّا الَّذِي لَمْ يَأْتِ الْقُرْآنَ وَلَا الْإِيمَانَ، فَمِثْلُ الْحَنْظَلَةِ مَرَّةً الطَّعْمُ لَا رِيحَ لَهَا) .

٣- (عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لقد عشت برهة من دهرى وإنَّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتزل السُّورة على محمد صلى الله عليه وسلّم فيتعلّم حلالها وحرامها. وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن، ثمَّ لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، ما يدري ما أمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينشره نثر الدّقل) .

٤- (عن إياس بن عمر يقول: أخذ عليّ بن أبي طالب بيدي ثمَّ قال: إنَّك إن بقيت سيقراً القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدُّنيا، ومن طلب به أدرك) .

٥- (عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: سيلى القرآن في صدور أقوام كما يلى الثَّوب فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذّة، يلبسون جلود الضَّان على قلوب الدُّناب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصّروا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيغفر لنا. إنّا لا نشرك بالله شيئاً)

٦- (عن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه - أنّه جمع الذين قرأوا القرآن فإذا هم قريب من ثلاثمائة فعظّم القرآن وقال: إنَّ هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنّه من اتّبع القرآن هبط به على رياض الجنّة، ومن تبعه القرآن زحّ في قفاه فقذفه في النَّار) .

٧- (قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: والذي نفسي بيده إنَّ حقّ تلاوته أن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه ويقراه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأوّل منه شيئاً على غير تأويله) .

٨- (عن أبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنه- قال: يكون خلف بعد سنين أضاعوا الصلّاة وآتبعوا الشّهوات فسوف يلقون غيّا، ثمّ يكون خلف يقرأون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة:

مؤمن ومنافق وفاجر، فقال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟. فقال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يعمل به).

٩- (عن قتادة- رضي الله عنه- في قول الله عزّ وجلّ-: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ (الأعراف/ ٥٨) ، قال: البلد الطيّب: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه فأخذ به فانتفع به، كمثّل هذه الأرض أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت. وَالَّذِي حُبِّتَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا عَسْرًا، مثل الكافر قد سمع القرآن فلم يعقله، ولم يأخذ به، ولم ينتفع به، كمثّل هذه الأرض الحبيثة أصابها الغيث فلم تنبت شيئاً ولا تمرع شيئاً).

١٠- (عن قتادة- رضي الله عنه- قال: ما جالس القرآن أحد فقام عنه إلّا بزيادة أو نقصان، ثمّ قرأ: وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (الإسراء/ ٨٢)).

١١- (عن زاذان قال: من قرأ القرآن يتأكل به النَّاسُ. جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم).

١٢- (عن الحسن قال: إنّ هذا القرآن قد قرأه عبید وصبيان لا علم لهم بتأويله ولم يتأولوا الأمر مزاوله. قال الله- عزّ وجلّ-: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) ، وما تدبّر آياته إلّا أتباعه والله يعلم، وأما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده حتّى إنّ أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كلّه فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كلّه، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل حتّى إنّ أحدهم ليقول: إنّي لأقرأ السّورة في نفس واحد والله ماهؤلاء ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في النَّاسِ مثل هؤلاء) .

١٣- (قال محمد بن الحسين الأجرى: فإذا كان عمر بن الخطاب قد خاف على قوم قرأوا القرآن في ذلك الوقت ميلهم إلى الدنيا فما ظنك بهم اليوم وقد أبحرنا النبي صلى الله عليه وسلم، إنه يكون أقوام يقرأون القرآن يقيمونه كما تقيمون القدرح يتعجلونه ولا يتأجلونه يطلبون به عاجلة الدنيا ولا يطلبون به الآخرة) .

١٤- (وقال- رحمه الله:- أمّا من قرأ القرآن للدنيا أو لأبناء الدنيا، فإنّ من أخلاقه أن يكون حافظا لحروفه مضيّعا لحدوده، قد اتّخذ القرآن بضاعة يتأكلّ به الأغنياء ويستقضي به الحوائج ليس للخشوع في قلبه موضع). .

١٥- (وقال أيضا: مرادي نصيحة لأهل القرآن لئلا يطل سعيهم إن هم طلبوا به شرف الدنيا حرموا شرف الآخرة ... ، فينبغي لهم أن يستغنوا بالقرآن عن كلّ أحد من الخلق) .

١٦- (كتب حذيفة المرعشيّ إلى يوسف بن أسباط: اكشف عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، واعلم أنّه من قرأ القرآن ثمّ أثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين) .

من مضار (هجر القرآن):

- (١) إنّ القلوب إذا لم تعمر بالقرآن سكنتها الشياطين.
- (٢) هجر القرآن يضعف الإيمان بالله- عزّ وجلّ- وسائر المعيّيات.
- (٣) إنّ من هجر القرآن ترك تدبّره وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره.
- (٤) الذي يقرأ القرآن ليتكسّب به الأموال. يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم.
- (٥) من يقرأ القرآن ولا يعمل بموجبه تكون قراءته عليه لا له.
- (٦) من قرأ القرآن ليقال إنّ قارىء ولبرائي به الناس فهو منافق، من أوّل من يسحب على وجهه في النار يوم القيامة.

اللهم إنا نشهد أنك واحد فرد صمد، وأن محمداً عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم وأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ونهج الملة، وأن الرسل حق، وأنهم بلغوا

الرسالة، وأن الموت حق، والقبر حق، والميزان حق، والصراط حق، والجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

اللهم توفنا مسلمين تائبين، لا مغيرين ولا مبدلين آمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهمية علم الحديث:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين ، أما بعد:

إن أنف العلوم الشرعية ومفتاحها، ومشكاة الأدلة السمعية ومصباحها، ومبنى شرائع الإسلام وأساسها، ومستند الروايات الفقهية كلها، ومأخذ الفنون الدينية دقتها وجلها، وأسوة جملة الأحكام وأسها، وقاعدة جميع العقائد وسماء العبادات وقطب مدارها، ومركز المعاملات ومحط حارها وقارها، هو علم الحديث الشريف الذي تعرف به جوامع الكلم وتنفجر منه ينابيع الحكم، وهو ملاك كل نهي وأمر، ولولاه لقال من شاء ما شاء، وخبط الناس خبط عشواء وركبوا متن عمياء، فطوبى لمن جد فيه وحصل منه على تنويه يملك من العلوم النواصي ويقرب من أطرافها البعيد القاصي، ومن لم يرضع من دره ولم يخض في بحره ولم يقتطف من زهره، ثم تعرض للكلام في المسائل والأحكام، فقد جار فيما حكم وقال على الله تعالى ما لم يعلم، كيف وهو كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرسول أشرف الخلق كلهم أجمعين وقد أوتي جوامع الكلم وسواطع الحكم من عند رب العالمين، فكلامه أشرف الكلم وأفضلها وأجمع الحكم وأكملها، كما قيل: كلام الملوك ملك الكلام وهو تلو كلام الله تعالى العلام وثاني أدلة الأحكام، فإن علوم القرآن وعقائد الإسلام بأسرها وأحكام الشريعة المطهرة بتمامها وقواعد الطريقة الحقبة بخدافيرها وكذا الكشفيات والعقليات بنقيرها وقطميرها تتوقف على بيانه - صلى الله عليه وسلم -، فإنها ما لم توزن بهذا القسطاس المستقيم ولم تضرب على ذلك المعيار القويم لا يعتمد عليها ولا يصار إليها،

فهذا العلم المنصوص والبناء المرصوص بمتزلة الصراف لجواهر العلوم عقليها ونقلها وكنقاد لنقود كل فنونأصليها وفرعيها، من وجوه التفاسير والفقهييات ونصوص الأحكام ومأخذ عقائد الإسلام وطرق السلوك إلى الله سبحانه وتعالى ذي الجلال والإكرام، فما كان منها كامل العيار في نقد هذا الصراف فهو الحري بالترويج والاشتهار، وما كان زيفا غير جيد عند ذلك النقاد فهو القمين بالرد والطرده والإنكار، فكل قول يصدقه خبر الرسول فهو الأصلح للقبول وكل ما لا يساعده الحديث والقرآن فذلك في الحقيقة سفسطة بلا برهان، فهي مصاييح الدجى ومعالم الهدى وبتزلة البدر المنير، من انقاد لها فقد رشد واهتدى وأوتي الخير الكثير، ومن أعرض عنها وتولى فقد غوى وهوى وما زاد نفسه إلا التخسير، فإنه - صلى الله عليه وسلم - نهي وأمر وأنذر وبشر وضرب الأمثال وذكر، وإنها لمثل القرآن بل هي أكثر وقد ارتبط بها أتباعه - صلى الله عليه وسلم - الذي هو ملاك سعادة الدارين والحياة الأبدية بلا مين، كيف وما الحق إلا فيما قاله - صلى الله عليه وسلم - أو عمل به أو قرره أو أشار إليه أو تفكر فيه أو خطر بباله أو هجس في خلده واستقام عليه، فالعلم في الحقيقة هو علم السنة والكتاب، والعمل العمل بمهما في كل إياب وذهاب وبتزلة بين العلوم متزلة الشمس بين كواكب السماء ومزية أهله على غيرهم من العلماء مزية الرجال على النساء، فيا له من علم سيط بدمه الحق والهدى، ونيط بعنقه الفوز بالدرجات العلى .

و الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين .

الغربة في طلب العلم:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

البعد عن الأهل والأوطان يظهر مناصع الرجال وكريم الخلال، وفي الغربة دربة على مشقة الحياة وضيق الابتلاء، وهو مدرسة للشموخ في العلم، ودرس في أن الحياة قد لا يدوم

فيها الرخاء والترف، وفي الغربية انطلاقة لطالب العلم في عدم الاعتماد على الأهل، وأن الحياة لا تدوم على حال، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي في ديوانه:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

وإذا صدق الغريب مع الله شرح الله صدره في غربته، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - كان مدخله إلى المدينة مدخل صدق بالله والله وابتغاء مرضاة الله فاتصل به التأييد والظفر، وأدرك خيري الدنيا والآخرة بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب، فإنه لم يكن بالله ولا لله، بل كان محادّةً لله ورسوله فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار، وما خرج أحد من بيته إلى بلد آخر إلا يكون بصدق أو كذب فمخرج كل واحد ومدخله لا يعدو الصدق أو الكذب.

والله عز وجل إذا أراد رفعة عبد كسره أولاً، فإذا لجأ إلى الله وطلب ما عنده وتقرب إليه بالطاعات، رفعه الله بعد ذلك بقدر انكساره لله تعالى. فلا تحزن في الغربية ولا تضجر من كرهاها، فقد لاقى العلماء منها المشقة الضنك، فلم يزداهم ذلك إلا صموداً في طلب العلم حتى حفظ هذا الدين على أعناق أولئك العظام. فسر على ما سار عليه العلماء فأنت في الغربية تحطو خطواتهم، وكن متعلقاً بالله عز وجل في غربتك، واحفظه بالطاعة ليحفظك ربك ويحفظ أهلك في ديارهم وتأنس في التغرب.

مشقة الغربية:

فراق الوطن عزيز على النفس ثقيل على الطباع، ولما أخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة نظر إليها وقال: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»

وقد لاقى فحول العلماء في الغربية ما لاقوا، ولم يشنهم ذلك عن مواصلة طلب العلم، فالإمام أحمد لما خرج إلى عبد الرزاق الصنعاني في اليمن، انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه

(أي أجرها) على جلالته قدره وعلمه من بعض الحمالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً ، ورهن الإمام أحمد نعله عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن ، وقال الحافظ ابن كثير وهو يتحدث عن الشدائد التي لقيها الإمام أحمد خلال رحلته إلى اليمن وإقامته فيه لتحصيل العلم والحديث — قال: "وسرقت ثيابه وهو باليمن، فجلس في بيته ورد عليه الباب، وفقده أصحابه، فجاؤوا إليه فسألوه، فأخبرهم فعرضوا عليه ذهباً فلم يقبله، ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ليكتب لهم به، أي أخذ الدينار على أن يكون أجرة لما ينسخه لهم من الكتب ، فكتب لهم بالأجر رحمه الله"

والإمام البخاري في الغربة لا يجد ما يستر به عورته، وحكى الخطيب البغدادي في ترجمة الإمام البخاري قال: "قال عمر بن حفص الأشقر إنهم فقدوا البخاري أياماً من كتابة الحديث بالبصرة، قال: فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث" ، بل كان يأكل من الأرض، وما عنده ما يشتري به طعاماً ، يقول الإمام البخاري عن نفسه: "خرجت إلى آدم ابن أبي إياس في عسقلان، فتخلفت عني نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض ولا أخبر بذلك أحداً، فلما كان اليوم الثالث أتاني آت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال أنفق على نفسك" وأبو حاتم يحكي لنا ما قاساه في طلب العلم من الشدة يقول: "في سنة أربع عشرة — أي ومائتين — بقيت ثمانية أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أقيم سنة، فانقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثيابي حتى نفذت وبقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي وإلى المشيخة وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيتي لجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت فغدا علي رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، وانصرفت جائعاً، فلما كان من الغد غدا علي فقال مر بنا إلى المشايخ، قلت أنا ضعيف لا يمكنني، قال ما ضعفك؟ قلت لا أكتمك أمري قد مضى

يومان ما طعمت فيهما شيئاً، فقال قد بقي معي دينار، فنصفه لك ونجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البصرة وقبضت منه النصف دينار" ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالقرآن، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد:

هي ما اختص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وفضله به على سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وكذلك سائر البشر ، ووردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تصرح بعلو منزلة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم وأنه أعلى الناس قدرا، وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وأن الله تبارك وتعالى قد أكرمه بخصائص لم يعطها غيره من الأنبياء والمرسلين- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- والبشر.

أولا : الخصائص التي انفرد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بقية الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إلى عدة أنواع:

النوع الأول: ما اختص به في ذاته في الدنيا.

- عهد وميثاق:أخذ الله- عز وجل- العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى عيسى عليهما السلام لما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباعه ونصرته، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق على أممهم لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه قال الله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال علي بن أبي طالب وابن عباس- رضي الله عنهم-: «ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا

أخذ عليه ميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولننصرنه»

- رسالة عامة: كان الأنبياء والرسل السابقون- عليهم الصلاة والسلام- يرسلون إلى أقوامهم خاصة كما قال الله تعالى: (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه). (وإلى عاد أخاهم هودا)، (وإلى ثمود أخاهم صالحا). (ولوطا إذ قال لقومه) ، (وإلى مدين أخاهم شعيبا). وأما نبينا صلى الله عليه وسلم، فرسالته عامة لجميع الناس عربهم وعجمهم وإنسهم وجنهم، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

- نبوة خاتمة: من رحمة الله تعالى بعباده إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ومن تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلم العباد أنكل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال. قال الله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما).

- رحمة مهداة: أرسل الله- تبارك وتعالى- رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للخلائق عامة مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنهم، وجعله رعوفا رحيفا بالمؤمنين خاصة فمن قبل الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدتها خسر الدنيا والآخرة. ويؤيد هذه الخصوصية قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه:- قال: قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة»

- أمانة لأصحابه: أكرم الله- تبارك وتعالى- نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل وجوده بين أصحابه أمانة لهم من العذاب، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة حيث عذبوا في حياة أنبيائهم. وكان صلى الله عليه وسلم أمانة لأصحابه كذلك من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا ووقع بعد وفاته.

قال العز بن عبد السلام- رحمه الله:- «... ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أرسله (رحمة للعالمين) فأمهل عصاة أمته ولم يعاجلهم إبقاء عليهم بخلاف من تقدمه من الأنبياء فإنهم لما كذبوا عوجل مكدبهم» ، وقد جاء النص على هذه الخصوصية من القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثار السلف الصالح، فمن ذلك ما روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فتزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهموما كان الله معذبهم وهم يستغفرون).

- القسم بحياته: أقسم الله تبارك وتعالى بأشياء كثيرة من مخلوقاته الدالة على كماله وعظمته ليؤكد المعنى في نفوس المخاطبين، فأقسم تعالى بالشمس والقمر والفجر والسماء وغير ذلك. بينما نجدده سبحانه وتعالى لم يقسم بأحد من البشر إلا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث يقول جل شأنه لعمر ك إنهم لفي سكرتهم يعمهون.

- نداؤه بوصف النبوة والرسالة: خاطب الله- عز وجل- رسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بالنبوة والرسالة ولم يناده باسمه زيادة في التشريف والتكريم أما سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فخطبوا بأسمائهم. قال الله تعالى: يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر . وقال الله تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وقال تعالى: يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، إلى غير ذلك من الآيات.

بينما قال تعالى لأنبيائه:- يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة- يا نوح اهبط بسلام - فهي المؤمنين عن مناداته باسمه:

- أدب الله- عز وجل- عباده المؤمنين في مخاطبة نبيه صلى الله عليه وسلم والكلام معه تشريفا وتعظيما وتقديرا له، فأمرهم أن لا يخاطبوه باسمه بل يخاطبوه: يا رسول الله، يا نبي الله، وإذا كان الله تبارك وتعالى خاطبه في كتابه العزيز بالنبوة والرسالة ولم يناده باسمه زيادة في التشريف والتكريم كما مر ذكره. فمن باب أولى وأحرى أهل الإيمان. واختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بخلاف سائر الأنبياء والمرسلين فإن أمهم كانت تخاطبهم بأسمائهم. قال الله- جل ذكره:- لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوإذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

- كلم جامع:فضل الله- عز وجل- نبيه صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم، فكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني ، أعطاه مفاتيح الكلام وهو ما يسره له من البلاغة والفصاحة، والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه.

- نصر بالرعب: اختص نبينا صلى الله عليه وسلم، بأن الله عز وجل نصره بالرعب، وهو الفزع والخوف، فكان سبحانه يلقيه في قلوب أعداء رسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر أو شهرين هابوه وفرعوا منه، فلا يقدمون على لقائه وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بست . أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي المغام، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

- مفاتيح خزائن الأرض بيده: أكرم الله عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم واختصه على غيره من الأنبياء بأن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض وهي ما سهل الله تعالى له ولأمته من بعده من افتتاح البلاد المتعذرات والحصول على كنوزها وذخائرها ومغانمها واستخراج الممتنعات من الأرض كمعادن الذهب والفضة وغيرها» ويحتمل أعم من ذلك. والله أعلم.

- ذنوب مغفورة: اختص الله تعالى عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتكريما بأن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأخبره بهذه المغفرة وهو حي صحيح يمشي على الأرض.

قال العز بن عبد السلام: «من خصائصه أنه أخبره الله بالمغفرة ولم ينقل أنه أخبر أحدا من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم بدليل قولهم في الموقف: نفسي نفسي. وقال ابن كثير في قوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا* ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشریف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ...».

- كتاب خالد محفوظ: أعطى الله - تبارك وتعالى - كل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات والمعجزات الدالة على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم، وهذه المعجزات كانت وقتية انقضى زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكانت معجزته العظمى التي اختص بها دون غيره هي القرآن العظيم. الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده إلى يوم القيامة. كتاب خالد لا ينضب معينه ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي فوائده محفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل والتحريف.

- إسرائ ومعراج: ومما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة الإسراء والمعراج.

النوع الثاني: ما اختص به في ذاته في الآخرة.

- وسيلة وفضيلة: الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد من عباد الله. وهو رسولنا صلى الله عليه وسلم.

- مقام محمود: لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، تشريفات وتكريمات لا يشركه ولا يساويه فيها أحد الأنبياء فمن دونهم. ومن ذلك المقام المحمود، الذي يقومه صلى الله عليه وسلم فيحمده الخالق عز وجل والخلائق من بعده. قال تعالى ومن الليل فتهدج به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا .

- شفاعة عظمى وشفاعات: يجمع الله- عز وجل- الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، وتدنو منهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ويعرق الناس حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم في يوم مقداره خمسين ألف سنة، قياما على أقدامهم شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم. فإذا بلغ الكرب والجهد منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم، قال: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينطلق. فيشفع حتى يقضي الله تبارك وتعالى بين الخلق

- شفاعته في استفتاح باب الجنة: وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه-؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»

- شفاعته في تقديم من لا حساب عليهم في دخول الجنة: ومما اختص به رسولنا صلى الله عليه وسلم من الشفاعات أنه يشفع في تعجيل دخول الجنة لمن لا حساب عليهم من أمته. وهذا من عظيم قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة منزلته عند ربه تبارك وتعالى.

- شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب

- دعوة مستجابة: أعطى الله - تبارك وتعالى - كل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوة أعلمهم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم، وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤوا يدعون بها على يقين من الإجابة. فإلها كل نبي من الأنبياء في الدنيا. وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فادخرها شفاعته لأمته يوم الفاقة وخاتمة الحن وعظيم السؤال والرغبة، فجزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن أمته ، وما فعله صلى الله عليه وسلم فهو من كمال شفقتة على أمته ورافته بهم واعتائه بالنظر في مصالحهم.

النوع الثالث: ما اختص به في أمته في الدنيا.

فضل الله - عز وجل - هذه الأمة على سائر الأمم واختصها بكرامات كثيرة في الدنيا ليست لغيرها وذلك إكراما وتشريفا لنبيها صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين. وإنما نالت هذه الأمة ما نالته من تكريم وتشريف باتباعها لرسولها محمد صلى الله عليه وسلم والسير على سنته والعمل بشريعته. ومن هذه الخصائص، أنها خير الأمم، وأحلت لها الغنائم، وجعلت لها الأرض مسجدا وطهورا، وصفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة ، وحل الغنائم ، ومحفوظة من الهلاك والاستتصال فالأمة المحمدية، أمة مصونة مرحومة، حفظها الله وأجارها، فلا تملك بالسنين ولا بجوع ولا غرق، ولا يسلط عليها عدوا من غيرها، فيستبيح بيضتها ويستأصلها، ولو اجتمع عليها من بأقطارها وهذا من خصائصها التي انفردت بها على غيرها ، ولا تجتمع على ضلالة وطائفة منها على الحق .

النوع الرابع: ما اختص به في أمته في الآخرة

اختص الله تبارك وتعالى الأمة المحمدية في الآخرة بخصائص كثيرة لم تعطها غيرها من الأمم وفي ذلك تشريف وتكريم لنبيها ومعلمها ومربيها صلى الله عليه وسلم، سيد الأولين والآخرين، الذي أمضى عمره الشريف وضحي بكل ما لديه في سبيل هدايتها ونصحها والأخذ بيدها إلى ما فيه عزها ومجدها في الدنيا والآخرة، حتى أصبحت بفضل الله خير أمة أخرجت للناس ، وإن مما اختصت به الأمة المحمدية في الآخرة، أنها شاهدة للأنبياء على أمهم، وهي أكثر أهل الجنة، وأول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة، وهي الآخرة زمانا، السابقة منزلة وتأتي الأمة المحمدية يوم القيامة غرا محجلة من آثار الوضوء، وبهذه الصفة يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من غيرهم حالما يكون منتظرهم على حوضه ، وأول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة الصراط جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر، فمن استقام في هذه الدنيا على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة، ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر على الصراط وتردى ، ومما اختصت به هذه الأمة من الفضائل أنها أكثر أهل الجنة .

ثانيا : الخصائص التي انفرد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمته

هذه الخصائص على أربعة أنواع:

الأول: ما حرم عليه دون غيره. وذلك تكرامة له صلى الله عليه وسلم وحمل له على مكارم الأخلاق ومن ذلك أكل الصدقة ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحرم عليه إمساك من اختارت فراقه ورغبت عنه من النساء ، ومما حرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك إخوانه الأنبياء عليهم السلام- دون غيره من الأمة- أنه إذا لبس لامة الحرب وعزم على الجهاد في سبيل الله أن لا يترعها ويقلعها حتى يلقي العدو ويقاقل ، ويجرم

عليه خائنة الأعين وهي الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، ولا يحرم ذلك على غيره إلا في محذور ، ومستند هذا قصة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه يوم فتح مكة في جملة من أهدر من الدماء فاحتبأ عند عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة، فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به عثمان حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه، ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رأيي كفت يدي عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك؟ ألا أمأت إلينا بعينك قال: «إنه لا ينبغي لنبى أن تكون له خائنة الأعين» وتعلم الشعر قال الله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)

الثاني: ما أبيض له دون غيره.

ما أبيض له دون غيره الوصال في الصوم ، و الزواج من غير ولي ولا شهود و الجمع بين أكثر من أربع نسوة وحكمة ذلك أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك ولتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهنقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال وتحصينهن والقيام بحقوقهن وغير ذلك من الحكم .

الثالث: ما وجب عليه دون غيره. والحكمة في اختصاصه بها زيادة الزلفى ورفع الدرجات ، ومنها اختصاصه بوجوب صلاة الضحى وقيام الليل والسواك والأضحية ووجوب مشاوره أصحابه.

الرابع: ما اختص به من الفضائل والكرامات دون غيره ومنها عصمة في الأقوال والأفعال ومن استهان به أو سبه كفر و الكذب عليه ليس كالكذب على غيره وأجر تطوعه قاعدا كتطوعه قائما ولا يورث و أزواجه أمهات المؤمنين و رؤيته في المنام حق ، وغير ذلك من الخصائص .

حديث الشفاعة :

عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " يجمع الله المؤمنين يوم القيامة، كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن اتتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن اتتوا إبراهيم -خليل الرحمن - فيأتون إبراهيم، فيقول: لستهناكم، ويذكر خطاياها التي أصابها، ولكن اتتوا موسى، عبداً آتاه التوراة وكلمه تكليماً فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب- ولكن اتتوا عيسى، عبد الله ورسوله، وكلمته، وروحه، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن اتتوا محمد صلى الله عليه وسلم عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فانطلق، فاستأذن علي ربي، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أنيدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه

من الخير ما يزن ذرة" ، هذا حديث الشفاعة المشهور، وقد ذكره البخاري في أماكن متعددة من جامعه. اللهم صل على محمد ما اتصلت عين بنظر وتزخرت أرض بمطر وحج حاج واعتمر ولي ونحر وحلق وقصر وطاف بالبيت وقبل الحجر، اللهم صل عليه وعلى آله صلاة لا نفاذ لها ولا انقطاع صلى الله عليه عدد من يصلي عليه وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيامة وصل عليه عدد الذاكرين وغفلة الغافلين واحشرنا وجميع المسلمين في زمرة يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم ارض عن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فإن نعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى وأعظم نعمة أنعم الله بها على الثقلين الجن والإنس أن بعث فيهم عبده ورسوله وخليفه وحيبيه وخيرته من خلقه محمداً صلى الله عليه وسلم ليخرجهم به من الظلمات إلى النور وينقلهم من ذل العبودية للمخلوق إلى عز العبودية للخالق سبحانه وتعالى يرشدهم إلى سبيل النجاة والسعادة ويحذرهم من سبيل الهلاك والشقاوة وقد نوه الله بهذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة في كتابه العزيز: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

. وقال سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}

وقد قام عليه أفضل الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة والنصح للأمة على التمام والكمال فبشر وأنذر ودل على كل خير وحذر من كل شر وأنزل الله تعالى عليه

وهو واقف بعرفة قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بمدة يسيرة قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} ..

وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على سعادة الأمة غاية الحرص كمال قال الله تعالى منوها بما حباه الله به من صفات جليلة: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}

وهذا الذي قام به صلى الله عليه وسلم من إيلاغ الرسالة وأداء الأمانة والنصح للأمة هو حق الأمة عليه كما قال الله تعالى: {وَمَا عَلَيَّ الرِّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} . وقال: {فَهَلْ عَلَيَّ الرِّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} . وروى البخاري في صحيحه عن الزهري أنه قال: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلىنا التسليم. انتهى.

وإن علامة سعادة المسلم أن يستسلم وينقاد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} ، وقال تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرِّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، وعبادة الله تكون مقبولة عند الله ونافعة لديه إذا اشتملت على أمرين أساسيين:

أولهما: أن تكون العبادة لله خالصة لا شركة لغيره فيها كما أنه تعالى ليس له شريك في الملك فليس له شريك في العبادة كما قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} وقال: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} .

الثاني: أن تكون العبادة على وفق الشريعة التي جاء بها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرِّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ، وقال تعالى:

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد"، وفي رواية لمسلم "من عمل عمل ليس عليه أمرها فهو رد". وقال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".

ولما كانت نعمة الله تعالى على المؤمنين بإرسال رسوله صلى الله عليه وسلم إليهم عظيمة أمرهم الله تعالى في كتابه أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً بعد أن أخبرهم أنه وملائكته يصلون عليه فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ، وصلاة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فسرت بثنائه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة عليه فسرت بدعائهم له ، ومعنى قولنا اللهم صلى على محمد عظم محمداً والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: {صَلُّوا عَلَيْهِ} ادعوا ربكم بالصلاة عليه ، و أما التسليم عليه معناه إذا قلت اللهم سلم على محمد فإنما تريد منه اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكوره السلامة من كل نقص فتزداد دعوته على ممر الأيام علواً وأمته تكثراً وذكوره ارتفاعاً .

أما كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين سأله عن ذلك ، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: " ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فأهدها إلي فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله علمنا كيف نسلم قال قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد" وهذه الكيفية هي أفضل
كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

وقد درج السلف الصالح ومنهم المحدثون بذكر الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه
وسلم عند ذكره بصيغتين مختصرتين إحداهما (صلى الله عليه وسلم) والثانية (عليه الصلاة
والسلام) وهاتان الصيغتان قد امتلأت بهما ولله الحمد كتب الحديث بل إنهم يدونون في
مؤلفاتهم الوصايا بالمحافظة على ذلك على الوجه الأكمل من الجمع بين الصلاة والتسليم
عليه صلى الله عليه وسلم. ولا ينبغي أن ترمز للصلاة كما يفعله بعض الكسالى والجهلة
وعوام الطلبة فيكتبون صورة (صلعم) بدلا من صلى الله عليه وسلم.

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ورد في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة كحديث "من
صلى علي من أمتي صلاة مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفع به عشر
درجات وكتب له بها عشر حسنات ومحاه عنه عشر سيئات" وحديث "إن أولى الناس بيوم
القيامة أكثرهم علي صلاة" ، و عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: «آمين» ، ثم صعد فقال: «آمين» ، ثم صعد فقال: " أتاني
جبريل فقال: يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله: قلت
آمين وقال: من أدرك أبويه أو أحدهما، فلم يبرهما فمات فدخل النار، فأبعده الله قلت: آمين
قال: "ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار، فأبعده الله قلت آمين (،
وروي عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال:
«من صلى علي في اليوم مائة مرة، قضى الله له مائة حاجة، سبعين منها في الآخرة وثلاثين
في الدنيا» و كان سفيان الثوري بينما هو يطوف، إذ رأى رجلا لا يرفع قدما، ولا يضع
قدما، إلا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قال: قلت له: يا هذا إنك قد تركت

التسبيح والتهليل، وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك في هذا شيء؟ قال: من أنت عافاك الله؟ فقلت: أنا سفيان الثوري.

قال: لولا أنك غريب من أهل زمانك، ما أحررتك عن حالي، ولا أطلعتك على سري. ثم قال لي: خرجت ووالدي حاجا إلى بيت الله الحرام، حتى إذا كنت في بعض المنازل، مرض والدي فقمتم لأعجله، فبينما أنا ذات ليلة عند رأسه إذ مات والدي اسود وجهه، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، فجدبت الإزار على وجهه فغطيته، فغلبتني عيني فنمت، فإذا أنا برجل لم أر أحسن منه وجهها، ولا أنظف منه ثوبا، ولا أطيب منه ريحا، يرفع قدما ويضع أخرى، حتى دنا من والدي فكشف الإزار عن وجهه، فايض ثم ولى راجعا، فتعلقت بثوبه فقلت: يا عبد الله من أنت الذي من الله على والدي في أرض الغربة؟ قال: «أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والدك كان مسرفا على نفسه، ولكن كان يكثر الصلاة علي، فلما نزل استغاث بي، وأنا غياث لمن أكثر الصلاة علي» ، فانتبهت فإذا وجه أبي أبيض.

قال الشاعر :

(تَوَاتَرَتِ الْخَيْرَاتُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... بِذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ)
(فذكرك للمختار فخر ورفعة ... وذكرك للمختار من أفضل الذكور)

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان في بعض الأيام جالسا فقرأ هذه الآية {إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَاهُمْ عِبَادُكُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} المائدة ١١٨ فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترل عليه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد مم بكاؤك فقال صلى الله عليه وسلم (فكرت في أمتي) فقال جبريل يا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك أنا أسترضيك في أمتك، يا أحبابي نبيكم عند مولاكم مكين ومولاكم ذو القوة المتين وإنك يا أخي عبد مهين فهل رأيتم مهينا يعذب بين مكين

ومتين مولاكم عظيم ونبىكم كريم فهل يضيع من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكريم فصلوا عليه كما أمركم مولاكم في القرآن الحكيم.

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن لا يدع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حيناً ولا وقتاً ولا يذكرها في الشدائد ويدعها في الرخاء فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة إنما يجب عليك أن تصلي عليه في صلاتك وعند قيامك وعودك ولباسك وأكلك وشرابك وسائر تصرفاتك فتعود عليك بركتها وتقبل عليك خيراتها وتقضي بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان تصلي بها كلها عليه لأن الله تبارك وتعالى جعله سبباً لخلاصك من النار ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفق المسلمين جميعاً حاكمين ومحكومين إلى الرجوع إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ليظفروا بالأسباب الحقيقية لحصول النصر والغلبة على الأعداء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حكيم مجيد.

تزكية النفس:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجةً على الخلائق أجمعين .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢]. { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

إن أهم ما ينبغي للإنسان أن يتعاهده تزكية نفسه ومعرفته لوسائل تزكية النفس، ولا سيما في هذه الأزمان المتأخرة التي استحكمت فيها الشهوات، وارتطمت فيها أمواج الفتن والشبهات، والتي لم يسلم منها إلا من عصمه الله جل وعلا ، وقبل الخوض في تفاصيل وسائل التزكية لا بد من العلم أن تزكية النفوس لا سبيل إليها إلا عن طريق الشرع المطهر باتباع ما جاءت به الرسل عن رب العالمين جل وعلا ، وقد أشارت آية الجمعة السابقة إلى هذا المعنى في قوله تعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم} [الجمعة: ٢] ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين : «فإن تزكية النفوس مسلم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعلima وبيانا وإرشادا ... فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم ... وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجئ بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب فلا سبيل إلى تزكيته وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، ومحض الانقياد والتسليم لهم، والله المستعان»

ووسائل تزكية النفس تنقسم إلى قسمين: مجملة و مفصلة.

الوسائل المجملة هي:

(١) العمل على تطهير النفس من أخلاقها الرذيلة كالرياء والعجب والشح والبخل، والحرص والطمع، والأمن من مكر الله ...

(٢) تحليتها بالأخلاق الحميدة الفاضلة بعد أن أصبحت جاهزة لها بتخليها عن الأخلاق الدنيئة، وهذه الأخلاق هي مثل: الإخلاص، والإنابة، والخوف من الله، والشكر، والتواضع.

(٣) المحافظة على الفرائض؛ لأنها أفضل طاعة يتقرب بها العبد إلى مولاه بنص السنة الصحيحة كما في الحديث الآتي: (حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله تعالى من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته.

(٤) الإكثار من النوافل فإنها أفضل شيء يتقرب به إلى الله تعالى بعد الفريضة بنص السنة الصحيحة كما في الحديث الآتي: ((حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله تعالى من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته.

(حديث ربيعة ابن كعب الأسلمي الثابت في صحيح مسلم) قال: كنت آتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوضوئه وحاجته فقال لي سلمي؟ فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود.

(٥) تدبر القرآن، فهو جلاء القلوب وإذا صفى القلب زكت النفس، والله تعالى يقول:

((كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته)) [ص: ٢٩]

أما الوسائل التفصيلية؛ فمنها ما يلي:

(١) التوحيد: وقد سماه الله تعالى زكاة في قوله: {وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون} [فصلت: ٦ - ٧]، وهذا التفسير مأثور عن البحر ابن عباس رضي الله عنه حيث قال في قوله تعالى: {لا يؤتون الزكاة}: لا يشهدون أن لا إله إلا الله. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء... إلى أن قال: «فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد» ، كما سمي الله تعالى الشرك رجسا ووسمه بالنجاسة، قال تعالى: {فاجتنبوا الرجس من الأوثان} [الحج: ٣٠]، وقال: {إنما المشركون نجس} [التوبة: ٢٨].

فدل مفهوم الآيتين على أن الطهارة والتزكية في التوحيد الخالص لله جل وعلا ، ولذلك قال موسى لفرعون وهو يدعو إلى التوحيد: {هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتحشى} [النازعات: ١٨ - ١٩].

(٢) الصلاة: وهي من أعظم ما تزكو به النفوس ولذلك قرن الله تعالى بينها وبين التزكية في قوله: {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى} [الأعلى: ١٤ - ١٥] ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم تطهير الصلاة للنفوس بتطهير الماء للأبدان كما في الحديث الآتي: (حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى

من درنه شيء؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا.

(٣) الصدقة: قال تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} [التوبة: ١٠٣]، (قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «وفيها أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها؛ لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها» .

(٤) ترك المعاصي والمحرمات: قال تعالى: {قد أفلح من زكاهها} أي: زكى نفسه بفعل الطاعات، ثم قال: {وقد خاب من دساها} أي: خسر من دساها بالفجور والمعاصي ، قال شيخ الإسلام: «فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيا إلا مع ترك الشر، فإنه يندس النفس ويدسيها» ، (قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «والمقصود أن زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفرغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، قال تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم} [النور: ٢١]، ذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية، فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك».

(٥) التوبة، فهي أول مقامات منازل العبودية عند السالكين، وبها يذوق الإنسان حلاوة الانتقال من التحلية إلى التحلية، قال الله عز وجل منوها بشأنها: ((وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)) [النور: ٣١]

(٦) لزوم الاستغفار والذكر عموما، لقول الله عز وجل: ((ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)) [الزخرف: ٣٦]

(٣) مخالفتها والإنكار عليها وعدم تلبية رغباتها؛ لأنها داعية للراحة والعصيان ، (يقول الغزالي رحمه الله: اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمانة بالسوء

مبالغة في الشر فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وغطامها عن لذاتها، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بما بعد ذلك.

(٧) توييخها وتقريعها من أجل حملها على الطاعة: (يقول الغزالي رحمه الله: إن لازمت نفسك بالتوييخ والمعاتبة والعدل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس مطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها، ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغلن أولاً بوعظ نفسك.

(٨) الإكثار من وعظها وتذكيرها بالموت والدار الآخرة: فتخاطبها بمثل ما خاطبها به الغزالي في إحيائه حيث يقول: ويحك يا نفس لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرك بالله الغرور، فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك، ولا تضعي أوقاتك، فالأنفاس معدودة، فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك، فاغتنمي الصحة قبل السقم، والفراغ قبل الشغل، والغنى قبل الفقر، والشباب قبل الهرم، والحياة قبل الموت، واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها، يا نفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته، فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب، ولا تتكلمين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وهو القادر على ذلك، أفظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء؟ أم ظننين أن ذلك دون هذا، أم ظننين أن العبد ينجو منها من غير سعي؟ هيهات!! فكما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجبة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخذق الطاعات ..

(٩) سوء الظن بالنفس والحيلولة بينها وبين الاعتزاز بالعمل والإدلال به على الله، فإن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيشي، (قال ابن القيم رحمه الله تعالى: على السالك أن لا يرضى بطاعته لله، وألا يحسن ظنه بنفسه، فإن الرضا بالطاعة من رعونات النفس

وحماقاتها، ودليل على جهل الإنسان بحقوق العبودية وما يستحقه الرب سبحانه، ويجب أن يعامل به، ثم إن رضا الإنسان وحسنه ظنه بنفسه يتولد منهما من العجب والكبر والآفات الباطنة ما هو أشد من الكبائر الظاهرة من الزنا وشرب الخمر.

(١٠) تنقية العمل من حظوظ النفس وشوائب الرياء ، فقد جعل ابن القيم رحمه الله تصفية العمل من الشوائب هي أساس الإخلاص في العمل، بحيث لا يمزج عمل الإنسان ما يشوبه من شوائب إرادات النفس من طلب التزين في قلوب الخلق أو طلب مدحهم والمهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم أو أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم ... إلى غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ما كان، فلا بد من التفتيش عما يشوب الأعمال من حظوظ النفس، وتمييز حق الرب منها من حظ النفس، ولعل أكثرها أو كلها أن تكون حظا لنفسك وأنت لا تشعر، فلا إله إلا الله كم في النفوس من علل وأغراض وحظوظ تمنع الأعمال أن تكون لله خالصة وأن تصل إليه.

(١١) محاسبة النفس: وقد دل على وجوب محاسبة النفس قول الله تعالى: (بأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) [الحشر: ١٩] تنظر أي تفكر وتتفكر ، يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله -: يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان ويقتضيه من لزوم تقواه سرا وعلانية في جميع الأحوال وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره وحدوده وينظروا ما لهم وما عليهم وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم يوم القيامة فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبله قلوبهم واهتموا للمقام بها اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقف عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أن الله خبير بما يعملون لا تخفى عليه أعمالهم ولا تضيع لديه ولا يهملها أوجب لهم الجهد والاجتهاد.

(وقال الشيخ عن هذه الآية: وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه وأنه ينبغي له أن يتفقدتها فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه والتوبة النصوح والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتكميله وإتقانه ويقايس بين ممن الله عليه وبين تقصيره هو في حق الله فإن ذلك يوجب الحياء لا محالة، والحرمان كل الحرمان أن يغفل العبد عن هذا الأمر ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها فلم ينجحوا ولم يحصلوا على طائل بل أنساهم الله مصالح أنفسهم وأغفلهم عن منافعها وفوائدها فصار أمرهم فرطا فرجعوا بخسارة الدارين وغبنوا غبنا لا يمكن تداركه ولا يجبر كسره لأنهم هم الفاسقون. قال تعالى: (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) [النور: ٣١]، فإذا ينبغي على العبد أن ينظر في حاله ويحاسبها ويتوب من التقصير فالمحاسبة تقود إلى التوبة قال تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) [الأعراف: ٢٠١] ولا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه ((والشريكان يتحاسبان عند نهاية العمل))، وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لها عند الموت: [ما أحد من الناس أحب إلي من عمر]، ثم قال: كيف قلت؟ فأعادت عليه كلامه، فقال: [لا أحد أعز علي من عمر]. فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة أخرى لأنه رآها أنسب وأحسن وأدق وأصدق، قال الحسن البصري رحمه الله: [المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة] ثم قال: [المؤمن يفجأ الشيء يعجبه فيقول والله إنك تعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات! حيلي بيني وبينك!]، هذا نموذج من الحساب لشيء يعرض للإنسان مزين ويعجبه وتميل إليه نفسه ولكنه يتركه لأنه ليس من مصلحته في الآخرة، [ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا؟!]، يفرط أي يسبق

ويحصل ويقع ، قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: ((ولا أقسم بالنفس اللوامة)): [لا يلقى المؤمن إلا وهو يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه] ، وقال مالك بن دينار رحمه الله: رحم الله عبدا قال لنفسه أأست صاحبة كذا؟ أأست صاحبة كذا؟ أأست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان لها قائدا. وهذا من حساب النفس ، وقال ميمون بن مهران: [التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح] ، وقال إبراهيم التيمي: [مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلاها فقلت لنفسي: يا نفس أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا، قال: فأنت في الأمانة فاعلمي إذا لتكوني في الجنة في ذلك النعيم] ، قال ابن القيم في إغاثة اللهفان: [إن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ثم تبعث منها إلى الأعضاء وأول ما تتال القلب] ، قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: ((ولا أقسم بالنفس اللوامة)): [لا يلقى المؤمن إلا وهو يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه]. وقال مالك بن دينار رحمه الله: رحم الله عبدا قال لنفسه أأست صاحبة كذا؟ أأست صاحبة كذا؟ أأست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان لها قائدا. وهذا من حساب النفس. وقال ميمون بن مهران: [التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح]. وقال إبراهيم التيمي: [مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلاها فقلت لنفسي: يا نفس أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا، قال: فأنت في الأمانة فاعلمي إذا لتكوني في الجنة في ذلك النعيم]. قال ابن

القيم في إغاثة اللفهان: [إن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ثم تنبعث منها إلى الأعضاء وأول ما تنال القلب].

(١٢) الإقلال من النوم والأكل والكلام: ومما يعين على تزكية النفس عدم الإكثار من هذه الأمور الثلاثة والإفراط فيها، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله موجبة لقسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي، وكثرة الأكل موجبة لقوة نوازع النفس الشهوانية لدى الإنسان، وتوسيع مجاري الشيطان فيه، وكثرة الأكل موجبة لكثرة النوم وكثرة النوم موجبة للعجز والكسل فضلا عن أنها مضيعة للعمر، وقد قيل: من أكل كثيرا شرب كثيرا فنام كثيرا فحسر كثيرا.

(١٣) التحلي بالصبر واليقين: بالصبر ينتصر على شهوات نفسه فيحجزها عن المحرمات ويجبسها على الطاعات، فجائبي التزكية: التحلي والتخلي لا يمكن الحصول عليهما إلا عن طريق الصبر، (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [الزمر: ١٠]

(١٤) الدعاء: من أسباب تزكية النفس الدعاء، فهو سلاح المؤمن بأن يلجأ الإنسان إلى الله دائما أن يقيه شر نفسه وأن يعينه على طاعة الله، فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: (اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت، من دعائه عليه الصلاة والسلام أيضا اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

أقسام التزكية:

التزكية تقوم على أمرين: تخلية وتحلية:

تخلية للنفس عن كل الذنوب والسيئات، والمعاصي والبلبات، والقبايح والمستردلات. وتخلية لها بالمكرمات، وتنمية المستحسن من الأخلاق والعادات حتى تبلغ بها النفس المطمئنة كما أشار الغزالي إلى ذلك بقوله: "جوهر عملية التزكية: الارتقاء بالنفس درجة درجة، من السيئ إلى الحسن ثم ترقيتها في مراتب الحسن والصفاء حتى تبلغ أعلى

المستويات الإنسانية وأسمائها، فتتحول من نفس أمارة بالسوء أو لوامة إلى نفس مطمئنة راضية عن ذاتها مرضية عند مولائها وربها".

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حسن الخلق :

الحمد لله الذي من على الصالحين بذكره وطاعته، فرتعوا في رياض الجنة لشغلهم بمراقبته وعبادته. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وصفيه من مخلوقاته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه: أهل دينه وولاته وسلم تسليما.

أما بعد : حسن الخلق ملكة بالنفس يقتدر بها على صدور الأفعال الجميلة بسهولة، فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إن خياركم أحسنكم أخلاقا»، وفي رواية: «إن من خيركم أحسنكم خلقا». الخلق: يطلق على كل صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير تكلف كالكرم يصدر عنه الإعطاء بلا عناء، والحلم يستدعي مصابرة السفية والعفوع عن المسيء، والحكمة تقتضي وزن كل عمل بميزان المصلحة، وعرف بعضهم الخلق: بأنه العادة في الإرادة. فتعود العزم على منزلة العدو كلما أوقد حربا يسمى خلق الشجاعة. والخلق يقال للمكارم وللمساوي. كالبخل والسفه والجبن وغيرها من الرذائل.

وفي هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفات فأولئك الأشرار، وإن كانوا يصلون، ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجارة، وحقهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مرء كرم الأخلاق فإن الصلاة الحقنة تنهى عن الفحشاء والمنكر. والصيام الخالص داعية الصبر والكرم. والحج

المبرور ينمي خلق الصبر وحسن العشرة، والمعونة فبرهان الصدق في العبارات والإخلاص فيها كرم الأخلاق. وآية التقصير فيها سوءها ولأن حسن الخلق من العلو بمكان مدح الله به خير خلقه فقال: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ، وكان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن كما قالت زوجته عائشة رضي الله عنها. فكان أدبه آدابه. وخلقه أخلاقه. من صبر وحلم، وكرم وعفو، وإخلاص وشجاعة، وعدل وحكمة ... إلخ.

وأن مما يثمره حسن الخلق في هذه الحياة تيسر الأمور لصاحبه، وموافاة الرغائب، وحب الخلق له، وثناءهم عليه، ومعونتهم له. والإبتعاد عن أذاه وقلة مشاكله في الحياة. واطمئنان نفسه، وطيب عيشه، ورضاء ربه، أما الثمرة في الحياة الآخرة فجنة نعيم، وقرب من رب العالمين.

روى الترمذي من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أحبكم إليّ؛ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً» ، وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على مكارم الأخلاق. منها حديث النّوّاس بن سمعان: «البر حسن الخلق» ، وحديث أبي الدرداء: ما شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق الترمذي وابن حبان وصحاحه، ورواه أبو داود ، وحديث أبي هريرة: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق» - رواه البزار بسند حسن، وحديث أبي هريرة: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» - رواه أحمد، وكذلك البزار بلفظ: مكارم، بدل صالح.

ومن محاسن الأخلاق: الصدق، والشهامة؛ والنجدة وعزة النفس والتواضع؛ والتثبت، وعلو الهمة، والعفو، والبشر، والرحمة والحكمة، والشجاعة، والوقار ، والصيانة، والدمائة ، والدعة، والصبر، والورع، والحياء، والسخاء، والتزاهة ، وحفظ السر، والقناعة والعفة، والإيثار.

ومن مساوئها: السفه، والرياء، والغيبة، والنميمة، والتبذل (ترك التصون والتحرز) ، والغدر، والخرق (الجهل) ، والحمق، والكذب، والجهل، والمكر، والخبث، والطيش،

والحقد، والقحة (وقح الرجل أي قل حياؤه) ، والحسد، والشراسة، والعجب، والجبن، وضعف الهمة، والكبر، والعبوس (عبس: جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهّم) ، والغضب، والذعر (الخوف والفرع) ، والكسل، والهزء، والزهو، والحرص، والشماتة، والمجون (مجن فلان مجونا ومجانة: قلّ حياؤه)، وإفشاء السر، والشره والفجور ، فعن عائشة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ شرّ النَّاس عند الله مترلة يوم القيامة من تركه أو ودعه النَّاس اتّقاء شرّه» .

فاحرص أخي على مكارم الأخلاق واتخذها حليتك؛ وتجنب سفاسفها لتكون من الخيار الذين يألفون ويؤلفون .

حسن الخلق نوعان:

الأول: حسن الخلق مع الله، وهو أن تتلقى أحكامه الشرعية والقدرية بالرضى والتسليم لحكمه، والانقياد لشرعه، بطمأنينة ورضى، وشكر الله على ما أنعم به: من الأمر والتوفيق، والصبر على أقداره المؤلمة والرضى بها.

الثاني: حسن الخلق مع الخلق، وهو بذل الندى، واحتمال الأذى، وكف الأذى، كما قال تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف: ١٩٩] ، {ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم} [فصلت: ٣٤، ٣٥] . فمن قام بحسن الخلق مع الله ومع الخلق: فقد نال الخير والفلاح .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر، لا عقل كالتيبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق" فقله صلى الله عليه وسلم: "ولا حسب كحسن الخلق" وذلك أن الحسب مرتبة عالية عند الخلق. وصاحب الحسب له اعتبار وشرف بحسب ذلك. وهو نوعان:

النوع الأول: حسب يتعلق بنسب الإنسان وشرف بيته. وهذا النوع إنما هو مدح؛ لأنه مظنة أن يكون صاحبه عاملاً بمقتضى حسبه، مترفعاً عن الدنيا، متحلياً بالمكارم. فهو مقصود لغيره.

وأما النوع الثاني: فهو الحسب الحقيقي الذي هو وصف للعبد، وجمال له وزينة، وخير في الدنيا والدين، وهو حسن الخلق المحتوي على الحلم الواسع، والصبر والعفو، وبذل المعروف والإحسان، واحتمال الإساءة والأذى، ومخالقة طبقات الناس بخلق حسن.

وعن النواس بن سميان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «البر: حسن الخلق، والإثم: ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس» قوله: «البر حسن الخلق». أي: التخلق بالأخلاق الحميدة، كطلاقة الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى، والرفق، والعدل، والإنصاف، والإحسان، والإثم هو ما أثر في القلب ضيقاً ونفوراً، وكرهية، وهذا يرجع إليه عند الاشتباه إذا كانت الفتوى بمجرد ظن من غير دليل شرعي.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

الأمانة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً... أما بعد :

إن الأمانة ليست بالأمر الهين إنما دين وذمة ومنهج وطريقة إنما حمل ثقل وعبء جسيم ومسئولية عظيمة إنما عرضت على السماوات والأرض والجبال وما أعظمها قوة وصلابة

فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وتحملتها أنت أيها الإنسان تحملتها بما أنعم الله به عليك من العقل والفهم ومما أنزل إليك من الوحي والعلم فبالعقل والفهم تدركون وتميزون وبالوحي والعلم تستنيرون وتهتدون وبذلك كنتم أهلاً لتحمل مسئولية الأمانة والقيام بأعبائها فأدوا الأمانة كما حملتموها أدوها على الوجه الأكمل المطلوب منكم لتنالوا بذلك رضا ربكم وصلاح مجتمعكم فإن بضياع الأمانة فساد المجتمع واختلال نظامه وتفكك أواصره

قال الكفوي: الأمانة: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكده الودائع كتم الأسرار، وقال في موضع آخر: كل ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار فهو أمانة .

وقول الله سبحانه (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (الأحزاب / ٧٢) قيل هو العقل .

وقيل: هي خلق ثابت في النفس يعفّ به الإنسان عمّا ليس له به حقّ، وإن تمّيات له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقّ لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس.

وهي أحد الفروع الخلقية لحبّ الحقّ وإيثاره وهي ضدّ الخيانة.

عناصر الأمانة : للأمانة ثلاثة عناصر هي :

الأول: عفة الأمين عمّا ليس له به حقّ.

الثاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقّ لغيره.

الثالث: اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه، وعدم التفریط بها والتهاون بشأها ، أي

بالأمانة.

أمانة الرسل:

والأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام-. فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب- في سورة الشعراء- يخبرنا الله- عزّ وجلّ- أن كلّ رسول من هؤلاء قد قال لقومه: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ.

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قد كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهوراً بينهم بآفته الأمين. وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم عنده. ولما هاجر صلى الله عليه وسلم وكلّ عليّ بن أبي طالب بردّ الودائع إلى أصحابها.

وجبريل- عليه السلام- أمين الوحي، وقد وصفه الله بذلك في قوله- وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (الشعراء/ ١٩٢- ١٩٤)

مجالات الأمانة : والمجالات التي تدخل فيها الأمانة كثيرة منها:

الدين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة ونقل الحديث والأسرار والرسالات والسمع والبصر وسائر الحواس .

الأمانة في القرآن الكريم:

ذكر ابن الجوزي- نقلا عن بعض المفسرين أن الأمانة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: أحدها: الفرائض ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) (الأنفال/ ٢٧) ، وقال تعالى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)) الأحزاب .

الثاني: الوداعة، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) (النساء، ٥٨) ، وقال تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) البقرة (٢٨٣)، وقال تعالى: (وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِعِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) آل عمران (٧٥)

الثالث: العفة (والصيانة) ، ومنه قوله تعالى: (إِنْ خَيْرٍ مِّنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ) (القصص / ٢٦) ، وقال تعالى (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرِتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)) النمل .

الأحاديث الواردة في (الأمانة):

١- (عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان») .

٢- (عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فكان مما قال: «اتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه... (الحديث)») .

٣- (عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: «أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبي») .

٤- (عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك») .

٥- (عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- عن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال: «إذا حدّث الرّجل الحديث ثمّ التفت فهي أمانة») .

٦- (عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنّ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من التّفاق حتّى يدعها: إذا أوّمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر») .

٧- (عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «الإمام ضامن المؤدّن مؤتمن» اللهم أرشد الأئمّة واغفر للمؤدّنين») .

٨- (عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ- رضي الله عنهما-: أنّ أباه استشهد يوم أحد وترك ستّ بنات وترك عليه ديناً. فلمّا حضره جذاذ النّخل ، أتيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقلت: يا رسول الله، قد علمت أنّ والدي استشهد يوم أحد وترك عليه ديناً كثيراً وإني أحبّ أن يراك الغرماء. قال: «أذهب فيبدر كلّ تمر على ناحية. ففعلت ثمّ دعوته فلمّا نظروا إليه أغروا بي تلك السّاعة. فلمّا رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرّات. ثمّ جلس عليه ثمّ قال: «ادع أصحابك» فما زال يكيل لهم حتّى أدّى الله أمانة والدي. وأنا والله راض أن يؤدّي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواتي تمرة. فسلم- والله- البيادر كلّها حتّى إنّي أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كأنّه لم ينقص تمرة واحدة»)

التواضع :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً ... أما بعد :

التواضع اشتقاقه من الضعة وهو رضا الإنسان بمترلة دون ما يستحقه فضله ومترلته ، قال الله تعالى: {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} [الشعراء: ٢١٥] . وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين} [المائدة: ٥٤] وقال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات: ١٣] . وقال تعالى: {فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى} [النجم: ٣٢] . وقال تعالى: {ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون} [الأعراف: ٤٨-٤٩] . والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع يقال فيما بين رفيع ووضيع، وأيضاً فالتواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة. والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح، وقال تعالى: (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) وقال: (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) وقد عظم النبي - صلى الله عليه وسلم - التواضع ومدحه فقال: " طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة " وعن حبيب بن أبي ثابت، قال: قلت لأنس بن مالك: حدثنا بما سمعت من رسول الله، ولا تحدثنا عن غيره، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف، ويركب الحمار، ويجلس على الأرض، وينام على الأرض، ويحيب دعوة المملوك، ويعتقل العنز في حلبها. وسمعته يقول: «لو دعيت إلى كراع لأجبت» و عن مسلم الأعمور، أنه سمع أنسا، يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض، ويتبع الجنابة، ويحيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، ويردف بعبده» و عن ثابت، قال: «ما رئي رسول الله صلى الله عليه وسلم يطأ عقبه رجلاً، ولا يأكل متكئاً» وعن الوليد، قال: بلغني أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: «إن من رءوس التواضع أن ترضى بأدنى المجلس، وأن تبدأ من لقيت بالسلام، وألا تحب أن تمدح بالتركية والبر» وجرير بن عبد الله، قال: قال لي سلمان: «يا جرير تواضع لله، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة» وأبا أمامة أخبره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «البداذة من الإيمان، البداذة من الإيمان» قال: عبد الله هذا أبو أمامة الحارثي قال عبد الله: سألت أبي قلت: ما البداذة؟ قال: التواضع في اللباس " و عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة، في يوم صائف، ثم راح وتركها» عن يزيد بن ميسرة قال: " قال عيسى ابن مريم عليه السلام: ما لي لا أرى فيكم أفضل العبادة؟ قالوا: وما أفضل العبادة يا روح الله؟ قال: التواضع لله عز وجل " و وقال حكيم: عشرة تورث: التواضع يورث الرفعة، والندامة تورث التوبة، ورؤية المنة تورث الشكر، والاياس من الناس يورث التوكل، والعزلة من الخلق تورث الانس بالحق وكظم الغيظ يورث زيادة العقل، وصدق النية يورث الجهد في العمل، وزيادة العمل تورث زيادة الخشية، ومخالفة النفس تورث موفقة الرب عز وجل، واستعمال المروءة في دين الله يورث مقام القرب من الله تعالى.

أنواع التواضع :

التواضع تواضعان أحدهما محمود والآخر مذموم والتواضع الحمود ترك التناول على عباد الله والإزراء بهم والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه .
 وذكر أن المهلب بن أبي صفرة كان صاحب جيش الحجاج، فمر على مطرف بن عبد الله بن الشخير، وهو يتبختر في حلة خز، فقال له مطرف: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله.

فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك.

أولك نطفة مدرة، وآخرك جيفة قدرة، وأنت تحمل فيما بين ذلك العذرة.

وإبراهيم بن شيبان يقول: الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة ، وأن سفیان الثوري، قال: أعز الخلق خمسة أنفس: عالم زاهد وفقه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني .

فضائل التواضع :

يستدعي ذكر فضائل التواضع وغاياته الرفيعة، فإن الأشياء إنما تعرف بأضدادها. أخرج مسلم وأبو داود وابن ماجه: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» .

ومسلم والترمذي: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» .

وابن أبي الدنيا: «والتواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل» .

والطبراني بسند صحيح حسن: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل نفسه في غير مسألة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة. طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريره، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله» .

والخرائطي: «إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة» .

وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم: «من يتواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في عليين» ، وفي رواية: «في أعلى عليين، ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين» .

وأبو نعيم وابن ماجه: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض» .

والطبراني: «من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله، ومن ارتفع عليه وضعه الله». وفي رواية له سندها صحيح: «إياكم والكبر فإن الكبر يكون في الرجل، وإن عليه العبادة». والطبراني والبيهقي: «إن من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجالس». وأبو نعيم: «تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبار عباد الله وتخرجوا من الكبر». وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد على آله وصحبة أجمعين .

التوبة :

الحمد لله الذي يعلم سر كل نفس ونجواها. أحاط علمه بكل شيء وعلم مسالك النمل وعدد الرمل وأحصاها. أحمده سبحانه حمد من ارتقى في رتب الإخلاص إلى منتهاها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من طهر نفسه من الشرك وزكاها. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بأكمل الشرائع وأسناها. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين عضوا على سنته بالنواجذ وتمسكوا بعراها، وسلم تسليما كثيرا

التوبة هي : ترك الذنب مخافة الله، واستشعار قبحة، وندم على المعصية من حيث هي معصية، والعزيمة على ألا يعود إليها إذا قدر عليها، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ، و الرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه؛ بأن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع، ويندم بقلبه ويستغفر بلسانه، ويمسك ببذنه .

من معاني التوبة في القرآن الكريم:

ورد لفظ التوبة في القرآن الكريم دالاً على معان عدة منها:

- ١ - التوبة بمعنى الندم: ومنه قوله - تعالى - : { فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ } [البقرة: ٥٤]. وقوله - تعالى - : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ حَمِيحًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣١].

٢ - التوبة بمعنى التجاوز:

ومنه قوله - تعالى - : { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ } [التوبة: ١١٧]، أي تجاوز عنهم.

وقوله - تعالى - : { وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } [الأحزاب: ٧٣].

٣ - التوبة بمعنى الرجوع عن الشيء:

ومنه قوله - تعالى - على لسان موسى - عليه السلام - : { سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ }

[الأعراف: ١٤٣]، أي رجعت عن سؤالي الروية .

قد أثنى الله على عباده المتقين المداومين على الاستغفار، فقال - تعالى - : { الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } [آل عمران: ١٦، ١٧].

والتائب من ذنبه محل رعاية الله وأهل لحفظه ورحمته، يصدق عليه من بركاته، ويمتعه بسعة الرزق ورغد العيش في الدنيا، وينعم عليه بالثواب العظيم والنعيم المقيم في الآخرة؛ قال تعالى في ثواب التائبين إليه: { أُولَئِكَ حِزَابُ اللَّهِ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } [آل عمران: ١٣٦].

ثم إن الاستغفار مع الإقلاع عن الذنوب سبب للخصب والنماء، وكثرة النسل وزيادة العزة والمنعة؛ قال تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: ١٠ - ١٢].

ففي الإيمان رحمة بالعباد، وفي الاستغفار بركات الدين والدنيا، وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، وورقه من حيث لا يحتسب» قد دلت النصوص المتضاربة على أن المبادرة بالتوبة من الذنب

فرضٌ على الفور، ولا يجوز تأخيرها، وأن التوبة عند المعاينة لا تنفع؛ لأنها والحالة هذه تصبح توبة ضرورة لا اختيار.

لهذا كان قبول التوبة حقاً على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، قبل أن تنقطع الآمال وتحضر الآجال، وتساق الأرواح سوقاً، ويغلب المرء على نفسه؛ قال تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٧، ١٨].

و تأخير التوبة ذنب تجب التوبة منه

شروط التوبة:

أولاً: أن تكون خالصة لله - عز وجل

ثانياً: الإقلاع عن المعصية

ثالثاً: الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال والعزم على ألا يعاود

الذنب في المستقبل

رابعاً: العزم الجازم على عدم معاودة الذنب

خامساً: عدم الإصرار على المعصية

سادساً: أن التوبة كما تكون بالقلب واللسان تكون أيضاً بالعمل الصالح

سابعاً: أن يستمر التائب في توبته ولا يأتي بما ينقضها ويخالفها؛ إذ الاستمرار في التوبة

شرط في صحة كما لها ونفعها.

ثامناً: من شروط التوبة أن تصدر في زمن قبولها؛ وهو ما قبل حضور الأجل، وطلوع

الشمس من مغربها ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله يقبل توبة العبد ما

لم يُعْرِغْ»

تاسعا : رد المظالم إلى أهلها .

أنواع الذنوب : الذنوب التي دون الشرك قسمان

القسم الأول: ذنوب تتعلق بحق الله - تعالى.

القسم الثاني: ذنوب تتعلق بحقوق الآدميين.

والقسم الأول نوعان:

النوع الأول: أن يكون الذنب بترك واجب يمكن استدراكه كالصلوات، والصيام، والحج، فلا بد في هذه الحقوق من التوبة مع القضاء، حيث قدر على ذلك وأمكنه، وفي بعض الذنوب التوبة مع الكفارة؛ كالحنث في الأيمان، والظهار وغير ذلك.

النوع الثاني: أن تكون بسبب جهل وعدم معرفة الله كما ينبغي، وتحليل ما أحله، وتحريم ما حرمه، ونحو ذلك، فهذا النوع تجزيء فيه التوبة فقط، ثم إن كان الذنب مما يوجب الكفر فلا بد من الإتيان بالشهادتين، وإثبات ما أنكروا، وإنكار ما كان قد اعتقد مما يوجب الكفر.

وإن كان بسبب جهل أو إعراض فلا بد فيه أن يطلب العلم ويتعلم من أمر دينه ما يعصمه ويحصنه من الوقوع في الذنب مرة أخرى.

في الذنب مرة أخرى.

القسم الثاني:

أن تكون الذنوب بسبب حق يتعلق بأدمي.

وهي نوعان أيضاً:

النوع الأول: أن ينجر الحق بمثله من الأموال والجراحات، وقيم المتلفات والسرقات والغصبوبات ... إلخ.

فلا بد في هذا النوع من رد كل مظلمة لأهلها، ورد كل حق لمستحقه من مال ونحوه - إن كان موجوداً - أو رد مثله إن كان معدوماً أو مستهلكاً؛ لأنه محض حق فيجب أداءه

إلى صاحبه، فإن لم يوجد أهلها تصدق بها عنهم، وتمكين ذي القصاص منه على الوجه المشروع، فإن لم يفعل بردّ المظالم إلى أهلها، واقتصر على التوبة فقط وندم وأقلع وعزم ألا يعود، فقد تصح توبته فيما بينه وبين الله، وتبقى في ذمته مظلمة الآدمي، ومطالبته على حالها، ومن لم يجد السبيل لإخراج ما عليه لإعسار فعفو الله مأمول، وفضله مبدول، فكم ضمن من التبعات، وبدل من السيئات!!

النوع الثاني: أن لا ينجبر الحق بمثله؛ بل جزاؤه من غير جنسه، كالقذف فحده الجلد، والزنا - إذا ثبت - فحده الرجم أو الجلد.

وأما الغيبة والنميمة ففاعلهما مذنب ومستحق للعذاب إن لم يستحل من اغتابه، واقتراف مثل هذه الذنوب ما دامت مستورة بين العبد وبين ربه لم يطلع عليها أحد تكون توبته بالندم عليها والإقلاع عن فعلها وكثرة الاستغفار للمغتاب ونحوه، وإكذاب نفسه مما قذف به، وكثرة الإحسان لمن أفسد عليه زوجته وزنى بها، فيدعو الله لصاحب الحق ويستغفر له، ويذكر المغتاب والمقذوف في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكره به من الغيبة؛ فيبدل غيبته بمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه، ويبدل قذفه بذكر عفته وإحصانه، ويستغفر له بقدر ما اغتاب به. والله أعلم.

التوبة من ترك الحسنات:

يظن بعض الناس أن التوبة لا تكون إلا من العصاة ومرتكبي الذنوب والخطايا، وهذا ظن في غير محله؛ فإن التوبة تكون - أيضاً - ممن ترك الحسنات ولم يستزد من الطاعات، وقد نص بعض أهل العلم على أن العبد إذا ترك فعل المستحبات رغبة عنها فقد باشر أمراً مكروهاً. بل إن الأمر أبعد من ذلك وهي منزلة لا يبلغها إلا الخالص من المؤمنين، وهي توبة المرء من تقصيره في الحسنات بعد أن يعملها وخوفه أن لا يكون قد أتى بها على الوجه المطلوب.

ما ينقض التوبة:

تقدّم أن التوبة مقام ينبغي أن يستصحبه العبد من أول ما يدخل فيه إلى آخر حياته، فإذا كان التائب قد جمع همّه وقصده وتاب توبةً نصوحاً، فعليه ألا يرجع إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع؛ فإن رجع إلى المعصية وعاود الذنب فقد نقض توبته؛ إذ إن صحة التوبة حينئذ مشروطة باستمرارها؛ فإذا تاب العبد من ذنب معين ثم عاود فعله فإنه حينئذ يُعدُّ ناقضاً لتوبته بسبب معاودته ذلك الذنب.

ولكن إذا تاب العبد من الذنب ثم عاوده، فهل يعود إليه إثم ذلك الذنب الذي قد تاب منه ثم عاوده بحيث يستحق العقوبة على الأول والآخر وإن مات مُصرّاً؟ أو أن ذلك قد بطل بالكلية، فلا يعود إليه إثم، وإنما يعاقب على هذا الأخير؟

قلتُ: الصحيح أنه لا يعود إليه إثم الذنب الذي قد تاب منه بنقض التوبة؛ لأنه قد ارتفع بالتوبة، وصار بمنزلة من لم يعمله، وكأنه لم يكن؛ فلا يعود إليه إثم بعد ذلك، والعائد إثم عليه هو المستأنف لا الماضي، ولأن التوبة المتقدمة حسنة، ومعاودة الذنب سيئة، فلا تُبطل معاودة الذنب هذه الحسنة، كما لا تبطل السيئة الأخيرة ما قارنها من الحسنات.

وللعلماء في هذه المسألة بحث أجمله في المسألة التالية:

هل العودة إلى الذنب مفسدٌ للتوبة

بمعنى أن الشخص إذا تاب من ذنب ثم عاد إليه هل يعود إثم هذا الذنب عليه لأنه رجع

إليه؟ تفصيل هذه المسألة على النحو التالي:

١ - إذا تاب واستمر على توبته، وكانت التوبة مستوفية للشروط خالية من الموانع،

فهذه توبة صحيحة لا خلاف فيها بإجماع العلماء.

٢ - أن يتوب من الذنب، ثم يعود إليه، ثم يتوب منه، ثم يعود إليه؛ فإذا كانت كلُّ توبة

مستوفية شروطها، فإن كل توبة صحيحة.

٣ - أن يتوب من الذنب، ثم يعود إليه، ويموت على ذلك، فهل يؤخذ بالأول والثاني، أم يؤخذ بالثاني وأما الأول فقد جَبَّته التوبة ورُفِع عنه الإثم؟
في ذلك قولان لأهل العلم:

الأول: أنه يؤخذ بالأول والثاني، وتكون معاودته الذنب مرة أخرى ناقضة للتوبة السابقة؛ وذلك لأن التوبة مشروطة باستمرارها والموافاة عليها، وهذا لم يستمر عليها، ولقولته تعالى: {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٧].

الثاني: أنه لا يؤخذ إلا بالثاني، وأما الأول فقد مَحَتْ أثره التوبة، وصار بمنزلة ما لم يعمله، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أذنب عبدٌ ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي، فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنه له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك» ، وهو الموافق لسماحة دين الإسلام؛ لما فيه من الترغيب للتائبين والمقبلين على الاستقامة.

قال الله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨].
والقول الثاني هو الراجح، وما ورد من أدلة للقول الأول فإنه محمولٌ على الموافاة بالكفر والموت عليه.

طبقات التائبين:

تختلف طبقات التائبين ورتبهم تبعاً لاختلاف أحوالهم وتباينهم في أعمالهم، واصطحابهم التوبة إلى آخر العمر، واستقامتهم عليها، وهناك أربع مراتب للتائبين:

المرتبة الأولى: وهم الذين يستقيمون على التوبة إلى آخر لحظة في حياتهم، ولم تحدثهم أنفسهم بالعودة إلى الذنب، أو مقارفة الإثم، وهؤلاء هم أصحاب النفوس المطمئنة الذين اتصفوا بأعلى رتب التوبة؛ لأنهم سلكوا الطريق المستقيم، فلزموا طاعة الله، بالإتيان بما به أمر، واجتناب ما عنه نهي وزجر، وتخلوا عن كل معصية وخُلِقَ لا يرضى عنه رب العزة والجلال، وهذه أعلى رتب التائبين.

المرتبة الثانية: وهم الذين سلكوا طريق الاستقامة ولازموا التوبة طيلة حياتهم؛ إلا أنهم لا ينفكون عن ذنوب تعترئهم، أو سيئات تزينها لهم أنفسهم؛ لا عن قصدٍ وعمدٍ؛ بل كلما أقدموا على الذنوب لاموا أنفسهم

وجددوا عزمهم وندموا على الشر؛ لِمَ فعلوه! وندموا على الخير، لِمَ لَمْ يستكثروا منه! وهذه رتبة عالية، وإن كانت دون الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين.

المرتبة الثالثة: وهم الذين يستمرون على التوبة مدة من الزمن ثم يترعون إلى المعاصي وتغلبهم الشهوات، فيخلطون عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومع ذلك تؤنبهم أنفسهم على ما فرطوا، ويندمون على ما فعلوا، ويجدُّون في قهر أنفسهم؛ لكنما يغريهم التسوية في التوبة وطول الأمل، وهؤلاء على جانب عظيم من الخطورة؛ لاحتمال أن يوافيهم الأجل فيموتوا قبل أن يتوبوا، فيندموا ولات ساعة مندم.

المرتبة الرابعة: وهم الذين استقاموا على التوبة مدة ثم مالت أنفسهم الأمارة بالسوء إلى الطبيعة البدنية، وأغوتهم بالشهوات الحسيَّة؛ فواقعوا الذنوب دون أن يُحدِّثوا أنفسهم بالتوبة، وهؤلاء يُخشى عليهم سوء الخاتمة إن هم تبعوا هوى أنفسهم وانقادوا لها غافلين عن المصير المحتوم؛ فالعاقل حسن الحظ من قمع نفسه عن غيِّها، وردَّها إلى طاعة ربها، ورجع إلى الصِّراطِ السَّويِّ، واهتدى بنور الكتاب المبين، وهَدَى سِيدِ المرسلين - صلى الله عليه وسلم.

ربنا آتِ أنفسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّها، أنت وليُّها ومولاها؛ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا اغفر وارحم، وتجاوز عما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، وأنت أعلم وغيرك لا يعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الذكر :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢]، { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١]، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا - يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد

الذكر كما عرفه العلماء: هو ما يجري على اللسان والقلب، من تسييح الله تعالى وتزيهه والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال .

قال الله تعالى: { فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ } [البقرة: ١٥٢].

وقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت» .

وكان بعض العارفين يقول: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها، وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. وأخرج البخاري تعليقاً عن

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس له» ، وقراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهى عنها نهي تحريم أو كراهة، وجاء في «مدارج السالكين» لابن القيم أيضاً رحمه الله (ومن منازل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} منزلة «الذكر» ، وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون. وفيها يتجرون. وإليها دائماً يترددون .

قال الشاعر : إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فترك الذكر أحياناً فننتكس
و «الذكر» عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة. بل جميع المسلمين [مأمورون] بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبهم، فكما أن اللجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب، وهو عمارتها، وأساسها.
وهو جلاء القلوب وصقلها، ودواؤها إذا غشيتها اعتلاها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقه، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء.
به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل: كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.
قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاث أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم ... وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

وبالذكر: يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.
قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرع
الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟! فيقال: قد مسه
الإنسي. وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا
روح فيه.

والذكر في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته.

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة.

الخامس: الإخبار عن خسران من هوى عنه بغيره.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة، كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأهمهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأهم أولو الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا

روح.

وتفصيل ذلك :

١ - أما الأول: فكقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا - هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤١ - ٤٤]، وقوله تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا
وَخَيْفَةً} [الأعراف: ٢٠٤].

وفيه قولان: أحدهما: في شرك وقلبك. والثاني: بلسانك بحيث تسمع نفسك.

٢ - وأما النهي عن ضده: فكقوله: {وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف: ٢٠٤]، وقوله: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} [الحشر: ١٩].

٣ - وأما تعليق الفلاح بالإكثار منه: كقوله: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥، والجمعة: ١٠].

٤ - وأما الثناء على أهله، وحسن جزائهم: فكقوله: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥].

٥ - وأما خسران من هوى عنه، فكقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩].

٦ - وأما جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، فكقوله: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

٧ - وأما الإخبار عنه بأنه أكبر من كل شيء، فكقوله تعالى: {إِثْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت: ٤٥]. وفيها أربعة أقوال.

أحدها: أن ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات؛ لأن المقصود بالطاعات كلها: إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: أن المعنى: أنكم إذا ذكرتموه ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل، وعلى الأول: مضاف إلى المذكور.

الثالث: أن المعنى: ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر: محق كل خطيئة ومعصية، هذا ما ذكره المفسرون.

وعن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: معنى الآية: أن في الصلاة فائدتين عظيمتين:

إحداهما: نهيها عن الفحشاء والمنكر.

والثانية: اشتغالها على ذكر الله وتضمنها له، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

٨ - وأما ختم الأعمال الصالحة به: فكما ختم به عمل الصيام بقوله: {وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

وختم به الحج في قوله: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} [البقرة: ٢٠٠].

وختم به الصلاة كقوله: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ} [النساء: ١٠٣].

وختم به الجمعة كقوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠]. ولهذا كان خاتمة الحياة الدنيا، وإذا كان آخر كلام العبد أدخله الله الجنة.

٩ - وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول. فكقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ - الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

١٠ - وأما مصاحبته لجميع الأعمال، واقتترانه بها، وأنه روحها: فإنه سبحانه قرنه بالصلاة، كقوله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤] وقرنه بالصيام والحج ومناسكه. بل هو روح الحج، ولبه ومقصوده، كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار: لإقامة ذكر الله». وقرنه بالجهاد.

وأمر بذكره عند ملاقاتة الأقران، ومكافحة الأعداء، فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأنفال: ٤٥].

... وفي «المسند» - مرفوعًا - من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة، وأن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل» .

وروى شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، أنهما شهدا على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» .

ويكفي في شرف الذكر: أن الله يباهي ملائكته بأهله، كما في «صحيح مسلم» عن معاوية رضي الله عنه: أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟» قالوا: آله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «أما إني لم أستحلفكم همة لكم، ولكن أتاني جبريل، فأخبرني: أن الله يباهي بكم الملائكة». وقال له رجل: إن شعائر الإسلام قد كثرت عليّ، فمروني بأمر أتشبه به. فقال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله».

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره: مثل الحي والميت» وقد تقدم، ولفظ مسلم: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه: مثل الحي والميت».

فجعل بيت الذاكر بمثلة بيت الحي، وبيت الغافل بمثلة بيت الميت، وهو القبر.

وفي اللفظ الأول: جعل الذاكر بمثلة الحي، والغافل بمثلة الميت.

فتضمن اللفظان: أن القلب الذاكر كالحَي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات فيالقبور، كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور
وفي الصحيح: في الأثر الذي يرويه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن ربه تبارك
وتعالى: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير
منهم».

والذكر ثلاثة أنواع:

- ١ - ذكر الأسماء والصفات ومعانيها، والثناء على الله بها، وتوحيد الله بها.
 - ٢ - وذكر الأمر والنهي، والحلال والحرام.
 - ٣ - وذكر الآلاء والنعماء والإحسان والأيدى وأنه ثلاثة أنواع أيضاً: ذكر يتوطأ عليه القلب واللسان وهو أعلاها، وذكر بالقلب وحده وهو في الدرجة الثانية، وذكر باللسان المجرد، وهو في الدرجة الثالثة.
- وذكر العبد لربه محفوف بذكرين من ربه له: ذكر قبله، به صار العبد ذاكراً له، وذكر بعده، به صار العبد مذكوراً، كما قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢] وقال - فيما يروي عنه نبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».
- والذكر الذي ذكره الله به، بعد ذكره له: نوع غير الذكر الذي ذكره به قبل ذكره له. «والذكر: هو التخلص من الغفلة والنسيان».

والفرق بين الغفلة والنسيان: أن «الغفلة» ترك باختيار الغافل، و «النسيان» ترك بغير اختياره، ولهذا قال تعالى: {وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف: ٢٠٥] ولم يقل: ولا تكن مع الناسيين، فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا ينهى عنه.

آداب الذكر كما : ينبغي للذاكر ما يلي: أن يكون المكان الذي يذكر الله فيه نظيفاً خالياً، والذاكر على أكمل الصفات الآتية:

أن يكون فمه نظيفاً، وأن يزيل تغيره بالسواك، وأن يستقبل القبلة، وأن يتدبر ما يقول، ويتعقل معناه. وإن جهل شيئاً تبينه... وأفضل الذكر القرآن إلا فيما شرع بغيره، والمواظب على الأذكار المأثورة صباحاً ومساءً، وفي الأحوال المختلفة، هو من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، ومن كان له ورد معروف ففاته فليتداركه إذا أمكنه ليعتاد الملازمة عليه .

ثالثاً: جاء في الأذكار النووية ما مختصره:

١ - أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمُحدث، والجنب، والحائض، والنفساء، وذلك في التسيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والدعاء، وغير ذلك .

تنبيه:قراءة القرآن لمثل هؤلاء لا تدخل تحت هذا الإجماع.

وتوجد أحوال تعرض للذاكر يستحب له قطع الذكر بسببها ثم يعود إليه بعد زوالها منها إذا سُلِمَ عليه ردَّ السلام ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا عطس عنده عطس شتمته ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا سمع الخطيب، وكذا إذا سمع المؤذن أجابه في كلمات الأذان والإقامة ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا رأى منكراً أزاله، أو معروفاً أرشد إليه، أو مسترشداً أجابه ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا غلبه النعاس أو نحوه وما أشبه هذا كله.

من أذكار الصباح والمساء:

قال ابن القيم رحمه الله: وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب إلى أن قال رحمه الله: وقال تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر: ٥٥] فالإبكار: أول النهار والعشي: آخره.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه».

- عن ابن مسعود قال: كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر» وإذا أصبح قال أيضاً: «أصبحنا وأصبح الملك لله».

- عن أبي هريرة أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير» .

- عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «قل» قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء».

- عن شداد بن أوس عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا

أنت، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة».

- و عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:
مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: قل: «اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر
السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد ألا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي
ومن شر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجرحه إلى مسلم، قله إذا
أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعتك» .

- وعن عبد الله بن عمر قال: لم يكن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدع هؤلاء
الكلمات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني
أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم
احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن
أغتال من تحتي» قال وكيع: يعني الخسف.

- قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم
ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو
السميع العليم ثلاث مرات فلا يضره» وكان أبان بن عثمان قد أصابه طرف فالج فجعل
الرجل الذي سمع منها الحديث ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر، أما إن الحديث كما
حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله على قدره.

من أذكار النوم واليقظة عن حذيفة قال: كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا
أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا» وإذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي
أحياناً بعد ما أمانتنا، وإليه النشور» ، قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إذا أتيت
مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت
نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة

ورهبته إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول» ، و عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته» .

بعض الأذكار الأخرى الواردة عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

١ - الخروج من المنزل: عن أنس قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «من قال - يعني إذا خرج من بيته - : بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنك الشيطان فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقى»

٢ - دخول المنزل: عن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير الموج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله».

٣ - دخول المسجد والخروج منه: عن أبي داود والنسائي: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك».

٤ - ذكر الأذان: أن يقول السامع كما يقول المؤذن إلا في لفظ «حي على الصلاة، حي على الفلاح» فإنه صح عنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إبدالهما بـ «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ولم يجئ عنه الجمع بينهما وبين «حي على الصلاة، حي على الفلاح» ولا الاختصار على الحيلة. و أن يقول: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، قال رسول الله -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ... غفر له»، و أن يصلي على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد فراغه من إجابة المؤذن، وأكمل ما يصلي عليه به ويصل إليه: هي الصلاة الإبراهيمية و أن يقول بعد صلاته عليه: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعده» و أن يدعو لنفسه بعد ذلك ويسأل الله من فضله فإنه يستجاب له.

هـ- أن يدعو لنفسه بعد ذلك ويسأل الله من فضله فإنه يستجاب له.

٥ - وجوب الاستعاذة من أربع في التشهد الأخير: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الحيا والمات، ومن شر فتنة المسيح الدجال».

٦ - ذكر الدين: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عن من سواك».

٧ - ذكر الخوف: عن أبي داود والنسائي عن أبي موسى أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

- كان إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم».

٨ - ما يقال عند المصيبة: قالت أم سلمة: سمعت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي، واخلفني خيرًا منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبيته، وأخلفه خيرًا منها». قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعًا إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب».

٩ - دخول المقابر: عن بريدة كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعظهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية».

١٠ - ما يقال بعد الوضوء: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «ما منكم أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

١١ - ذكر التزول بمثل يريد نزوله: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» .

١٢ - العطاس: قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إذا عطس أحدكم: فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم».

١٣ - الزواج: عن أبي هريرة أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان إذا رفاً الإنسان إذا تزوج قال: «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير» قال الترمذي: حسن صحيح.

١٤ - كفارة المجلس: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك»

١٥ - رؤية أهل البلاء: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء».

١٦ - ذكر السوق: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبني له بيتًا في الجنة».

١٧ - في الشيء يراه ويخاف عليه العين: قال سبحانه وتعالى: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف: ٣٩].

١٨ - عند دخول الخلاء: جاء في «الصحيحين»: كان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»، وإذا خرج قال: «غفرانك».

١٩ - روى البخاري ومسلم أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «من حلف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق»، فكل من حلف بغير الله فقد أشرك (ويقاس على اللات والعزى: الحلف بالنبي والكعبة والذمة وحياتك).

٢٠ - دعاء الضالة: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئاً (ضاع منه): قل: اللهم رب الضالة، هادي الضالة، تهدي من الضلالة، ردّ عليّ ضالتي بقدرتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك.

٢١ - ذكر بجامعة الزوجة: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً».

٢٢ - عقد التسبيح بالأصابع أفضل من السبحة: روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعقد التسبيح بيمينه. رواه أبو داود، وروى يسيرة إحدى المهاجرات رضي الله عنها قالت: قال

رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فتنسين الرحمة، واعقدن بالأنامل فيأهن مسئولات ومستنطقات».

٢٣ - في صياح الديكة والنهيق والنباح: وفي «الصحيحين» قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إذا سمعتم نهيق الحمير فتعودوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً».

٢٤ - ذكر الطعام والشراب: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فإذا نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره». وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «من أكل أو شرب فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه».

٢٥ - ذكر الضيف للمضيف: وعن أنس أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جاء إلى سعد بن عباد فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»

فائدة:

قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»

يا رب:

تم نورك فهديت، فلك الحمد، عظم حلمك فغفرت فلك الحمد، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهناها، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى فتغفر، وتجيب المضطر، وتكشف الضر، وتشفي السقيم، وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، ولا يجزي بالآثك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل.

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).
وصلِّ اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الشكر :

الحمد لله الأوّل الأزلي قبل الكون والمكان، من غير أوّل ولا بداية، الآخر الأبدي بعد فناء المكنونات والأزمان بغير آخر ولا غاية، الظاهر في علوّه بقهره عن غير بعد، والباطن في دنوّه بقربه من دون مسّ، الذي أحسن بلطفه كل شيء بدأه وأتقن صنع كل شيء أنشأه، ودبرت الأحكام حكمته وصرفت المحكومات مشيئته، فأظهر في الغيب والشهادة لطيف قدرته وعمّ في العاجل والآجل خلقه بنعمته، ونشر على من أحبّ منهم فضله، وبسط لجميعهم عدله، وأنعم عليهم بتعريفهم إياه، سبحانه وتعالى، به عزّ وجلّ، وأحسن إليهم باحتيائه إياهم إليه، وأفضل عليهم بتيسير كلامه لهم، ومنّ عليهم ببعثه رسولاً من أنفسهم إليهم، فنسأله الصلاة على النبي وآله، وأن يوزعنا بفضله وشكر نعمه، ويعرفنا خفيّ قدره، وصلّى الله تبارك وتعالى على سيّد الأوّلين والآخريين، رسوله المفضل بالشفاعة والحوض المورد، المخصوص بالوسيلة والمقام المحمود، وعلى إخوانه السالفين في الأزمان، وأنصاره التابعين بإحسان. أما بعد :

معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجلوطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ) النساء: ١٤٧ فقرن الشكر بالإيمان ورفع بوجودهما العذاب، وقال تعالى: (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) آل عمران: ١٤٥، وروي عن النبي الله أنه قال: الطاعم الشاكر بمثلة الصائم الصابر، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الشكر نصف الإيمان، وقد أمر الله تعالى بالشكر وقرنه بالذكر في قوله تعالى: (فادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) البقرة: ١٥٢، قد عظم الذكر بقوله: (ولذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرِ) فصار الشكر أكبر لاقترانته به ورضا الله تعالى بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لأن قوله تعالى: (فادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا

(لي) البقرة: ١٥٢، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها» وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة ولا كبيرة ، فقال: الحمد لله، إلا كان قد أعطي أكثر مما أخذ " وعن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: " أربع من أعطيهن فقد أعطي خيرى الدنيا والآخرة: لسان ذاك، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة صالحة " ويقال: كان من دعاء داود عليه الصلاة والسلام: اللهم إني أسألك أربعة، وأعوذ بك من أربعة: أما اللواتي أسألك، فلسانا ذاكرا وقلبا شاكرا، وبدنا صابرا، وزوجة تعينني في دنيائي وآخرتي. عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله عنده شاكرا صابرا، إحداهما أن ينظر في دينه إلى من هو فوقه فيقتدي به، وينظر في دنياه إلى من هو دونه فيحمد الله»

أنواع الشكر:

الشكر على وجهين: شكر عام، وشكر خاص .

فأما الشكر العام فهو الحمد باللسان، وأن يعترف بالنعمة من الله تعالى.

وأما الشكر الخاص، فالحمد باللسان، والمعرفة بالقلب، والخدمة بالأركان، وحفظ

اللسان، وسائر الجوارح عما لا يحل.

القواعد التي يقوم عليها الشكر:

قال الفيروز ابادي- رحمه الله تعالى: الشكر أعلى منازل السالكين، وفوق منزلة الرضا،

فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه،

وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد:

(١) خضوع الشاكر للمشكور.

(٢) وحيه له.

(٣) واعترافه بنعمته.

(٤) والثناء عليه بها.

(٥) وألا يستعملها فيما يكره.

فمتى فقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر.

أنواع الشكر:

والشكر على ثلاثة أضرب:

شكر القلب وهو تصور النعمة. وشكر اللسان. وهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وقوله تعالى: اعملوا آل داود شكراً (سبأ/ ١٣) معناه اعملوا ما تعملونه شكراً لله. وقيل شكراً مفعول لقوله اعملوا، وذكر اعملوا ولم يقل اشكروا لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح وقوله سبحانه اشكر لي ولوالديك (لقمان/ ١٤) - وسنجزي الشاكرين (آل عمران/ ١٤٤) - ومن شكر فإنما يشكر لنفسه (النمل/ ٤٠) وقليل من عبادي الشكور (سبأ/ ١٣) . ففيه تنبيه أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أوليائه إلا على اثنين، قال في إبراهيم عليه السلام شاكراً لأنعمه (النحل/ ١٢١) وقال في نوح: إنه كان عبداً شكوراً (الإسراء/ ٣) وإذا وصف الله بالشكر في نحو قوله: والله شكور حلیم (التغابن/ ١٧) إنما يعني به إنعامه على عباده .

العلاقة بين الشكر والصبر:

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - الشكر يتضمن الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية وقال بعض الأئمة: الصبر يستلزم الشكر ولا يتم إلا به، وبالعكس فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر. فمن كان في نعمة ففرضه الشكر، والصبر، أما الشكر فواضح، وأما الصبر فعن المعصية، ومن كان في بلية ففرضه الصبر والشكر، أما الصبر فواضح، وأما الشكر فالقيام بحق الله في تلك البلية، فإن لله على العبد عبودية في البلاء، كما له عليه عبودية في النعماء .

الفرق بين الشكر والحمد:

الشكر كالحمد في أنهما وصف باللسان بإزاء النعمة، إلا أن الحمد يكون باللسان وبالقلب، بخلاف الشكر فإنه يقع بالجوارح. والنعمة مقيدة في الشكر بوصولها إلى الشاكر بخلافها في الحمد، ويختص الشكر بالله تعالى، بخلاف الحمد.

الشكر والابتلاء (بالخيرات):

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة أي نخبركم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدّة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهوى والضلال .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : كل ما يلقي العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما يوافق هواه ومراده، والآخر لا يوافق، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما (فإنه مختبر وممتحن) .

النوع الأول: الموافق لغرضه فكالصحة والسلامة والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة وهو أحوج بشيء إلى الصبر فيها من وجوه:

أحدها: أن لا يركن إليها ولا يغتر بها، ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

الثاني: أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها، فإنها تنقلب إلى أضدادها.

الثالث: أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضعه فيسلبها.

الرابع: أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها فإنها توقعه في الحرام، فإن احتراز كل الاحتراز أوقعته في المكروه، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون.

قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية إلا الصديقون.

وقال عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - : ابتلينا بالضرء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم

نصير ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد وإنما كان الصبر على فتنة السراء أعظم لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره .

درجات الشكر وأنواعه : كثيرة:

فحياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر .. ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر .. والمعرفة بعظيم حلم الله وستره شكر .. والمعرفة بأن النعم ابتداء من الله بغير استحقاق شكر .. والعلم بأن الشكر نعمة من نعم الله شكر ، وحسن التواضع في النعم والتذلل فيها شكر .. وشكر أهل الجود والإحسان من الخلق شكر، فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله .. وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر ، وتلقي النعم بحسن القبول، واستعظام صغيرها شكر، واستعمال النعمة في طاعة الله شكر، والثناء على الله بها شكر.

وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه واستثنى في خمسة أشياء: في الإغناء، والإجابة، والرزق، والمغفرة، والتوبة، فقال تعالى: (فَسَوْفَ يُعْطِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) التوبة: ٢٨ وقال تعالى: (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ) الأنعام: ٤١، وقال تعالى: (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) البقرة: ٢١٢ (وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المائدة: ٤٠، وقال عز وجل: (ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) التوبة: ٢٧، وختم بالمزيد عند الشكر من غير استثناء فقال تعالى: (لِئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ) إبراهيم: ٧، فالشاكر على مزيد والشكور في نهاية المزيد وهو الذي يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشيء الواحد من النعم وهذا خلق من أخلاق الربوبية لأنه سماه باسم من أسمائه والمزيد هو إلى المنعم يجعله ما شاء، فأفضل المزيد حسن اليقين ومشاهدة الأوصاف، وأول المزيد شهود النعم، إلهما من المنعم بها من غير حول ولا قوة إلا به عز وجل، وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال، وقد يكون المزيد أخلاقاً وقد يكون علوماً وقد يكون في الآخرة وتبئناً عند فراق العاجلة، وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وختم تمنّهم في قوله

تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ) الزمر: ٧٤، وقال تعالى: (وَأَخِرُّ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يونس: ١٠، فلولا أنه أحب الأعمال إليه ما بقاه عليهم لديه.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نحمدك يا من هيات القلوب للتيقظ لمرضاتك، وفتحت أقفالها بأسرار معرفتك وأنوار هباتك، ونصلي ونسلم على من أرسلته بطب القلوب، وأيدته بما أنزلت عليه من قوت القلوب وتبيين الغيوب، وعلى آله الذي تحقّقوا برياضة النفوس فتحلّوا بأنوار اليقين، وأصحابه السائرين على منهجه المبين.

الصبر:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : إن التأمّل في سنن الله تعالى، ليعلم أن البلاء سنة من سننه الكونية القدرية، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ سورة البقرة: ١٥٥.

فلقد قدر الله مقادير الخلائق وآجالهم ونسخ آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معاشهم وأمواتهم وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وجعل الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره ركناً من أركان الإيمان، فما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته وإرادته وما في الكون كائن إلا بتقدير الله وإيجاده والدنيا طافحة بالأكدار والأنكاد مطبوعة على المشاق والأهوال والعوارض والحنن، هي كالحر والبرد لا بد للعبد منهم والنفس لا تزكوا إلا بالمحيص قال تعالى: ﴿وَلِيَمْحَصِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقِ الْكَافِرِينَ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤١. يقول ابن

الجوزي: من أراد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم.

والابتلاء لا يكون إلا عكس المقاصد وخلاف الأمانى وضد الملدات، والكل حتما يتجرع مرارته ولكن ما بين مقل ومستكثر، يبتلى المؤمن ليهذب لا ليعذب؛ فتن في السراء ومحن في الضراء قال تعالى ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون﴾ الأعراف: ١٦٨. والمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمرغوب قد يأتي بالمكروه، فلا تأمن أن توافيك المضرة من جانب المسرة، ولا تئأس أن تأتيك المسرة من جانب المضرة قال تعالى ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم﴾ سورة البقرة: ٢١٦. والفائز الحقيقي من مصائب الدنيا هو المؤمن قال - صلى الله عليه وسلم - ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إذا أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له))

والصبر من محاسن أخلاق المسلم التي يتحلى بها، وهو: حبس النفس عما تكره أو احتمال المكروه بنوع من التسليم والرضى ولا يأذن لها في فعلها مهما تآقت لذلك طبعها ويجسها عن البلاء إذا نزل بها فلا يتركها تجزع أو تسخط بل تبذل الجهد وتصبر. قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى ينزل المعونة على قدر المثونة، وينزل الصبر على قدر البلاء)). وقال - صلى الله عليه وسلم - ((ومن يتصبر يصبره الله)).

أنواع الصبر : ثلاثة أنواع هي :

١ - الصبر على الأقدار:

لابد لكل مسلم أن يعلم أنه كلما تسمك بدينه كلما عظم بلاءه، وليس هذا عجيبا لأن الله تعالى يبتلى المسلم على قدر دينه، وكلما صبر وتحمل أكثر جزاؤه وارتفعت درجته في الجنة قال - صلى الله عليه وسلم - ((يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلائه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه))

والصبر على الأقدار هو أن تصبر على ضيق المعيشة أو قلة الرزق أو مرض يصيبك أو فقد حبيب أو ضياع منصب أو مال .

٢ - الصبر على ترك المعاصي:

هو أن تجاهد وتصبر نفسك على ترك المعاصي من أجل الله تعالى فإذا دعتك نفسك يوماً إلى المعصية فتذكر مراقبة الله تعالى لك وأنه قادر عليك ومحيط بك وتذكر الوقوف بين يديه ، واعلم أن الله تعالى سيبدلك خيراً منها في الآخرة، بأن يجعلك تتمتع بكل اللذات، فإن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

٣ - الصبر على فعل الطاعات:

وهذا النوع من أصعب أنواع الصبر فهو لا يكون بالقلب فقط بل بالقلب والعقل والجوارح، فعندما تتكاسل عن أداء الصلاة لا بد أن تصبر وتجاهد نفسك لتقوم وتصلي وكذلك الصوم، فإنه يحتاج إلى صبر على ترك الطعام والشراب والشهوات قال تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته﴾ مريم: ٦٥. وجميع الأعمال الصالحة تحتاج إلى صبر ومجاهدة للنفس؛ قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ محمد: ٣١. فجاهد نفسك واصبر إلى أن تلقى الله تعالى في دار النعيم المقيم والراحة الدائمة.

وأكمل أنواع الصبر الصبر المتعلق بالتكليف، وهو الأمر والنهي، فهو أفضل من الصبر على مجرد القدر فإن هذا الصبر على مجرد القدر يأتي به البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا بد لكل أحد من الصبر على القدر اختياراً أو اضطراراً.

وأما الصبر على الأوامر والنواهي فصبر الرسل وأتباعهم، وأعظمهم اتباعاً أصبرهم في ذلك ، وكل صبر في محله وموضعه أفضل ، فالصبر عن الحرام في موضعه أفضل والصبر على الطاعة في محلها أفضل والطاعات ترفع الدرجات والمصائب تحط السيئات.

شروط الصبر:

- ١ - قال - صلى الله عليه وسلم - ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)).
- ٢ - قول {إنا لله وإنا إليه راجعون} سورة البقرة: ١٥٦.
- ٣ - عدم خروج كلمة تنافي حكم الله تعالى، فرب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان.
- ٤ - عدم الضجر والتسخط.
- ٥ - الرضى بقضاء اله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - ((عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقض له قضاء إلا كان خيرا له))
- ٦ - عدم الشكوى لغير الله تعالى.
- ٧ - احتساب الأجر من الله تعالى.
- ٨ - اليقين بفرج الله تعالى.
- كيف تهون عليك المصيبة؟
- ١ - أنها لم تكن في الدين.
- ٢ - معرفة عظم الأجر من الله تعالى.
- ٣ - معرفة قصر الدنيا.
- ٤ - التيقن بفرج الله تعالى وأنه سيبدلك خيرا منها.
- ٥ - تذكر رحمة الله تعالى.
- ٦ - أنها لم تكن أكبر من ذلك.
- ٧ - النظر فيمن فوقك من أصحاب المصائب.
- ٨ - أنك لا تعلم أين الخير، قال تعالى {وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون} سورة البقرة: ٢١٦.

محاسن الصبر :

١ - طاعة لأمر الله تعالى، قال عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا} آل عمران: ٢٠٠.

٢ - اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الصبر وتحمل المشاق ليبلغنا الإسلام وينقذنا من النار ، وللفوز بأجر الصبر ، فخفف المصاب عن نفسك بوعد الأجر وتسهيل الأمر لتذهب المحن بلا شكوى.

٣ - سبب لمغفرة الذنوب قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة؛ في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة)). .

٤ - يرفع الدرجات، قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الرجل ليكون له منزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلا يزال يتليها بما يكره حتى يبلغه إياها)). .

٥ - يجلب الحسنات ويكفر السيئات قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة))، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر الله عنه به من سيئاته))، وفي رواية أخرى ((ما من شيء يصيب المؤمن من نصب ولا حزن ولا وصب، حتى الهم يُهمه إلا يكفر الله به عنه من سيئاته))

٦ - الجزاء بخير ثواب قال تعالى: {ولنجزيَن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} النحل: ٩٦.

٧ - الأجر بلا نهاية قال تعالى {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} الزمر: ١٠. أي بلا نهاية.

٨ - حفظ الله وإعانتته لصابر، قال تعالى: {استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} سورة البقرة: ١٥٣.

٩ - سبب من أسباب دخول الجنة قال تعالى: ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ الرعد: ٢٣.

١٠ - الصبر نور يشع على القلب والجسد قال - صلى الله عليه وسلم - ((الصبر ضياء)) رواه مسلم .

١١ - يتزل الطمأنينة والسعادة قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر)).

١٢ - يدفع عذاب الآخرة قال - صلى الله عليه وسلم - ((عذاب أمتي في دنياها)). .

١٣ - فيه سبق إلى الجنة قال - صلى الله عليه وسلم - ((يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام))

١٤ - أفضل رزق للعبد قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما رزق عبد خيرا له ولا أسع من الصبر)). .

١٥ - الفوز بأجر الحاج؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((قال تعالى: إذا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا فحمدني وصبر على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل للحفظة: إني أنا قيدت عبدي هذا وابتليته فأجرؤا له ما كنتم تجرن له قبل ذلك من الأجر وهو صحيح)).

١٦ - الضمان بالجنة قال - صلى الله عليه وسلم - ((قال تعالى: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - أي عينيه - ثم صبر عوضته منهما الجنة))

١٧ - سبب من أسباب الفلاح، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ آل عمران: ٢٠٠.

١٨ - يحل البركة قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى يبتلي العبد فيما أعطاه فإن رضي بما قسم الله له بورك له فيه ووسعاه))

١٩ - علامة حب الله تعالى للعبد قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم)) وقال - صلى الله عليه وسلم - ((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل))

٢٠ - عظم الأجر للصابر قال - صلى الله عليه وسلم - ((يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض)) قال تعالى {إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير} هود: ١١ .

٢١ - انتظر الخير من الله؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم)).

٢٢ - يدل على إرادة الله تعالى الخير لعبده، قال - صلى الله عليه وسلم - ((إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة))

٢٣ - نيل رضى الله تعالى قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى)).

٢٤ - العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة قال تعالى {فاصبر إن العاقبة للمتقين} هود: ٤٩ .

٢٥ - الصابر يجري أجره مادام صابرا محتسبا؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((إذا اشتكى العبد المسلم قال الله تعالى للذين يكتبون - أي الملائكة - اكتبوا له أفضل ما كان يعمل إذا كان طلقا حتى أطلقه))

٢٦ - الفوز بتعويض الله تعالى بخير منها قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبيته، وأخلف الله له خيرا منها)).

٢٧ - البشرى برحمة الله تعالى وهدايته، قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ سورة البقرة: ١٥٥.

الوعيد المترتب على الجزع وعدم الرضى :

١ - يوجب سخط الله تعالى قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ... ومن سخط فله السخط)).

٢ - يحق البركة؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((.... وإن لم يرض لم يبارك له، ولم يزد على ما كتب له)).

٣ - سبب للهلاك، لأن الجزع معناه عدم الرضى بحكم الله تعالى وبأقداره.

والأمور المنافية للصبر:

- الشكوى إلى المخلوق، فإذا شكى العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه. أما الشكوى إلى الله فهي محمودة مشروعة كما قال أيوب - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة به فيما يقدر عليه، والتوصل إلى زوال ضرره، لم يقدح ذلك في الصبر، كإخبار المريض للطبيب بما يؤلمه ويشكو منه، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به، وإخبار المتبلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه.

والأنين على قسمين: أنين شكوى فيكره .. وأنين استراحة وتفريج فلا يكره.

وأما الشكوى فهي نوعان: شكوى بلسان المقال .. وشكوى بلسان الحال، ولعلها أعظمها، ولهذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - من أنعم عليه ربه أن يظهر نعمة الله عليه، وأعظم من ذلك من يشتكي ربه وهو بخير، فهذا أمقت الخلق عند ربه.

- ومما ينافي الصبر شق الثياب عند المصيبة، ولطم الوجه، وحلق الشعر، وضرب إحدى

اليدين بالأخرى، والدعاء بالويل.

ولا ينافي الصبر والبكاء، والحزن عند المصيبة كما قال الله عن يعقوب - صلى الله عليه وسلم - : { وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } (٨٤) [يوسف: ٨٤].
 واشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه وحده في غشيته، فقال: «أقد قضى؟» قالوا: لا، يا رسول الله! فبكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأى القوم بكاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بكوا. فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا يحزن القلب، ولكن يعذب بهذا (وأشار إلى لسانه) أو يرحم».

ومما يقدح في الصبر إظهار المصيبة، والتحدث بها، وكتماها رأس الصبر، ويضاد الصبر الهلع، وهو الجزع عند حصول المصيبة، والمنع عند ورود النعمة كما قال سبحانه: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) } [المعارج: ١٩ - ٢١].

والصبر أكبر عون للعباد على جميع الأمور كما قال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (١٥٣) [البقرة: ١٥٣].
 والذي يعين على الصبر أمور أهمها:

الأول: معرفة العبد ما في الطاعات من زيادة الإيمان وصلاح القلوب.

الثاني: معرفة العبد ما في المحرمات والمعاصي من الضرر والردائل، وما توجه من العقوبات في الدنيا والآخرة.

الثالث: معرفة العبد ما في أقدار الله من البركة والحكمة والرحمة، وما لمن قام بالصبر عليها من الأجور كما قال سبحانه: { إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (١٠) [الزمر: ١٠].

الرابع: معرفة العبد أن محبة الله معه كلما اتقى وصبر كما قال سبحانه: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)} [الأنفال: ٤٦].

ومن كان الله معه فكل شيء معه، فكيف لا يجاهد المسلم نفسه على الصبر وهذه أجوره وبركاته ومنافعه؟

فبالصبر يسهل على العبد القيام بالطاعات، وأداء حقوق الله، وأداء حقوق عباده، وترك ما تنهاه نفسه من المحرمات، وبذلك يهون عليه الصبر عن جميع الشهوات، وجميع الشدائد في الأقدار والأوامر.

و«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا». سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم. {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)} [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢].

التكسب وطلب الرزق :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. وقد حثنا الله على الكسب. قال تعالى {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} . وقال صلى الله عليه وسلم: "من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الأهم في طلب المعيشة". وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس". وقال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق" وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني استعن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته. وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به و عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، كنت أرهاها لأهل مكة بالقراريط» .

والرعي يشمل الإبل والبقر والغنم، ولكنه خص الغنم في الحديث لأنها أشد تفرقاً ونفرة من غيرها، وكان في رعي الغنم دروساً وفوائد وعبراً، يستفيد منها كل نبي، بترويضها والصبر عليها، مع اختلاف طبائعها، وتشم المصاعب في سبيلها، وكان من يعتاد هذا يستطيع بعده أن يسوس الناس ويروضهم ويصير على أذاهم ويتحمل المشاق في سبيل دعوته ويكون عنده من القوة المادية والمعنوية والطاقة الخلقية ما يجتاز بها مهمته بنجاح في تبليغ وحي ربه، ويكون أيضاً مثلاً أعلى، وقمة أخلاقية لقومه.

ويعمل في مجال الرعي قطاع كبير من أبناء المسلمين حالياً في بلاد عديدة، وهي ثورة عظيمة، وإنتاج وفير، وجانب هام في حياتنا لا يمكن الاستغناء عنه.

فما أجدرنا أن نقتفي أثر من اصطفاهم ربهم واختارهم على سائر البشر في التكسب من الطرق المشروعة كتدبير وقائي من الكسب غير المشروع مثل رعي بهيمة الأنعام.

إذا تتبعنا حياة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نجدها مليئة بالعبير العظيمة في مجال الأخذ بالأسباب، والسعي على المعاش، وهم المصطفون الأخيار، المبلغون عن الله رسالته، والأمناء على وحيه، والذين قال تعالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. وقال عنهم أيضاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠] ، ومع ذلك فقد كانوا مثلاً أعلى على مر العصور وقدوة حسنة لأممهم في كل شيء، ومن ذلك التكسب من الطرق المشروعة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن زكريا عليه السلام كان نجاراً» .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح نجاراً، وإدريس خياطاً، وإبراهيم ولوط زارعين، وصالح تاجرًا، وداود زرادًا، وموسى وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم وسلم رعاة» .

ويستفاد من الحديث والأثر وغيرهما أن رسل الله جميعاً كانوا يزاولون الأعمال بأيديهم، ويسعون على معاشهم وتحصيل قوتهم وقوت من يعولون.

يعد تكسب الإنسان لمعيشته في الحياة الدنيا من المباحات في الشرع لكنه واجب عليه، ولهذا ذم من يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب. وقد استحسّن النبي صلى الله عليه وسلم من وفد عبد قيس لما سألهم: "ما المروءة؟" فقالوا: العفة والحرفة. "، وقد جعل الله الرزق على قدر العمل. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "من رضي من الله بقليل من الرزق رضي الله عنه بقليل العمل". ويقول الراغب الأصفهاني في تفصيل النشأتين "إن الناس خلقوا على اختلاف في أجسامهم وقواهم وهمهم ليكون كل ميسرا لما خلق له أي صنعة معينة. ويرد محقق الكتاب الدكتور عبد المجيد النجار على هذا القول بأن هذه المقدمة نفسها غير مسلم بها. فهل الأجسام والقوى هي السابقة في الحلقة على الاختصاص بالصناعات التي تناسبها أم أنها نتيجة لاحقة للصنعة نفسها؟ إن الملاحظ بالعيان أن الصنعة المعينة تكسب محترفها من الصفات البدنية بل والنفسية ما كان خلوا منه قبل تعاطيه إياها، ومن هنا فإن القول بأن اختصاص الناس بصناعاتهم أمر توفيقى طبيعى يفضي إلى سلب الاختيار وثبوت ضرب من الحتمية الاجتماعية يكون قولاً غير مسلم به بل لعله يكون ضعيفاً. واختلاف الناس فيصناعاتهم الوارد في القرآن. وكذلك التسخير المبني على ذلك الاختلاف لا يجتزمان هذه الجبرية الاجتماعية بل ويصحان مع الاختيار. وقد كانت الثقافات القديمة الفرعونية والهندية واليونانية والفارسية تقوم على تقسيم المجتمع إلى طبقات بحسب الوظائف وكل طبقة لها موضع لا تتعداه في السلم التفاضلي الاجتماعي فيما يشبه الجبرية المهنية

الاجتماعية. والإسلام جاء هادما لهذه الجبرية مؤصلا للاختيار في الفعل بما في ذلك اختيار الصناعات والحرف.

إن الناس يختلفون في قدراتهم وإمكاناتهم الجسمية والبيولوجية والعقلية والنفسية. فكل ميسر لما خلق له. كما أن البشر يتفاوتون في الأخلاق والقيم والصفات المعنوية. ومن هنا يتفاضل الناس ويتميزون في كسب المعيشة والرزق وفي الفرص المتاحة لهم في الحياة. وقد أشار القرآن الكريم في بعض آياته في سورة القصص على لسان بنت النبي شعيب عليه السلام لأبيها مشيرة إلى موسى عليه السلام: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} . فهاتان صفتان إحداهما جسمية وهي القوة. والأخرى خلقية وهي الأمانة. كلتا الصفتين أهلت صاحبها وهو موسى عليه السلام أن يكون أفضل من غيره في العمل والكسب والاستخدام والتقبل الاجتماعي.

ويرى علماء المسلمين أن على الإنسان في طلب الرزق والسعي إليه أن يسلك كل الأساليب والطرق المشروعة من زراعة وتجارة وصناعة وما شابهها انطلاقا من الاعتراف بحريته وقدرته على الفعل والترك. وإذا كان الله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين. وأنه خالق الأرزاق ومترها ومقسمها، فإن الإنسان هو المسئول عن تحصيل الرزق والسعي في سبيله ما أمكنه إلى ذلك سبيلا مشروعاً. فالسما لا تمطر ذهبا ولا فضة كما يقولون. وكسب الرزق والسعي في سبيله واجب عين على القادرين من المكلفين لأن في ذلك دفعا للضرر عن النفس والولد. وهو مما أوجب العقل والشرع والأخذ به وحثا عليه لقوله تعالى {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التُّشُورُ} وعن الرسول صلى الله عليه وسلم: "خيركم من أكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده". وقال تعالى: {وَعَلَّمَآهُ صُنْعَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ} . وإذا قصر الإنسان في تحصيل رزقه أو اعتمد فيه على غيره مع قدرته على القيام به كان غيره أفضل منه وأعلى منه رتبة ودرجة لأن اليد العليا خير من اليد السفلى كما ورد في الأثر. وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم

المثل في ذلك حين مر بالمسجد فرأى رجلاً معتكفاً ليله ونهاره، فسأله عن يوعوله. فقيل له أخوه. فقال صلى الله عليه وسلم: "أخوه خير منه". ووجوب السعي في طلب الرزق والكسب تصحح حالة التواكل والكسل التي تظهر في طبقة من الجهلاء والخاملين الذين يعتبرون الدين نوعاً من الرهينة والعكوف في المساجد. ولقد أطلق القاضي عبد الجبار على هذه الطبقة اسم المتأكلة أو المتواكلة الذين يشيعون جو الخمول والكسل بين أفراد الأمة مدعين أن السعي في طلب الرزق نوع من سوء الظن بالله، وأن حسن التوكل على الله يقتضي القعود عن طلب الرزق وهذا فهم خاطئ لمعنى التوكل والصحيح أن نعقلها أولاً ثم نتوكل.

والحمد لله رب العالمين، وصلوات الله على سيدنا محمد، وعلى آله. وصحبه الأكرمين .

الصدقة وفضلها:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، هازم الأحزاب وحده، ناصر دينه ولو كره الكافرون. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أدى أمانة ربه، وبلغ الرسالة، فجزاه الله أعظم الخير كله. ثم أما بعد :

قال تعالى {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم} سورة البقرة: ٢٦١ ، وعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «أربعون خصلة أعلاهن منيحة العتر ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة» ، والمنيحة معناها على وجهين أحدهما: أن يعطي الرجل صاحبه صلة فتكون له، والآخر: أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بجليها ووبرها زماناً ثم يردّها، وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلاً خائباً من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة

أيام . والجود والكرم خلق من أخلاق رسولنا - صلى الله عليه وسلم - الذي جبله عليه رب العالمين.

والجود هو: البذل والعطاء، ليس في المال فحسب، بل في المال والعلم والجاه وبذل النفس لله تعالى، وإن أرفع درجات السخاء الإيثار وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه وأن تأثر غيرك على نفسك ويجب في الصدقة النية وإخلاص العمل لله فربما وأنت سائر في طريقك وجدت فقيراً فمدت يدك إلى جيبيك وأعطيته من أموالك بدون أي نية، فمن هنا كان لا بد أن نتذكر النية في كل شيء حتى لا يضيع العمل هباءً منثوراً، كما يستحب اختيار الحبيب من الأموال قال تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ آل عمران: ٩٢ ، ويستحب زيادة الصدقة في شهر رمضان المبارك اقتداءً بالنبي - صلى الله عليه وسلم-.

لماذا نتصدق؟

١ - طاعة لأمر الله تعالى قال عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد. الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ سورة البقرة: ٢٦٧.

٢ - طاعة لأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال - صلى الله عليه وسلم - ((تصدقوا ولو بتمر)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((من كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له)) ، فضل: أي زيادة. وقال - صلى الله عليه وسلم - ((إذا أتاكم السائل فضعوا في يده ولو ظلماً محرماً)).

٣ - اقتداءً بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كان ((أجود بالخير من الريح المرسلة)) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس وكان

أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى جعلني عبدا كريما))

أجر الصدقة:

١ - تزيد المال قال تعالى {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه} سبأ: ٣٩. وقال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان، فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا)) البخاري ومسلم ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله تعالى بها كثرة)) صحيح الجامع، وقال تعالى {وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون} سورة البقرة: ٢٧٢. وقال - صلى الله عليه وسلم - (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه).

٢ - تضاعف الأجر قال تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط} سورة البقرة: ٢٤٥. وقال تعالى {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبه والله يضاعف لمن يشاء والله واسععليم} سورة البقرة: ٢٦١. قال - صلى الله عليه وسلم - ((من تصدق بعدل تمرة - أي قيمتها - من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه - أي: مهره - حتى تكون مثل الجبل)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة)) ، قال تعالى {إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلِيم} التغابن: ١٧.

٣ - تكفر السيئات قال تعالى: {إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم} سورة البقرة: ٢٧١. قال - صلى الله عليه وسلم - ((تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار

٤ - سبب لمحبة الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله كريم يحب الكرماء)) وفي رواية أخرى ((إن الله تعالى جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً)).

٥ - تصرف غضب الله تعالى قال - صلى الله عليه وسلم - ((صدقة السر تطفئ غضب الرب)).

٦ - سبب للشفاء من الأمراض قال - صلى الله عليه وسلم - ((داووا مرضاكم بالصدقة)).

٧ - من أسباب الفلاح قال تعالى {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} التغابن: ١٦.

٨ - تضمن الظل بظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله قال - صلى الله عليه وسلم - ((كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس)) ، ومن السبعة الذين يظلمهم الله بظله يوم القيامة ((رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)).

٩ - من أنواع البر والخير؛ قال تعالى في تعداد أنواع البر {وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب} سورة البقرة: ١٧٧. وقال تعالى {وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون} سورة البقرة: ٢٠٨. وقال عز وجل {وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون} سورة البقرة: ٢٧٢. وقال تعالى {وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم} سورة البقرة: ٢١٥.

١٠ - تعظم الأجر قال تعالى {الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} سورة البقرة: ٢٧٤. وسئل النبي -

صلى الله عليه وسلم - أي الصدقة أعظم أجرا .. قال (أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى)

١١ - توجب دخول الجنة قال تعالى في صفات الأبرار {ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويديما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا. إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا. فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا. وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا} الإنسان: ٨.

وللصدقة طرق كثيرة، ومن طرقها:

١ - الذكر؛ قال - صلى الله عليه وسلم - (كل تسيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة).

٢ - النية الصادقة؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((وعبد رزقه الله تعالى علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته))

٣ - النفقة على الأهل؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يجتسبها - أي يقصد بها وجه الله تعالى والتقرب إليه - فهي له صدقة)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله))

٤ - النفقة على الأرحام؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم اثنتان صدقة وصله))

٥ - الحث على الصدقة قال - صلى الله عليه وسلم - ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))

٦ - الكلمة الطيبة؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((الكلمة الطيبة صدقة))

٧ - الضيافة؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة))

٨ - سقاية الماء؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((أفضل الصدقة سقي الماء))

- ٩ - بذل المعروف؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((كل معروف صدقة))
- ١٠ - نشر العلم أو بناء المساجد أو حفر الآبار أو غرس النخيل .. ؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما نشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجره، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته)) ، وفي رواية أخرى: ((سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((من بنى لله مسجدا بني الله له بيتا في الجنة))
- ١١ - السعي على الأرملة والمسكين؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله -وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر)) رواه البخاري
- ١٢ - كفالة اليتيم؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة)) رواه مسلم. وأشار الراوي بالسبابة والوسطى.
- ١٣ - القرض؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين إلا كان كصدقتها مرة)). وقال - صلى الله عليه وسلم - ((إن السلف يجري مجرى شطر الصدقة)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((كل قرض صدقة)).
- ١٤ - التبسم في وجه المسلم؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((تبسمك في وجه أخيك لك صدقة)).
- ١٥ - إنظار المعسرين؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة)).

١٦ - إطعام الزوجة والولد والخادم قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمتك فهو لك صدقة وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة)).

١٧ - غرس الأشجار؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة ولا يزرؤه أحد - أي ينقصه - إلا كان له صدقة)) وفي رواية (فلا يغرس المسلم غرسا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة)

١٨ - الإنفاق على الوالدين والأقربين؛ قال تعالى {يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم} سورة البقرة: ٢١٥.

١٩ - مساعدة الضعيف وإغاثة اللهفان؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((من أبواب الصدقة: التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويعزل الشوك عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدي الأعمى وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدلل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشده ذراعيك مع الضعيف؛ كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك))

آداب الصدقة:

١ - الإنفاق من الحلال؛ قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون} سورة البقرة: ٢٦٧. وقال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا)).

٢ - تجنب الرياء والمن والأذى؛ قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس} سورة البقرة: ٢٦٤. وقال - صلى الله عليه وسلم -

((ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا - أي فرضا ولا نفلا - عاق، ومنان ومكذب بالقدر)) ، وقال تعالى ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلِيم﴾ سورة البقرة: ٢٦٢ .

٣ - صدقة السر أفضل من صدقة العلانية؛ قال - صلى الله عليه وسلم - في حديث السبعة الذين يظلمهم الله بظله ((رجل تصدق بصدقة فأحفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((صدقة السر تطفئ غضب الرب)) ، وقال تعالى ﴿إن تبدو الصدقات فعما هي وإن تخفوها وتؤتوها لفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ سورة البقرة: ٢٧١ .

٤ - من الواجب أن يكون الإنفاق بنفس راضيه، فقد ذم الله تعالى المنافقين فقال عز وجل ﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ التوبة: ٥٤ .

٥ - لا تحقرن من الصدقة شيئا ولو شق تمره قال - صلى الله عليه وسلم - ((تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((اتقوا النار ولو بشق تمره)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((سبق درهم مائة ألف درهم؛ رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها))

٦ - يستحب زيادة الصدقة في شهر رمضان والعشر الأوائل من ذي الحجة وغيرها من الأيام الفاضلة.

أثر إمساك الأموال وعدم التصدق :

١ - سبب لإتلاف الأموال قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا)).

٢ - سبب للهلاك قال - صلى الله عليه وسلم - ((ياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة ففجروا))
، قال تعالى {وأنفقوا في سبيل الله لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} سورة البقرة: ١٩٥ .
٣ - يوقع في الفتن قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمي المال)).

٤ - معصية لله تعالى، قال عز وجل {وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها} المنافقون: ١٠ .

٥ - سبب للتعاسة، قال - صلى الله عليه وسلم - ((تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضي وإن لم يعط لم يرض)).

٦ - فيه أخذ للأموال بغير حق قال - صلى الله عليه وسلم - ((من كان معه فضل ظهر - أي مركوب زائد عن الحاجة - فليعد به - أي يتصدق به - على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له)) قال الراوي: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل - أي زائد عن الحاجة .

٧ - يمنع فضل الله يوم القيامة قال - صلى الله عليه وسلم - ((من منع فضل ماء، أو كلاً منعه الله فضله يوم القيامة)).

٨ - يوجب الذل والعذاب الأليم يوم القيامة قال - صلى الله عليه وسلم - ((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب اليم، رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله إلا جعل له طوقاً في عنقه وهو شجاع أقرع وهو يفر منه وهو يتبعه)).

٩ - سبب للخسران قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون} المنافقون: ٩ .

- ١٠ - يوجب الحسرة يوم القيامة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ سورة البقرة: ٢٥٤.
- ١١ - فيه إضاعة للمال قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى حرم عليكم إضاعة المال)).
- ١٢ - التأخر في دخول الجنة؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمس مائة عام)).
- ١٣ - سبب في عسرة الحساب يوم القيامة قال - صلى الله عليه وسلم - ((لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه)).
- ١٤ - التوعد بالويل قال تعالى ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون﴾ الماعون: ٤. الماعون: اسم لما يتعاوره الناس بينهم وقيل هو الزكاة.

إخفاء الصدقة وإظهارها:

قد اختلف طريق طلاب الإخلاص في ذلك فمال قوم إلى أن الإخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الإظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه أما الإخفاء ففيه خمسة معان:

الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فإن أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف.

الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألستهم فإنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه أخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة.

والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيران حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم التيمي أنه رؤي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسانيه أخي خيشمة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته.

الثالث إعانة المعطي على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم إلا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئا في الملاء فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك.

وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أك عوناً لك على المعصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على بركو قال الثوري لو علمت أن أحدكم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته.

الرابع أن في إظهار الأخذ ذلاً وامتهاناً وليس للمؤمن أن يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره إذلالاً للعلم وامتهاناً لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله

الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من أهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ، وبأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما يهدي الرجل إلى أخيه ورقاً أو يطعمه خبزاً ، فجعل الورق هدية

بانفراده فما يعطى في المأى مكروه إلا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة

أما الإظهار والتحدث به ففيه معان:

الأول الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبس الحال والمرآة فاختلف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية الثاني أن الإظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كنتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم إذا أنعم الله علي عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه .

فلا نحكم حكما بتا بأن الإخفاء أفضل في كل حال أو الإظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص . هذا وصلي اللهم وسلم على سيدنا وشفيعنا وحبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بر الوالدين :

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالقرآن، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد:

بر الوالدين معناه : الإحسان إلى الوالدين والتعطف عليهما والرفق بهما والرعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقيهما من بعدهما ، وبر الوالدين والإحسان إليهما مما أمر به المولى عز وجل: قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) البقرة (٨٣) وقال عز من قائل (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ

اللَّهِ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) النساء (٣٦) وقال تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الأنعام (١٥١) ، و (عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: سألت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ العمل أحبَّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: «الصَّلَاةُ على وقتها» . قال: ثمَّ أيُّ؟ قال: «برَّ الوالدين» . قال: ثمَّ أيُّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله») و (عن معاوية بن جاهمة السَّلَميَّ- رضي الله عنه- قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال: «ويحك أحيّة أمك؟» قلت: نعم. قال: «ارجع فبرّها» ، ثمَّ أتيت من الجانب الآخر، فقلت يا رسول الله: إني كنت أردت الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة.

قال: «ويحك، أحيّة أمك؟ قلت: نعم يا رسول الله.

قال: «فارجع إليها فبرّها» ، ثمَّ أتيت من أمامه فقلت:

يا رسول الله: إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال:

«ويحك، أحيّة أمك؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «ويحك الزم رجلها فثمَّ الجنة»)

(عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: إنَّ رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلمَّ

عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه. فقال ابن دينار

فقلنا له: أصلحك الله إنَّهم الأعراب وإنَّهم يرضون باليسير. قال عبد الله: إنَّ أبا هذا كان

ودًا لعمر بن الخطَّاب، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنَّ أبرَّ البرِّ صلة

الولد أهل وُدَّ أبيه») .

صور بر الوالدين :

صور بر الوالدين:

أورد القرطبي - رحمه الله - في تفسيره كلاما كثيرا مفاده:

١- أن الله أمر بعبادته وتوحيده، وجعل برّ الوالدين مقرونا بذلك، كما قرن شكرهما بشكره، فقال: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (الإسراء/ ٢٣) ، وقال: أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (لقمان/ ١٤) .

وقد أخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ.

٢- من البرّ بهما والإحسان إليهما أَلَّا يَتَعَرَّضَ لِسَبِّهِمَا وَلَا يَعْقُبَهُمَا.

٣- وعقوق الوالدين مخالفتهم في أغراضهما الجائزة لهما، كما أَنَّ بَرَّهُمَا مُوَافَقَتُهُمَا عَلَى الْأَغْرَاضِ. وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المندوب.

٤- أَنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ مَتَسَاوٍ عِنْدَ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ، وَبَعْضِ الْفُقَهَاءِ يَرْجِّحُ الْأُمَّ عَلَى الْأَبِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَالْحَاسِبِيُّ فِي كِتَابِهِ (الرَّعَايَةُ) .

٥- لَا يَخْتَصُّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ بِأَنْ يَكُونَا مُسْلِمِينَ بَلْ إِنْ كَانَا كَافِرِينَ يَبْرَّهُمَا وَيَحْسِنُ إِلَيْهِمَا إِذَا كَانَ لهُمَا عَهْدٌ.

٦- من الإحسان إليهما والبرّ بهما إذا لم يتعيّن الجهاد أَلَّا يَجَاهِدَ إِلَّا بِأَذْنِهِمَا.

٧- ومن تمام البرّ صلة أهل ودّ الوالدين، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِي لَصَدَائِقِ خَدِيجَةَ بَرًّا بِهَا، وَوَفَاءَ لَهَا وَهِيَ زَوْجَتُهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فَمَا ظَنَّاكَ بِالْوَالِدَيْنِ؟

٨- وخصّ ربّ العزّة حالة الكبر؛ لِأَنَّهَا الْحَالَةُ الَّتِي يَحْتَاجَانِ فِيهَا إِلَى الْبَرِّ لِتَغْيِيرِ الْحَالِ عَلَيْهِمَا بِالضَّعْفِ وَالْكِبَرِ، فَأَلْزَمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِرَاعَاةَ أَحْوَالِهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا أَلْزَمَهَا مِنْ قَبْلُ؛ لِأَنَّهُمَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ صَارَا كَلًّا عَلَيْهِ، فَيَحْتَاجَانِ أَنْ يَلِيَّ مِنْهُمَا فِي الْكِبَرِ مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي صَغَرِهِ أَنْ يَلِيَا مِنْهُ، فَلِذَلِكَ حَصَّ هَذِهِ الْحَالَةَ بِالذِّكْرِ.

٩- ومن برّهما والإحسان إليهما أن لا يقول لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم، يقول الحقّ-
تبارك وتعالى:- فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ (الإسراء/ ٢٣) وقوله: أفّ للأبوين أردأ شيءٍ لأنّه
رفضهما رفض كفر التّعمة، وجحد التّربية وردّ الوصيّة الإلهيّة.

١٠- أن يتلطفّ معهما بقول لّين لطيف، كريم، وأن يجعل نفسه مع أبويه في خير ذلّة،
في أقواله، وسكناته ونظره، ولا يحدّ إليهما بصره؛ فإنّ تلك نظرة الغاضب. وهذا من برّ
الوالدين.

١١- ومن برّهما التّرحّم عليهما والدّعاء لهما، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما
كما رفقاً بك، إذوليك صغيراً، جاهلاً، محتاجاً، فائراً على أنفسهما وأسهر ليلهما، وجاعاً
وأشبعاك، وتعرياً وكسواك، فلا تجزهما إلّا برّهما وطاعتهما وحين يبلغان من الكبر الحدّ
الذي كنت فيه من الصّغر، فعليك أن تلي منهما ماوليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل
التّقدّم

ثمره بر الوالدين:

١ - طاعة لأمر الله تعالى، قال عز وجل ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين
إحساناً﴾ الإسراء٢٣. فالبر من أعظم القربات والطاعات إلى الله تعالى، وبكفي أن تقف
على شرف بر الوالدين إذا علمت أن الله عز وجل قد قرن بر الوالدين بتوحيده تعالى
وشكره بشكرهما قال تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ لقمان١٤.

١ - الفوز برضى الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - ((رضا الرب في رضا
الوالدين)).

٢ - بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم -
((أحب الأعمال إلى الله: الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله))

٣ - البر مُنجي في الكروب، ففي الصحيحين، قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وانسد
عليهم الغار بصخرة كبيرة فتضرعوا إلى الله بأعمالهم الصالحة فكان منهم الحريص على رضا

والديه والمقدم لهما على أهله وولده، فكانت تنفرج الصخرة كلما دعوا حتى خرجوا من الغار سالمين.

٤ - بر الوالدين ثمرة لا بد أن تجني ثمارها في الدنيا قبل الآخرة وهي بر أولادك لك.

٥ - بر الوالدين شكر لهما واعتراف بجميلهما، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله)).

عقوبة عقوق الوالدين :

١ - العقوق يوجب سخط الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - ((رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما))

٢ - العقوق من الكبائر، قال - صلى الله عليه وسلم - ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، قلنا بلى يا رسول الله قال: الإشرak بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت))

٣ - العقوق معصية لله تعالى قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات))

٤ - العقوق يمنع دخول الجنة قال - صلى الله عليه وسلم - ((ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث ورجله النساء))

٥ - العقوق يمنع قبول العمل، قال - صلى الله عليه وسلم - ((ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً - أي فرضاً ولا نفلاً - عاق، ومنان، ومكذب بالقدر))

٦ - العقوق يوجب الهلاك والذلة والخسران، قال - صلى الله عليه وسلم - ((رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف. من أدرك أبوية عند الكبير أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة))

٧ - العقوق عمل لا يجبه الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - ((لا يجب الله العقوق))

٨ - العقوق ذلة يوم القيامة قال - صلى الله عليه وسلم - ((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم

القيامة؛ العاق بوالديه، والمرأة المترجلة - المتشبهة بالرجال - والديوث))

٩ - العقوق عقوبة معجلة في الدنيا قبل الآخرة قال - صلى الله عليه وسلم - ((اثنان

يعجلهما الله في الدنيا: البغي، وعقوق الوالدين))

إن بر الأم مقدم على بر الأب، ففي الحديث: ((جاء رجل إلى الرسول - صلى الله عليه

وسلم - فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال:

أمك قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال:

ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وما ذلك إلا لما مرت به الأم من صعوبة في الحمل ثم الوضع ثم

الإرضاع، قال القرطبي: إن الأم تستحق الحظ الأوفر من البر وقد عبّر الرسول - صلى الله

عليه وسلم - عن المبالغة في التماس رضى الأم بقوله: ((إلزمها فإن الجنة تحت أقدامها)) ،

وكذلك وصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأب، فقال: ((الوالد أوسط أبواب

الجنة))

صور من أنواع البر:

١ - الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما، قال - صلى الله عليه وسلم - ((أربع من

عمل الأحياء تجزي للأموات؛ رجل ترك عقباً صالحاً يدعو له ينفعه دعائهم ..)) ، وقال -

صلى الله عليه وسلم -: ((إن الرجل لثرفع درجته في الجنة، فيقول أنى لي هذا فيقال

باستغفار ولدك لك))

٢ - الإحسان إليهما والاعتراف بجميلهما وتفقد أحوالهما.

٣ - الصدقة عنهما بعد موتهما قال رجل للنبي - صلى الله عليه وسلم - ((إن أبي مات

وترك مالا ولم يوصي، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم))

٤ - قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه))

٥ - قال - صلى الله عليه وسلم - ((لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتره فيعتقه))

٦ - قال - صلى الله عليه وسلم - ((من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده)).

هذا وصلي اللهم وسلم على سيدنا وحبيبا وشفيعنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

حق الجار في الإسلام :

الحمد لله الذي أمرنا بالبر والصلة ونهانا عن العقوق، وجعل حق المسلم على المسلم من أكد الحقوق، وجعل للجار حقاً على جاره وإن كان من أهل الكفر والفسوق، نحمده تعالى وبه الوثوق، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الخالق وكل شيء سواه مخلوق. ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق المصدوق.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الناطق بأفضل منطوق، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آله وصحبه المؤدين للحقوق، وعلى التابعين لهم بإحسان من سابق ومسبق .

قال صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) ، فالجار أو الجوار هو الملاصقة في السكن أو نحوه، فمثلا صاحب المكتب جار لصاحب المكتب الذي بجانبه وهكذا ، وقد كان الجوار في بداية الإسلام من أسباب الميراث والتعاهد والتناصر، أي الإخوة في الدين لها دخل بالميراث، ثم نسخت بأية الموارث للقربى: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأنفال: ٧٥].

حد الجار والجوار:

وحد الجار كما ذهب الشافعية والحنابلة أربعون داراً من كل جانب، من الأمام والخلف واليمين والشمال، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حق الجار أربعون داراً هكذا وهكذا وهكذا) ، ولكن الملاصق أولى الناس

بذلك ، قال الله سبحانه وتعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْحُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْحُنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦].

أنواع الجار ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حق واحد ، فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فهو الجار صاحب القربى، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ، وأما الجار الذي له حقان، فجارك المسلم غير القريب، فله حقان حق الإسلام وحق الجوار ، وإذا كان لك جار كافر فله حق واحد وهو حق الجوار.

حرمة إيذاء الجار :

قال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) والإيذاء أنواعه كثيرة، وإيذاء الجار حرام ، و أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعيز من الجار السيء، يقول: (اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول) (حديث صحيح) ، و أذية الجار من أسباب دخول النار ، وقد قال رجل: (يا رسول الله! إن فلانة تكثر من صلاتها وصدققتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها -باللسان- قال: هي في النار، قال: يا رسول الله! فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الإقط -الإقط هو اللبن المحفف، وهو من الشيء الزهيد- ولا تؤذي جيرانها، قال: هي في الجنة) ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) ، وفي حديث ابن مسعود (قلت:يا رسول الله، أى الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك، وأن تزاني بجليلة جارك) ، وعن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن يزني الرجل بعشر نساء أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، قال: فما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرام حرمها الله ورسوله، فهي حرام، قال: لأن يسرق الرجل من

عشرة آيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» ، وعن عقبه بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول خصمين يوم القيامة جاران» .

حق الجار على الجار :

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "ليس المؤمن بالذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه"، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارها ولو فرسن شاة» . متفق عليه ، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» ، من حق جارك عليك أن تسلم عليه إذا لقيته، وأن تعوده إذا مرض، وتشيعه إذا مات، وتكون لأولاده بعد وفاته كما كان لهم في حياته. وأن تقف إلى جانبه في السراء والضراء والشدة والرخاء ، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح والمركب الهنيء. وأربع من الشقاوة: الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق» ، عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه. أتدري ما حق الجار؟: إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنتأته، وإذا أصابته مصيبة عزيتته، وإذا مات أتبعته جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذ به بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده» ، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً لأصحابه: «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنّ، أو يعلم من يعملهنّ؟» . قال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدّ خمسا، فقال: «أتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس،

وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحبّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضّحك، فإنّ كثرة الضّحك تميّت القلب»

وجملة حقّ الجار: أن يبدأه بالسّلام إن كان مسلما، ويعودده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويهنئه بالفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع من السطح على عوراته، ولا يضايقه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستتر ما ينكشف له عن عوراته، وينعشه من صرعه إذا نابته، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاما، ويغض بصره عن حرمة، ويتلطف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجمله من أمر دينه ودنياه.

من فوائد (حقّ الجار):

- (١) حفظ حقّ الجار من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- (٢) تعظيم حقّ الجار.
- (٣) حسن العلاقة بين الجيران ترضي الله - عزّ وجلّ وتسخط الشيطان وسوءها يسخط الله - عزّ وجلّ - ويرضي الشيطان.
- (٤) اسم الجار يشمل عموم أنواع المجتمع فإذا حسنت العلاقة بين الجيران وسادهم الحبّ والوثام سعد المجتمع كلّ.
- (٥) إنّ جار الخير يعود خيره عليه وعلى جيرانه وجار السوء يعود سوءه عليه وحده.
- (٦) المكافأة على الإحسان بأحسن منه.
- (٧) حسن الجوار ليس بكفّ أذاك عن جيرانك بل بتحمّل أذاهم وقضاء حوائجهم وكشف كرمهم.
- (٨) الملكان الجاوران لك أشدّ الجيران قربا فاحفظ حقهما فلا يريا منك إلّا خيرا.
- (٩) حسن الجوار باب من أبواب الجنّة وسوءه باب من أبواب النّار.

حق المسلم على المسلم :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن للمسلم على المسلم حقوقاً جاء بها الإسلام في القرآن الكريم، وعلى لسان النبي الأمين سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين - وهي حقوق كثيرة تنبئ عن الأخلاق الإسلامية الحميدة التي يجب أن يتخلق بها كل مسلم، ويتحلى بها المسلمون جميعاً، فلو قام كل مسلم بما وجب عليه من حقوق تجاه إخوانه المسلمين؛ لساد في المجتمع الحب والتعاون، ولانتشرت السعادة والطمأنينة والسكينة في قلوب المسلمين.

لقد ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين أن من حق المسلم على المسلم أنه إذا مرض المسلم عاده أخوه المسلم، وبين -صلى الله عليه وسلم- جزاء من يقوم بهذا العمل؛ أي عيادة المريض؛ إذ يكون في خراف الجنة؛ أي بساتينها حتى يعود، وإذا مات مسلم كان من حقه على إخوانه المسلمين أن يشيعوه إلى قبره، وأن يصلوا عليه، وبين -صلى الله عليه وسلم- جزاء من يفعل ذلك بأنه ل هـ قيراطان في الجنة، والقيراط مثل جبل أحد.

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، وله بذلك أجر عظيم عند الله تعالى، وعلى من يسلم عليه أن يرد السلام بزيادة أو بمثله على الأقل؛ قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (النساء: ٨٦)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، (النور: ٢٧).

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يجيبه إذا دعاه لعرس أو وليمة؛ بشرط ألا يكون هناك إثم ولا معصية، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع لقبلت))، فإجابة الدعوة حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم مراعاة لحاظه، والوقوف بجواره في السراء والضراء، ولجبر خاطره.

كما أن من حق المسلم على المسلم أن يبره إذا أقسم عليه بشرط ألا يكون في إبراره لقسمه معصية، أما إذا كان إبراره في قسمه يؤدي إلى معصية فلا يبره، وعلى المقسم أن يكفر عن يمينه ويفعل الذي هو خير، قال -صلى الله عليه وسلم-: ((من حلف على يمين فوجد غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه، وليأتى الذي هو خير)).

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يشتمه إذا عطس بشرط أن يحمده الله؛ ومعنى يشتمه؛ أي يدعو له بالرحمة فيقول له: يرحمكم الله مرة ومرتين، وفي الثالثة يقول له: يرحمك الله بك مرض أو زكام، وعلى العاطس أن يرد على من دعا له وشتمه، فيقول: يغفر الله لي ولك، أو يهدينا ويهديكم الله ويصلح بالكم، فإذا لم يحمده الله الذي عطس فلا حق له في التشميت، والتشميت أي الدعاء بالرحمة مأخوذ من شوامت الدابة؛ أي قوائمها فهو دعاء له بالتثيت؛ لأن العطاس نذير مرض وبرد، ويقال له: التسميت بالسين بدل أمن الشين، وهو دعاء بأن يجعل الله تعالى سمته حسناً؛ أي هيئته حسنة، وأن يعافيه من الأمراض. ومن حق المسلم على المسلم أن ينصحه إذا طلب منه النصيحة، والنصيحة مطلوبة لكل مسلم، ومن كل مسلم قادر على إسدائها وتقديمها للناس، وليس هناك كبير على النصيحة، فالنصيحة تكون للحاكم وللمحكوم، وتكون للصغير وللكبير، وتكون لدين الله وللقرآن ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم.

جاءت كل هذه الحقوق في قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((حق المسلم على المسلم خمس؛ أن يعوده إذا مرض، ويشيعه إذا مات، ويسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، وأن يبره إذا أقسم)) وفي رواية: ((حق المسلم على المسلم ست)) جاء فيها ((وأن يشتمه إذا عطس، وأن ينصحه إذا استنصحه)) والنصيحة جعلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الدين كله؛ ليبين مكاتبتها؛ فقال -صلى الله عليه وسلم-: ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة)) قال الراوي قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((الله، وكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)) أي ليس هناك كبير على النصيحة، والنصيحة لله؛ أي

تكون النصيحة خالصة لله - سبحانه وتعالى - ولصالح دين الله، والنصيحة لرسول الله؛ أي تكون خالصة لصالح شرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والنصيحة لكتاب الله؛ أي تكون الدعوة لحفظ كتاب الله، والعمل لكتاب الله.

وعن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. حديث متفق عليه.

ولقد جاءت آيات كريمة في النصح؛ فقال تعالى إخباراً عن نوح - عليه السلام -: { وَأَنْصَحْ لَكُمْ } (الأعراف: ٦٢) وعن هود - عليه السلام -: { وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ } (الأعراف: ٦٨) فتقديم النصيحة وإسداء النصح خلق فاضل كريم دعت إليه كل الشرائع السماوية، وتزلت به الكتب السماوية، وتردد كثيراً على ألسنة الرسل.

والنصيحة هي الكلمة الجامعة الوحيدة للدلالة على الخير، والتحذير من الشر والوقوع فيه، تكررت على لسان سيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - كثيراً، بل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل النصيحة للناس هي الدين كله، وتكون النصيحة لله؛ أي لدينه - سبحانه وتعالى - وتكون خالصة له - سبحانه عز وجل - وتكون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ أي لصالح دينه وشخصه ورفعته شريعته وإعلاء سنته والدعوة إلى العمل بالسنة وحفظها، وتكون لكتاب الله بحفظه وتعليمه وتعلمه وفهمه ودراسته والعمل به والسير على تشريعاته، وتكون لأئمة المسلمين من أمراء وعلماء؛ فلا كبير على النصيحة، وتكون لعامة الأمة في دعوتها إلى الرشاد والرشاد وترك الغي والضلال والظلم والفساد والدعوة إلى العمل بشرع الله تعالى.

ولمكانة النصيحة العالية يوصي بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي بعدما يأتي جرير ويباع على الإسلام ويناديه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد المبايعه أو ليضيف لبيعته بنداً مهمًّا (في بيعته فيناده: ((يا جرير)) فيعود

جرير، فيقول له - عليه الصلاة والسلام - ((والنصح لكل مسلم، والنصح لكل مسلم، والنصح لكل مسلم)) أي ضم إلى مبايعتك النصح لكل مسلم.

وعن جرير بن عبد الله البجلي، قال: بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، في رواية: بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على النصح لكل مسلم، وفي رواية ثالثة: بايعت النبي - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة، فلقني فيما استطعت والنصح لكل مسلم.

إن النصح خلق نبيل جاءت به كل الشرائع، وتردد على ألسنة كل الرسل فما هو نبي الله نوح - عليه السلام - يعلن عن نصحه لقومه؛ قال تعالى في سورة " الأعراف " في إرسال نوح - عليه السلام - إلى قومه وعدم إيمانهم به واتهامهم إياه بالضلال كذبًا وهتانًا؛ قال يحكي عن نوح: { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (الأعراف: ٦١، ٦٢).

ونبي الله صالح يعلن بأنه نصح قومه وأسدى لهم النصيحة، ولكنهم لا يحبون الناصحين؛ قال تعالى: { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } (الأعراف: ٧٩).

وشعيب - عليه السلام - بلغ قومه ونصحهم، ولكنهم عتوا واستكبروا؛ قال تعالى: { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ } (الأعراف: ٩٣).

وجاء في قصة هود - عليه السلام - أيضًا أنه أعلن على قومه أنه قام بالنصيحة لهم وكان أمينًا معهم؛ قال تعالى: { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ } (الأعراف: ٦٧، ٦٨).

وها هو رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم إيمانه ينصح موسى - عليه السلام - بالخروج من المدينة؛ لأن الملاء - أي عليه القوم - يأترون به ليقتلوه؛ فنصحه بالخروج من المدينة،

وأخبره بأنه لهم من الناصحين، وعمل موسى بنصيحته فنجاه الله - سبحانه وتعالى - قال تعالى: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} (القصص: ٢٠).

وإخوة يوسف - عليه السلام - قالوا لأبيهم: إنا من الناصحين ليوسف فأعطاه لهم، وكان ما كان منهم مع يوسف - عليه السلام - قال تعالى: {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (يوسف: ١١، ١٢).

فالنصيحة خلق كريم دعت إليه كل الشرائع، وجاء على لسان كل الرسل، وأكد عليه القرآن الكريم ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحاديثه الشريفة، بل جعله من حقوق المسلم على أخيه المسلم؛ قال - صلى الله عليه وسلم - كما رويت الحديث سابقاً قال: ((حق المسلم على المسلم خمس؛ أن يعود إذا مرض، وأن يشيعه إذا مات، وأن يسلم عليه إذا لقيه، وأن يشمته إذا عطس، وأن يجيبه إذا دعاه)) وفي رواية صحيحة حق المسلم على المسلم ست زاد فيها؟ ((وأن ينصحه إذا استنصحه)).

وكتب الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة في كتابه القيم (الأخلاق الإسلامية وأسسها) في بيان حقوق المسلمين بعضهم على بعض قال: تحت عنوان؛ في حقوق المسلمين بعضهم على بعض، والحث على دعم أوامر الجماعة يقول: مما ورد في حق المسلم على المسلم: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((حق المسلم على المسلم خمس ...)) الحديث، يقول: وعن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبع وهنأنا عن سبع؛ أمرنا بعبادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام.

في هذه الأحاديث ثمانية آداب اجتماعية وظواهر خلقية أمرنا بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأبان أنها من حق المسلم على أخيه المسلم:

الأول - أي الحق الأول -: إفشاء السلام:

وهو يشمل البدء بالسلام، ورد السلام، والبدء بالسلام سنة ورده واجب.

الحق الثاني: عيادة المريض:

مواساة له، وتسلية لنفسه، وإشعاراً له بأن إخوانه المسلمين مهتمون به وبأمره، ويسألون عنه، ويتفقدون أحواله.

الحق الثالث: اتباع الجنائز:

فإذا مات المسلم فمن حقه على إخوانه المسلمين أن يصلوا عليه، ويدعو له ويشيعوه؛ تكريماً له ومواساة لأهله، ومشاركة وجدانية لهم، وعظة بالموت.

الحق الرابع: إجابة الدعوة:

فإذا دعا المسلم أخاه المسلم إلى دعوة طعام أو غيره؛ فمن حقه عليه أن يجيب دعوته إلا أن يكون عنده عذر شرعي يعتذر به.

الحق الخامس: تشميت العاطس:

وذلك بأن يدعو المسلم لأخيه المسلم بأن يرحمه الله إذا سمع عطاسه وسمعه يحمده الله، يقول له: يرحمك الله، ويرد عليه العاطس يقول كما جاء في السنة: يهدينا ويهديكم الله.

سادساً: النصيحة:

فإذا استنصح المسلم أخاه المسلم في استشارة فمن حقه عليه أن ينصح له، وكذلك إذا رآه في حالة تستدعي نصيحته فمن حقه عليه أن ينصح له.

الحق السابع: إبرار المقسم:

فمن حلف على أخيه في أمر يستطيع فعله ولا معصية لله فيه؛ فمن حقه عليه أن يبر قسمه بفعل ما حلف عليه فيه.

الحق الثامن: نصر المظلوم:

فمن وجد أخاه المسلم مظلوماً؛ ف من حقه عليه أن ينصره بما يستطيع من قول أو شفاعة أو عمل.

وهذه الحقوق الأخلاقية الاجتماعية من شأن تأديتها أن تؤكد وتوثق الروابط الاجتماعية بين المسلمين، وتمكن المودات في قلوبهم، وهي من ظواهر التواد والتراحم والتعاطف، ومن ظواهر معنى الجسدية الواحدة بين المسلمين.

أما إفشاء السلام فهو أدب من آداب الإسلام الاجتماعية، وقد أمر الإسلام المسلمين بها؛ فالمسلم مطالب بأن على من عرف من المسلمين ومن لم يعرف، ومكلف أن يرد التحية بمثلها أو بأحسن منها، ولا يستهين بهذا الأدب ويعرض عن تطبيقه إلا مصاب في أخلاقه بمرض الكبر والعجب بالنفس، أو بالأنانية المفرطة التي ييخل معها بعبء التحية، وعطاء التحية أهون عطاء يبذله الإنسان من لسانه ووجهه، وهذا الأدب الإسلامي الاجتماعي يمثل أول خيط من خيوط الترابط الاجتماعي، وتكراره يعقد الصلات وينسج المودات.

وأما عيادة المريض؛ فهي من الآداب الاجتماعية الإسلامية وهي حق من حقوق المسلم على أخيه؛ لأن المريض بحاجة ماسة إلى من يواسيه ويسليه، ويتفقد أحواله، ويساعده إذا احتاج إلى مساعدة، ويدعو له بدعوة صالحة عسى أن تكون رقية نافعة يشفيه الله بها.

وهذا الأدب يرتبط بخلق العطاء عند المسلم، وهو يعبر تعبيراً صادقاً عن مبلغ التأخي بين المسلمين، ويوثق روابط الصلة بينهم، ويزيد من وشائج المحبة وأواصر المودات؛ لا سيما إذا لاحظنا أن حالة المريض فيها من الانكسار النفسي ما يجعله رقيق الحاشية فياض العواطف مهياً نفسياً للتأثير عليه وامتلاك مشاعر المحبة في قلبه، والمحبة متى وجدت في طرف سرت غالباً إلى الطرف الآخر بقوة نفاذها وقوة عدواها.

وأما اتباع الجنائز؛ فهو صلة من المسلم لأخيه المسلم موصولة من حياته إلى ما بعد مماته، واتباع الجنائز يلحقها الصلاة على الميت والشفاعة له عند الله تعالى، وهذا أيضاً صلة عظيمة

له بخير ما ينفعه بعد موته؛ وهي الدعوة الصالحة، وتعبير صادق مخلص لا رياء فيه ولا سمعة عن الأخوة الإيمانية التي عقدها الله بين المؤمنين تضاف إلى ذلك ما في اتباع الجنائز من مواساة لأهل الميت وذويه المصابين بفقدته، وهم بحاجة ماسة إلى من يواسيهم ويعزيهم ويصبرهم على مصابهم ويشاركهم مشاركة وجدانية كريمة، وقد كان الأصل في اتباع الجنائز أن يساهم الم شيعون في حملها إلى مثواها من الأرض، وفي حفر قبرها، وفي موارثها ودفنها؛ وكل هذه أعمال تشارك فيها الجماعة وتساهم بها خدمة إنسانية وتواصل بين المسلمين.

ومن شأن هذه الأمور التي يشتمل عليها هذا الأدب من آداب الإسلام الموصول بالأسس الأخلاقية التي دعا إليها أن تمكن صلات الأخوة والمودة والتعاطف والتراحم بين المسلمين، وتبرز معاني وحدتهم الإسلامية الكبرى.

وأما إجابة الدعوة؛ فهي حق للمسلم على أخيه المسلم أيضاً، إن دعوة المسلم لأخيه المسلم صلة اجتماعية تعبر عن مودة وأخوة وهذه الصلة تستدعي أن تقابل بالاستجابة لا بالرفض، والمستجيب يعقد من طرفه حبل الصلة الذي مده إليهاخوه وقدم من قبله دليلً اماديً أعلى أخوته ومودته، كما قدم إليه أخوه من قبل الدليل على ذلك بدعوته له، وحينما يكون المدعو معذوراً ويصعب عليه تلبية الدعوة فعليه أن يقدم لأخيه عذره، وأن يستسمحه، ولا يجوز له أن يجفو أخاه، وأن يستهين به، فرب جفوة بغير عذر كسرت قلباً وأحزنت نفساً، وربما أفسدت ما بين القلوب فحل التنافر محل التآلف وحل الخصام محل الوئام؛ لا سيما إذا كان الجفاء ناشئاً عن استهانة أو كبر أو استعلاء شخصي أو طبقي وعندئذ يكون أشد قبحاً ودمً اً، وأكثر إفساداً للمودات، وتقطيعاً لأواصر الأخوة الإيمانية الإسلامية.

وأما تشميت العاطس؛ فهو أدب من الآداب الإسلامية، وسبق أن قلت إن تشميت العاطس هو الدعاء له بخير، قال ابن سيده: شمت العاطس وسمت عليه؛ دعا له ألا يكون في

حال يشمت به فيها، وتابع ابن منظور في (اللسان) فقال: والسين لغة عن يعقوب، وكل داع لأحد بخير فهو مشمت له ومسمت بالشين والسين، والشين أعلى وأفشى في كلامهم، ونقل عن (التهذيب): كل دعاء بخير فهو تشميت، وحكى عن ثعلب أنه قال: الأصل فيها السين من السميت وهو القصد والهدي، يقول الشيخ الميداني: وأما تشميت العاطس فهو أدب من الآداب الإسلامية الاجتماعية، وهو ينم عن ذوق رفيع في مجالس المسلمين؛ إذ يتصيد المسلم أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم بدعوة كريمة، وليوجه له كلمة حلوة يجذب بها من قلبه خيطاً من خيوط العواطف الإنسانية التي تنسج بها وشائج المودة والمحبة وتوثق بها روابط الإخاء.

والعطاس ظاهرة طبيعية تتكرر من الإنسان دون أن يملك دفعها، وقد يكون عنوان نشاط قادم بانتفاضة عصبية، قد يكون ظاهرة لحالة زكام وبرد مرضي أتى على الإنسان، وعلى أية حال فمن الخير إذا هو حمد الله على ما جرى له أو حمد الله أن سلمه أن تكون مكاف آتة على حمده لربه توجيه من سمعه أن يدعو الله له، وأعظم دعوة شاملة لجوانب الخير كلها الدعوة له بأن يرحمه الله تعالى، وحين يتلقى العاطس الدعاء له من إخوانه يشعر في ذات نفسه بأن شركاءه في المجلس قد اهتموا بشأنه عند هذه العارضة اليسيرة التي عرضت له فدعو الـه بالرحمة، فكيف يكون اهتمامهم به إذا هو نابه شيء كبير وأمر غير يسير، وعندئذ يرد لمن دعا له جميلٌ اجميل فيدعو له بأن يهديه الله ويصلح باله، أما الدعوة بالهدية فهي مكافئة كريمة للدعوة بالرحمة؛ لأن من هداه الله فقد هياً له أعظم أسباب الرحمة، وأما الدعوة بإصلاح البال فهي زيادة بارعة تشير إلى أن سبب البدء بالدعوة ب الرحمة انشغال بال الأخ على أخيه؛ إذ سمعه عطس وحمد الله تعالى؛ فكأنه يقول له: ولا أقلق الله بالك على نفسك أو أخ أو قريب أو حبيب، أفتجد أرق تهدياً من مجتمع فيه هذه العواطف الكريمة المتبادلة التي تنتهز لها أدنى المناسبات.

لكن العاطس إذا لم يحمد الله تعالى لم يكن من حقه على جلسائه أن يشمتوه؛ لأنه لم يراع ما ينبغي له من أدب مع الله في حالته هذه فسقط حقه بأن يدعو له جلساء و هو بالرحمة.

وأما نصيحة المسلم لأخيه المسلم؛ فهي ظاهرة خلقية كريمة تعبر عن صدق الأخوة بين المسلمين، وتعبر عن أمانة الرجل وصدقه فيما يخبر به أخاه مما يعلم من وجوه الخير والبر؛ لا سيما إذا استشاره واستنصحه، ومن شأن هذا الخلق الكريم أن يعقد المودات بين الناس، أو يزيد في توثيقها بشرط أن تكون نصيحة صادقة ليس الغرض منها الفضيحة أو الشتيمة أو التعبير والتنقيص إلا عند بعض النفوس المستكبرة العاتية على أنهما سترضى بعد حين متى شعرت بصدق الناصح وإخلاصه في النصيحة، والذي يداهن وينافق ويكتم النصيحة قد يظفر بصدقة مؤقتة إلا أنه ينكشف بعد حين، وتعرف مدهنته، ويظهر أنه لم يكن أخاً وفي أولا صديقاً صادقاً، وإنما كان مدهناً منافقاً فيخسر حينئذ ما كان من قبل حريصاً عليه.

وأما إبرار المقسم؛ فقد جرى من عادة الناس أن يحلف الأخ قسمًا على أخيه أن يفعل أمرًا أو يترك أمرًا اعتمادًا على أوامر الأخوة بينهما، وعلى تبادل المودة فيقول له: والله لتفعلن الأمر الفلاني أو لتتركن الأمر الفلاني، وهنا يعلمنا الإسلام أن من حق الأخ على أخيه أن يبر له قسمه؛ فيفعل ما أقسم عليه أن يفعله، ويترك ما أقسم عليه أن يتركه بشرط ألا يكون في الأمر معصية أو مخالفة لله تعالى أو مضرة أو منقصة؛ فإن كان فيه شيء من ذلك فلا إبرار؛ لأن الإنسان لو أقسم على نفسه أن يفعل شيئًا ثم رأى غير ما حلف عليه خيرًا منه فهو مأمور شرعًا بأن يكفر عن يمينه، ويأتي الذي هو خير، ومن شأن إبرار المقسم أن يوثق الصلات، وأن يعقد المودات، وهذا الأدب يرجع عند التحليل إلى مظهر من مظاهر خلق العطاء من النفس، كما يرجع إلى خلق الحياء وتلبية ما يقتضيه الدافع الجماعي والأخوة الإيمانية.

وأما نصره المظلوم؛ فهي ظاهرة خلقية ترجع إلى خلق حب العطاء من النفس، وإلى ما يقتضيه الدافع الاجتماعي والأخوة الإيمانية، وشرح هذه الظاهرة يكفيه قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم-: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) ومعنى نصره ظالماً أن تمنعه عن الظلم، ومن شأن نصره المظلوم أن تعقد المودات وتوثق الصلات بين المسلمين، وأن تخدم قضية العدل بين الناس، وتصرف عنهم عوامل التفرقة والخلاف والعداوة والبغضاء ولو أغضبت الظالمين.

ب- في ستر المسلم لأخيه:

المسلم روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة))، من حق المسلم على أخيه المسلم أن يستره ولا يفضحه، والله تعالى يكافئه من جنس عمله فيستره يوم القيامة، وجاء في حديث آخر ((إن الله يستره في الدنيا والآخرة)) وستر المسلم لأخيه المسلم يعتبر من مكارم الأخلاق، فإذا اطلع المسلم على خطيئة أو معصية أو نقيصة وقع بها أخوه المسلم بينه وبين ربه ولم يجاهر بها أمام الناس، بل تستر بها وتوارى واستحي فيها فما هو الغرض من فضيخته ونشر خطيئته بين الناس؛ إذا كانت من الأمور التي لا تتعلق بها حقوق شخصية للآخرين، أو حقوق عامة ترتبط بها مصالح المسلمين الكبرى أنه لا مصلحة في ذلك، بل الغرض تعبيره وتنقيصه وإنزال مكانته بين الناس.

أما النصيحة فإنها تتحقق بتوجيهها له في السر لا في العلن، أو بالموعظة العامة التي لا توجه لأشخاص بأعيانهم كما كان يفعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذ كان يقول حينما يخبر بأن بعض الناس قد فعل منكراً من المنكرات يقول - عليه الصلاة والسلام - : ((ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا)) أو ((يفعلون كذا وكذا)) ويوجه موعظته لهم بصفة عامة دون تحديد لأشخاص.

وإرادة الفضيحة هي من قبيل إشاعة الفاحشة وفعل السوء في المسلمين، وهي تعبر عن رذيلة خلقية في الإنسان؛ من ذا الذي يريد لأخيه المسلم الإهانة ونزول المكانة إلا من كان في نفسه عقدة من رذائل الأخلاق، وقد يريد أن يحط من مكانة أخيه بين الناس؛ ليرتفع هو على أنقاضها، وقد يكون غرضه أن يجد لنفسه مبرراً في قبائح هو يرتكبها وهو مشهور بها عند الناس فيكشف عورات إخوانه؛ ليخفف من نقد الناس له؛ إذ يعلمون أن ذوي المكانة المستورين هم مثله في ارتكاب القبائح والسيئات، وهم شركاؤه في الإثم، وكل ذلك من فساد خلقه وسوء سريرته، وهو بعمله هذا يساعد على تهوين ارتكاب الآثام والقبائح ويشجع عليها شعر بذلك أم لم يشعر، مع أن المفروض بصاحب الأخلاق الكريمة أن يعمل على دعم ٣٨:٤٢ أن يعمل على دعم الفضائل ونشرها، ومحاربة القبائح والرذائل ودفنها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لا أن يكون داعياً من دعاها، أو أحد المساهمين في نشرها وإشاعتها.

وقد أندر الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة؛ ف قال تعالى في سورة " النور " الآية ١٩ قال: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النور: ١٩)، وقد جاءت هذه الآية في سياق حديث الإفك ففي إشاعة السوء عن المؤمنين إيذاء لهم وإضرار بهم، وتهوين من أمر فعل السوء، وتشجيع على ارتكابه؛ ولا سيما إذا كان من أشيع أنه قد فعله من أهل الستر والصيانة بين الناس.

ج- في صيانة المرافق العامة مما يؤذي الجماعة:

وهذا أيضاً من حقوق المسلمين ببعضهم على بعض، روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه)) والنبل

أداة من أدوات الحرب، ((فليمسك أو يقبض على نصلها بكفه أن يصيب أحد من المسلمين منها بشيء)).

في هذا الحديث توجيه لحق من الحقوق الاجتماعية، أنه يمنع المار في الجامع العامة كالمساجد والأسواق من أن يتعرض المسلمون إلى أذى من قبله بسبب شيء يحمله كالنبال التي لها نصال؛ فإن عليه أن يقبض على نصلها، ويأخذ الاحتياطات التامة؛ خشية أن يصيب بها أحد من الناس فيؤذيها.

فمن حق الجماعة على الفرد الذي يريد أن ينتفع بمرفق من المرافق العامة ألا يستعمل المرفق بشيء يؤذي أحد له حق في استعماله؛ إذ المرافق العامة حق مشترك بين جميع الأفراد، والحقوق المشتركة ذات حدود؛ ومن حدودها ألا ينتفع الفرد منها انتفاعاً يؤذي فيه أحداً من الشركاء الذين لهم حق الانتفاع بها، أو يعرض حقه للضياع، ومن حدودها ألا يستأثر لنفسه بأكثر من حصته في الحق المشترك؛ فليس من حق إنسان أن يمر في طريق عام مكتظ بالناس ويحمل معه في الوقت نفسه قضباً طويلاً من الحديد أو أعمدة خشبية كبيرة أو صناديق عريضة فيضرب بما يحمل من على يمينه تارة ومن على شماله تارة أخرى ثم من أمامه ثم من ورائه، وليس من حقه أن يحمل كيساً من فحمًا أو شقة من لحم ويمر بما يحمل في معترك الناس فيصعب ثياب الناس البيضاء بفحمه أو يلوثها بدهن شحمه ودم لحمه ويؤذيهم بهذا، وليس من حقه أن يدخن لفافته بين الناس وينفخ دخانها في وجوههم وأنوفهم، أو ينثر رمادها عليهم، أو يقذف عقبها قذفاً عشوائياً. إنما تقع به على شيء تحرقه من متاع الناس أو ممتلكاتهم، ويزعم أنه ينتفع بحقه في مرفق عام متجاوزاً بذلك حدود حقه.

وكم من الناس الذين يمرون في الطرقات ويستخدمون المرافق العامة لا يعرفون حدود حقوقهم، أو يعرفونها ولا يراعونها؛ فيؤذون الناس أذى كثيراً وكبيراً، فكم من ضربة أو لكمة أو غمزة أو دفعة أو لدعة بنار يصاب بها الناس بعضهم من بعض في الطرقات والمرافق

العامّة، أو تنزل عليهم بما يقذفه المسيئون قذفاً عشوائياً ادون أن يجدوا وخرّاً في صدورهم من سوء أعمالهم، ويفعل المسيئون ما يفعلون من ذلك دون أن يباليوا النتائج كأن الطرقات العامّة لهم وحدهم، وكأن المرافق العامّة إنّما جعلت من أجلهم خاصة ف هم يفعلون بما ما يشاءون، ويستأثرون منها بما يشتهون، وهذا من انعدام شعور الفرد بحقوق الجماعة، ومن إفراطه في الأنانية، واستهائه بما يؤذي الناس، ورغبته بتجاوز حدود حقه، والاستيلاء على حقوق غيره.

وكل ذلك يمثّل جانباً من جوانب الانهيار الخلقي الذي يقاومه الإسلام مقاومة شديدة، ولا يرضاه الله من المسلم بحال من الأحوال؛ إن المسلم المتخلق بأخلاق الإسلام يعرف مقدار حقوقه وحدودها فلا يتجاوزها، ويعرف حقوق الآخرين فلا يعتدي عليها، وينظر إليها باحترام بالغ فلا يؤذي إنساناً في حق من حقوقه الخاصة أو العامّة، بالتزام هذه الأخلاق الإسلامية الاجتماعية تبرز في المجتمع الإسلامي ظواهر حضارية راقية، أما الاستهانة بما فيها تسم المجتمع بسمات التخلف الحضاري الشائن، وتجعله في معزل عن المنهج الرباني الذي اصطفاه الله لعباده، ورسم في الإسلام معامله وحد حدوده.

د- من حقوق الإسلام في المرافق العامّة:

روى مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((عرضت علي أعمال أمتي حسننها وسيئها؛ فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق - يعني دفع الأذى عن طريق المسلمين - ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة أو النخامة تكون في المسجد لا تدفن)) يوجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأمة إلى الخير كله، وإلى إمطة الأذى عن الطريق، ودفع الضر عن المسلمين.

ولقد ورد في إمطة الأذى عن الطريق أحاديث شريفة صحيحة؛ منها ما رواه مسلم بسنده في (صحيحه) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-

قال: ((لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة - أي بسبب شجرة - قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين)) وفي رواية لمسلم أيضاً: ((مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين؛ لا يؤذيهم فأدخل الجنة))، وفي رواية للبخاري ومسلم: ((بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك عن الطريق فأخره)) وفي رواية: ((فنحاه فشكر الله له فغفر له)).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة)) وهي المفاصل التي في جسد الإنسان تسمى بالسُّلَامَات، قال - عليه الصلاة والسلام -: ((كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة)).

جزاء من قام بهذه الحقوق:

أما جزاء من قام بهذه الحقوق فهي المثوبة الحسنى في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فالثناء الحسن من الناس، وحسن السيرة، وقرب الناس منه، ومؤازرته في كل شئون الحياة، والطمأنينة والسكينة التي تنزل على قلبه فيحيا في دنياه حياة هنيئة بحبه لإخوانه وحب إخوانه له، وفي الآخرة يكون له الثواب العظيم، والمقام في جنات عدن عند ملك مقتدر، يتقلب كما مر في الحديث في أغصان الجنة التي أعد الله له ولكل من يدخلها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر، على قلب بشر.

حقوق الحيوان في الإسلام:

وإذا كانت هناك حقوق للإنسان على أخيه الإنسان، فإن الإسلام جعل للحيوان حقوقاً على الإنسان:

١- فمن حق الحيوان الذى أبيع لنا ذبحه والاستمتاع بطيب لحمه - من حقه أن نحسن ذبحه، فقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى هذا الحق فقال: «.. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته». وكتب الفقه الإسلامى مليئة باداب ذبح الحيوان تدل على سمو الإسلام، وأنه دين الرحمة.

٢- وإذا كان الإسلام قد أذن فى قتل المؤذى من الحيوان كالكلب العقور، الهادئ، فلا نزعجها، ولا نثيرها، ولا نعرضها للتلف فى الحر الشديد، أو البرد القارس إن هى إلا أمم أمثالنا خلقها الله، وسخرها لنا، وعلينا أن نستشعر هذه النعمة، ونشكر الخالق عليها بالقول والعمل؛ فلا قيمة لقول بلا عمل.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يقومون بأداء حقوق إخوانهم المسلمين، وأن يجعلنا من المتخلقين بالأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة التي جاءت في موضوعات هذه المادة - الحديث الموضوعي - وأن يجعلنا من ورثة جنة النعيم.

حق الطريق :

الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويرفع نغمه، ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه أجمعين وبعد:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والجلوس على الطرقات» - في رواية بالطرقات- فقالوا: ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: «إذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها» .

قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام؛ والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» ، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبه عن الجلوس على الطرقات على المساطب أو الأرائك، أو الكراسي. أو على الأرض بجانب الحوائط مفروشة وغير مفروشة ، فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: ما لنا بد منها. ولا غنى لنا

عنها. لأنها مجتمعاتنا وأنديتنا. التي نتحدث فيها بشؤوننا. وتذاكر في مصالحنا. في ديانا وديننا. ونروح عن نفوسنا.

ويسري بعضنا عن بعض مما ألم بنا، فتركها يشق علينا، وكأنهم فهموا أن النهي للترتية، ولا يراد به التحريم. لأنهم لم يعهدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم تحريم نافع، ولا إباحة ضار، أو أن النهي لمعنى متصل بالمجالس، لا لنفسها وذاتها، وقد يكون في إمكانهم مجانبة المعنى الذي من أجله كان النهي ولذلك راجعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ذاكرين أنها مجالس محادثة ومذاكرة، ومؤانسة ومجاملة، فلم ينهون عنها؟ ولو علموا أن النهي عزمة من العزمات ما راجعوه ولكانوا أول من يمثل، كما عهدناهم في مواطن كثيرة؛ ينفذون بمجرد الإشارة؛ فما بالك بصريح العبارة؟.

ولقد أجاهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن النهي ليس لذات المجالس وإنما هو من أجل حقوق الطريق التي يتعرض لها الجالس؛ وقد يقصر فيها؛ فيبوء بإثمها؛ فقال لهم: «إذا أبيتُم إلا المجالس؛ ورغبتُم عن غيرها إليها؛ تجلسون فيها وتتسامرون فأعطوا الطريق حقها». فسألوه عن حقها؛ شأهم في استبانة الغامض؛ واستفصال الحمل؛ فبين لهم حقوقها:

فأولها: غض البصر:

فإن أرسلته لتعرف سائر، أو تمتع بمنظر فاتن؛ من خضرة ناضرة؛ ومياه جارية؛ وسماء صافية؛ وصور متحركة- فلا ترسله إلى السيدات، والفتيات المارات، مشبعا بجراثيم الشهوة، محملا ببواعث الفتنة فإن ذلك الذي حرم القرآن بقوله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم «1»، وإذا كان النظر إليهم محرما فما بالك بمن يلفظ بالهنات، ويقول المفطعات ويرمي المحصنات الغافلات؟ إن وزره لكبير، وإثمه عند الله عظيم، وكما تحرم عليك النظرة المسمومة للسائرات كذلك تحرم للاتي يطلن من خدورهن ويبرزن من فتحات دورهن

لقضاء مصلحة؛ ولترويح نفس ضائعة؛ كذلك لا ترسل البصر ساعرا بالناس؛ أو حاسدا أو زاريا أو غاضبا؛ بل كف منه، وأرسل منه؛ فكفه عن الحرام؛ وأرسله في الحلال.
وثانيها: كف الأذى:

فلا تؤذ سائرا بلسانك أو يدك؛ فتشتمه أو تسبه؛ أو تنهال عليه ضربا باليد أو العصا من غير ما حرم احترامه ، ولا ذنب اقترفه، ومن الإيذاء سلبه شيئا مما يحمله من غير أن تطيب به نفسه، أو إراقة الماء في طريقه حتى تنزل به الأقدام، أو وضع عقبات في الطريق يعثر فيها المشاة؛ أو إلقاء قاذورات، أو أشواك تضر بالسابلة ، أو تضييقه الطريق بمجلسه أو قعوده حيث يتأذى الجيران فيكشف نساءهم، ويقيد عليهم حريتهم كل ذلك وأضرأ به مما يجب كفه، والعمل على إبعاد المارة منه.
وثالثها: رد السلام:

فإن ذلك فريضة محكمة ، وسنة متبعة. وإنه رسول الألفة وداعية المحبة، ولا تسأم كثرته من المارين. فإن كلا يتحجب به إليك ويحييك ويكرمك، أفلا تجيب التحية بمثلها أو خير منها؟ أفلا تود من وادك، وتكرم من كرمك؟ ذلك خلق الكريم أفلا تكونه؟.
ورابعها وخامسها: الأمر بالمعروف النهي عن المنكر:

وإن ذلك لواجب مقدس للمسلم على أخيه المسلم؛ فإذا رأيت عربة ذات حمل ثقيل. ناء بجرها البهيم، أو رأيت حيوانا حمل فوق طاقته فانه عن هذا المنكر، ومر السائق بالتخفيف، وإذا رأيتسائرين يتسابان أو يتقاتلان فمرهما بالكف وإذا رأيت شابا يعاكس فتاة ويعترضها في طريقها فانصح له بالاستقامة، فإن أبي إلا بالصفع أو بالأخذ إلى القسم فافعل ما استطعت في غير تهور ولا إضرار بك؛ وإن رأيت من يبخس الكيل، ويطفف الميزان فمره بالعدل أو سلمه إلى الشرطي، وإن رأيت من يعبث بحديقة الجار أو يبعث حاجاته فحل بينه وبين العبث، وإن رأيت من يبيع طعاما عفنا، أو شرابا أسنا - فاضرب على يده- إلى غير ذلك مما يقترفه المارة ويجترمه الباعة.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

صلة الرحم :

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وأوجب صلة الأرحام وأعظم في ذلك أجراً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أعظم الناس قدراً وأرفعهم ذكراً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بالحق وكانوا به أحرى وعلى التابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

معنى صلة الرحم: هي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم، والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن بعدوا وأساءوا ، وصلة الرِّحِم ليست نافلة في حياة المسلم بل هي فرضٌ لازم، قد أوجبه الله تعالى عليه، على اختلاف درجات حقوق الأرحام باختلاف درجات قراباتهم واختلاف أحوالهم، وروى أبو هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ، حتى إذا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قالت الرِّحِمُ هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نَعَمْ، أما تَرْضِينِ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قالت: بلى ياربِّ. قال: فهو لك". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأقرءوا إن شئتم: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } " ، والصلة أنواع فهي تكون بالمال ، وتكون بالنصيحة والرأي والمشورة، وبالعمل البدني، وبالزيارة، وبالدهاء، وبالشكر، وبالثناء.

جزاء صلة الرحم :

١ - طاعة لأمر الله تعالى، قال تعالى: { إن الله يأمر بالعدل الإحسان وإيتاء ذي القربى }

النحل ٩٠.

٢ - طاعة لأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: ((اتقوا الله وصلوا

أرحامكم)). وقال - صلى الله عليه وسلم - ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به

أرحامكم)).

ومن جزاء صلة الرحم ما يلي :

١ - شعار الإيمان بالله واليوم الآخر، قال - صلى الله عليه وسلم - ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه

٢ - سبب لزيادة العمر وبسط الرزق، قال - صلى الله عليه وسلم - ((من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - ((صلة الرحم تزيد في العمر)).

قال العلماء في معنى زيادة العمر وبسط الرزق الواردين في الحديث: أن المقصود بالزيادة أن يبارك الله في عمر الإنسان الواصل، ويهبه قوة في الجسم، ورجاحة في العقل، ومضاءً في العزيمة فتكون حياته حافلة بجلال الأعمال، وقيل أن الزيادة على حقيقتها، فالذي يصل رحمه يزيد الله في عمره، ويوسع له في رزقه، ولا غرو في ذلك فكما أن الصحة وطيب الغذاء، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب من أسباب طول العمر فكذلك صلة الرحم جعلها الله سبباً لطول العمر.

٣ - تجلب صلة الله تعالى للواصل، قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى، قال: فذلك لك))

٤ - من أعظم أسباب دخول الجنة، سأل رجل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - ((تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم))

٥ - تجلب المحبة وزيادة المال قال - صلى الله عليه وسلم - ((صلة القرابة، مثراً في المال، مَحَبَّةً في الأهل منسأةً في الأجل))

٦ - من أحب الأعمال إلى الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - ((أحب الأعمال إلى الله الإيمان بالله ثم صلة الرحم ...))

- ٧ - سعة في الدنيا قال - صلى الله عليه وسلم - ((إن أعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا)).
- ٨ - تضاعف أجر الصدقة، قال - صلى الله عليه وسلم - ((الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصلة))، وقال - صلى الله عليه وسلم -: ((كل ما صنعت إلى أهلك فهو صدقة عليهم)).
- ٩ - وهي من محاسن الدين فالإسلام دين الصلة والبر والرحمة، فهو يأمر بالصلة وينهى عن القطيعة، مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة متألفة متراحمة.

عقوبة قطيعة الرحم :

- ١ - توجب لعنة الله تعالى، قال عز وجل: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك اللذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ محمد ٢٢.
- ٢ - تقطع وصل الله تعالى للقاطع؛ قال - صلى الله عليه وسلم - ((قال الله تعالى في شأن الرحم من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته))
- ٣ - مانعة لدخول الجنة، قال - صلى الله عليه وسلم - ((لا يدخل الجنة قاطع))، قال سفيان في روايته: يعني قاطع رحم.
- ٤ - مؤذنة بالعذاب وتعجيل العقوبة، قال - صلى الله عليه وسلم - ((ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة، من قطيعة الرحم، والحيانة والكذب))
- ٥ - من أبغض الأعمال إلى الله تعالى، قال - صلى الله عليه وسلم - ((أبغض الأعمال إلى الله الإشراف بالله، ثم قطيعة الرحم))
- ٦ - تشيع العداوة والشنآن وتزيل الألفة والمحبة.
- ٧ - تشتت الأقارب وتفرق شملهم.

قال - صلى الله عليه وسلم - ((صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك)).

والبعض لا يصل أقاربه إلا إذا وصلوه وهذا في الحقيقة ليس بصلة فإنه مكافأة إذ إن المروءة والفضيلة السليمة مكافأة من أحسن إليك قريباً كان أم بعيداً يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها» ، متفق عليه، فصلوا أرحامكم وإن قطعوكم وستكون العاقبة لكم عليهم «فقد جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال: " إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ - أي الرماد الحار - ولا يزال معك من الله ظهير عليهم - أي معين عليهم - ما دمت على ذلك» فاتقوا الله تعالى وصلوا أرحامكم واحذروا من قطيعتهم واستحضروا دائماً ما أعد الله تعالى للواصلين من الثواب وللقاطعين من العقاب .

وفي صلة الرحم عشر خصال محمودة :

أولها أن فيها رضا الله تعالى، لأنه أمر بصلة الرحم.

والثاني: إدخال السرور عليهم ، وقد روي في الخبر أن أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن.

والثالث أن فيها فرح الملائكة لأنهم يفرحون بصلة الرحم.

والرابع أن فيها حسن الثناء من المسلمين عليه.

والخامس أن فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة، والسادس: زيادة في العمر.

والسابع: بركة في الرزق.

والثامن: سرور الأموات ، لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقرابة.

والتاسع: زيادة في المودة، لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن يجتمعون إليه ويعينونه على ذلك، فيكون له زيادة في المودة.

والعاشر: زيادة الأجر بعد موته لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه.
قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: ثلاثة نفر في ظل عرش الرحمن يوم القيامة: واصل الرحم يمد له في عمره ويوسع له في قبره ورزقه وامرأة مات زوجها وترك يتامى فتقوم هي على الأيتام حتى يغنيهم الله أو يموتوا والرجل اتخذ طعاما فدعا إليه اليتامى والمساكين .
وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المرأة في الإسلام :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}، {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}.

أما بعد: فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ،
أما بعد :

قضية كل عصر وكل جيل وكل أمة، يأتي الخطاب النبوي في هذا الحشد الهائل ممن عاصر الجاهلية، ليضع الناس على الحق، والطريق المستقيم ، إن مواريث العرب والجاهلية قبل الإسلام احتقرت المرأة وازدرتها، بل لعلها رأت أنها شر لا بد منه. وإذا كانت مواريث الجاهلية قد جعلت المرأة في قفص الاتهام ومظاهر الاستصغار، فإن مسلك التقدم المعاصر قد

جعلها مصيدة لكل الآثام ، ولكن هدي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - أعطى كل ذي حق حقه، وحفظ لكل نصيبه: {للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن} (النساء: ٣٢). في مسلك وسط، ومنهج عدل، فالنساء شقائق الرجال: {ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم} (البقرة: ٢٢٨)، {فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض} (آل عمران: ١٩٥)، {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} (النحل: ٩٧) ، المرأة في الإسلام شقيقة الرجال في إقامة الحياة على خير حال، علاقتها به علاقة مودة ورحمة وسكن وطمأنينة، يقول - صلى الله عليه وآله وسلم - في خطبة الوداع: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (رواه مسلم).

المرأة في الإسلام لها شأن عظيم، حقوقها محفوظة مصانة، تعيش كريمة مصانة عضوا مشرفا وعنصرا فعالا في إقامة حياة سعيدة ومجتمع طاهر نزيه، تمارس مسؤولياتها وفق الحشمة والآداب، مستوعبة المفيد من الجديد، محافظة على نفسها، لها ميادينها ومجالاتها في الخير والعطاء والبذل والفداء، وحيثما تجني لأمتها ولنفسها الثمرات الحيرة، ولجتمعتها القطف الزاهرة، مجتنبه الويلات التي يعاني منها المستسلمات لصرخات التحرير الكاذبة الماكرة والدعوات الخادعة السافرة.

أيها المؤمنون، أعداء الإسلام حريصون على أن تنهج المسلمة السبل العوجاء والأفكار الهوجاء، قال أحدهم: «لن تستقيم حال الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطي به القرآن»، وقال آخر: «إن التأثير الفكري الذي يظهر في كل المجالات ويقلب المجتمع الإسلامي رأسا على عقب لا يبدو في جلاء أفضل بما يبدو في تحرير المرأة»، وهذا ليس مستغرب على من مبادؤه مهلكة ومقاييسه فاسدة، ولكن المستغرب أن يتأثر بذلك ذوو

أفهام سقيمة أو نوايا خبيثة، فتجدهم يتجهون لمثل تلك الدعوات، وينادون في ديار الإسلام بمثل تلك الصيحات.

ألا فليت هؤلاء وغيرهم يدركون ما أدركه عقلاء القوم ويستبصرون ما استبصروه من العواقب الوخيمة والآثار المدمرة لمثل تلك التوجهات، فترى أولئك منذرين نادمين على أرجاء حاضرهم الهابطة التي أوردتهم الموارد.

تقول إحدى كاتباتهم: «إن الاختلاط الذي يألفه الرجال وقد طمعت فيه المرأة بما يخالف فطرهما، وهنا البلاء العظيم على المرأة ... إلى أن قالت: أما آن لنا أن نبحت عما يخفف — إذا لم نقل: عما يزيل — هذه المصائب؟!»، وتقول أخرى: «ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين، فيها الحشمة والعفاف والطهارة، تنعم المرأة بأرغد عيش، تعمل كما يعمل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء».

ألا وقد استبان الأمر وانكشف الحال، فواجب من انبهر بهذه المبادئ الزائفة والشعارات المرونية واجبه النظر المنصف والتفكير الدقيق، ليعلم ما جرته تلك المفاهيم الزائفة من عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع في كثير من العالم اليوم.

وإنه لحري بالمسلمين التمسك بخصائصهم الدينية والثقافية والاجتماعية أمام طغيان الثقافات الأخرى ومفاهيمها في قضية المرأة وغيرها، وذلك باختيار الهدى الإلهي ومبادئ التشريع الرباني وإظهار الاعتزاز بتلك الخصوصية وتطبيقها والالتزام بها، فذلك كافل لها بموقع مشرف في كل المجالات وشتى الميادين.

يا نساء المسلمين، اتقين الله تعالى في واجباتكن التي طوقت أعناقكن، أحسن إلى أولادكن بالتربية الإسلامية النافعة، واجتهدين في إعداد الأولاد إعدادا سليما ناجحا، فإن المرأة أشد تأثيرا على أولادها من الأب، وليكن هو معينها لها على التربية، وأحسن إلى الأزواج بالعشرة الطيبة، وبحفظ الزوج في عرضه وماله وبيته، ورعاية حقوق أقاربه وضيفه وجيرانه.

عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «إذا صلت المرأة خمسهها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»

لقد اتخذ تكريم المرأة في الإسلام صوراً عديدة ومظاهر متنوعة منها على سبيل المثال:

١- ضرورة المحافظة على حياتها، وقد جاء ذلك عندما نعى القرآن الكريم على عرب الجاهلية ما كانوا يقدمون عليه من وأدهن . يقول تعالى: وإذا المؤودة سنلت* بأي ذنب قتلت (التكوير/ ٨ - ٩) ، وقد وسم القرآن الكريم هؤلاء الجاهلين بسوء حكمهم وخطأ تقديرهم عند ما كانوا يشعرون بالهوان ويتوارون من الخجل عندما يرزق أحدهم بالينت فقال عز من قائل: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم* يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون (النحل/ ٥٨ - ٥٩) ، ويستنكر إليه مثل هذا التصرف بقوله تعالى: قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم (الأنعام/ ١٤٠) .

٢- إعطاؤها الحق كاملاً في ممارسة العبادة والحصول على الأجر العظيم والمغفرة من الله عز وجل إن هي فعلت ما أمر الله تبارك وتعالى به، مصداق ذلك قوله تعالى: إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً (الأحزاب/ ٣٥) .

٣- يسر الإسلام السبيل أمام المرأة لتتفرغ لأجل مهمة في الحياة وهي حفظ النسل والقيام عليه بالرعاية والتعليم والتربية والتهديب وهي كما قال الشاعر:

هي الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سقيت بماء المكرمات

تقوم إذا تعهدتها الربى ... على ساق الفضيلة مثمرات

ولم أر للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الأمهات
وحتى تستطيع الأم القيام بهذه المهمة فلا بد من أن يتهيأ لها من يكفل أمر القيام بمعاشها
والسعي على رزقها ورعاية مصالحها، ولذلك فقد ارتبطت قوامة الرجال على أمور الأسرة
بدرجة الرجولة وبالإنفاق، قال تعالى: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على
بعض وبما أنفقوا من أموالهم (النساء/ ٣٤) .

٤- حق المعاشرة بالمعروف أو المفارقة بالمعروف، يقول الله تعالى: وعاشروهن بالمعروف
(النساء/ ١٩) ، وقال عز وجل: فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف
(الطلاق/ ٢)

٥- جعل الإسلام للمرأة نصيباً مفروضاً في تركة الرجل سواء أكانت هذه المرأة أما أو
ابنة أو زوجاً أو أختاً، وضمن لها بذلك الحق في الحياة الحرة الكريمة في حياة أهلها أو بعد
رحيلهم.

تعليم المرأة في الإسلام:

قلما نجد في أي دين من الديانات أو نظام من المجتمعات ذلك التكريم الذي أعطاه
الإسلام للمرأة. ففي كل المجتمعات التي سبقت ظهور الإسلام على اختلاف زمانها ومكانها
لم تكن المرأة تتمتع بنظرة محترمة، وكانت مكانتها الاجتماعية تتسم بالدونية بدرجات
متفاوتة في هذه المجتمعات تشدد حيناً وتخف حيناً آخر.

ففي الهند القديمة كان ينظر إلى المرأة على أنها دورة للروح في حياة شريفة، وكان الهنود
يؤمنون بتناسخ الأرواح. وفي مصر الفرعونية كانت المرأة أقل من الرجل في قيمتها
ومكانتها الاجتماعية رغم أننا نجد نساء وصلن إلى مرتبة الحكم مثل: حتشبسوت
وكليوباترا. وفي وصية الحكيم أبي لابنه يقول له: "احذر أن تمشي في طاعة أثنى أو تسمح
لها بأن تسيطر على رأيك".

وعند اليونان والرومان كانت المرأة ظلًا للرجل ومجرد تابع له، ولا تملك من أمرها شيئًا. وفي المسيحية كان ينظر للمرأة على أنها فخ نصبه الشيطان للرجل، وأنها سلاح إبليس للفتنة والإغراء. ورغم أن تقديس العذراء مريم قد رفع من النظرة إلى المرأة فإن ذلك لم يغير شيئًا كثيرًا من الوضع الاجتماعي للمرأة. وفي أوروبا لم يكن للمرأة أي حقوق حتى العصور الحديثة، وكان القانون الإنجليزي في أوائل القرن التاسع عشر يبيح للزوج أن يبيع زوجته بمبلغ زهيد.

وفي الجاهلية كانت المرأة في وضع لا تحسد عليه فقد كانت مخلوقًا للخدمة والمتعة للرجل. وجاء الإسلام ليشرع للمرأة أول قانون كامل يضمن لها منزلتها وكرامتها ويحقق لها حياة تتفق مع طبيعتها ورسالتها.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في معاملة زوجاته. ويقول في ذلك "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضه" ويقول أيضا: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخيارهم لنسائهم" وقوله في آخر خطبة له: "استوصوا بالنساء خيرا". وروى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين". وروى البخاري أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن.

وقد أسهمت المرأة المسلمة في كثير من جوانب الحياة الإسلامية منها السياسية وشئون الحكم وإدارة شئون الدولة التي تزخر بها كتب التاريخ. وسنعرض لبعض الأمثلة في كلامنا عن المرأة والتعليم. وقد عبر أحمد شوقي أمير الشعراء عن مكانة المرأة في الإسلام بقوله:

هذا رسول الله لم ... ينقص حقوق المؤمنات

العلم كان شريعة ... لنسائه المتفقهات

وكذا التجارة والسياسة ... والعلوم الآخريات
وحضارة الإسلام تنطق ... عن مكان المسلمات
كما عبر عن خطورة جهل المرأة وعدم تعليمها بقوله:
وإذا النساء نشأن في أمية ... رضع الرجال جهالة وحمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أما تخلت أو أبا مشغولا

يا رب:

(تم نورك فهديت، فلك الحمد، عظم حلمك فغفرت فلك الحمد، بسطت يدك فأعطيت
فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيتك أفضل العطية
وأهناها، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى فتغفر، وتجب المضطر، وتكشف الضر، وتشفي
السقيم، وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، ولا يجزي بالآثك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل).
(يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا
يخشى الدوائر، ويعلم مثاقيل الجبال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق
الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماء، ولا
أرض أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعده، اجعل خير أعمارنا آخرها وخير
أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك فيه).

(ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب). (سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين). وصل الله على محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

خصال الفطرة :

الحمد لله الذي فطر الخلق على ما تستحسنه العقول، وأيد ذلك بما أنزله على الرسول،
ففطرة الله التي جبل الناس عليها خلقا أمرهم بما تعبدا وشرعا، وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، عجزت عن إدراك حكمته الأبواب، وذلت لعزته، وعظمتته جميع الصعاب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية ملة إبراهيم الذي احتباه ربه وهداه إلى صراط مستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم القويم وسلم تسليما.

أما بعد:

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة - الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب "، وعن أنس بن مالك؛ قال: قال أنس: وقت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة إلا نترك أكثر من أربعين ليلة، و عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء ". قال زكرياء: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.

الفطرة هي السنة، ومعناه: إن هذه الخصال من سنن الأنبياء، وقد قيل عن ابن عباس في قوله تعالى: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن} قال: أمره بعشر خصال ثم عدهن نحو ما في الحديث، فلما فعلهن قال: {قال إني جاعلك للناس إماما} ليقتدى بك، ويقال: كانت عليه فرضا ولنا سنة، وجاء بعد هذا عشر من الفطرة، فلعل قوله هذا بعد الأول، فكانت السنن تزيد شيئا بعد شيء، وكذلك الفرائض، ولم يذكر في حديث العشر هنا الختان من جملة الخمس المذكورة في الحديث الآخر، قال زكريا بن أبي زائدة راوى الحديث: " ونسيت العاشرة إلا أن يكون المضمضة ".

قال القاضى: ولعلها الختان المذكور مع الخمس وهو أولى، وفي رواية عمار بن ياسر نحوها، ولم يذكر فيها إعفاء اللحي، وزاد الاختتان، وذكر المضمضة والاستنشاق، فيكون

على هذا إعفاء اللحية وقص الشارب كالسنة الواحدة إذ هو كالعضو الواحد. وذكر الانتضاح مكان انتقاص الماء وهو بمعنى غسله.

فهذه الأشياء العشرة كلها طهارة، وتنظيف تقضي بها الفطرة، وتستحسنها العقول، كما أن الشرع قد جاء بها، وحث عليها فمنها قص الشارب وإحفاؤه، فإن بقاءه يجمع الأوساخ التي تمر به من الأنف، فإذا شرب الإنسان تلوث شرابه بها، فجاء الشرع والفطرة بإحفاؤه، وأما إعفاء اللحية وهو عدم التعرض لها بقص أو حلق أو نتف، فلأن الله خلقها تمييزاً بين الذكور والإناث، وإظهاراً للرجولية، والقوة، ولذلك لا تظهر إلا عند الحاجة إليها في وقت قوة الإنسان وجلده وتكليفه بمهمات الأمور أما في حال صغره، فلا تظهر؛ لأنه حينئذ لا يتحمل الأعباء، فجاء الشرع والقدر والفطرة بوجودها وإبقائها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإعفاؤها وإرخائها وتوفيرها، وقال: خالفوا المشركين، وفروا للحية، واحفوا الشوارب، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد هدوا إلى الفطرة، فكانوا يوفرون لحاهم، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنهم على النور المبين والصرط المستقيم، فحلق اللحية حرام؛ لأنه خروج عن الفطرة، ومخالفة للرسول وأتباعهم، وموافقة للمشركين، وتغيير لخلق الله تعالى بلا إذن منه، وليس إبقاء اللحية من الأمور العادية كما يظنه بعض الناس، وإنما هو من الأمور التعبدية التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأصل في أوامر النبي صلى الله عليه وسلم والتعبد والوجوب حتى يقوم دليل على خلاف ذلك قال الله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] الفتنة فتنة الدين قد يرد المرء أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فيزيغ قلبه، فيهلك، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بإعفاء اللحية، وأمر بمخالفة المشركين، فإذا فرض أن من المشركين الآن من يعفي لحيته، فإننا لن نترك أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بإعفاؤها من أجل أن بعض المشركين يعفيها، لأن المشرك الذي يعفيها هو المتشبه بنا، ولسنا نحن المتشبهين به، ومن الفطرة السواك، لأن فيه تنظيفاً للأسنان، وما يتسوك عليه

من الفم، ويتأكد السواك عند المضمضة في الوضوء، وعند الصلاة، وعند القيام من النوم، وإذا دخل الإنسان بيته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل البيت، فأول ما يبدأ به السواك، ومن الفطرة استنشاق الماء؛ لأنه ينظف الأنف من الأوساخ، وقص الأظفار من الفطرة؛ لأن الأظفار إذا طالت اجتمع فيها من الأوساخ ما يكون ضررا على الإنسان، وغسل البراحم من الفطرة والبراحم هي الفروض التي بين مفاصل الأصابع؛ لأنها قد تجمع أوساخا، فمن الفطرة تعاهدها، وغسلها، ومن الفطرة نتف الآباط؛ لأن الشعر فيها يجمع أوساخا تحدث منها رائحة كريهة، والنتف يزيل الشعر، ويضعف أصولها، فمن لم ينتف الإبط، فليلحقه، أو يجعل فيه شيئا يزيله، وحلق العانة من الفطرة، وهي الشعر النابت حول القبل؛ لأن في ذلك تقوية للمثانة، ولأن بقاء الشعر يجمع أوساخا قد يكون فيه ضرر على المثانة التي هي مجمع البول، وقد وقت النبي صلى الله عليه وسلم في قص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة أن لا تترك أكثر من أربعين ليلة، وأما الاستنجاء، فإنه من الفطرة، لأنه تطهير للمحل الذي يخرج منه البول أو الغائط. وأما الختان وهو ما يسمى بالطهار فهو من الفطرة؛ لأنه يكمل الطهارة، وفعله في زمن الصغر أفضل، ثم إن الستر والعفاف من خصال الفطرة، ومن محاسن الإسلام، فيجب الحرص على الستر والعفاف والبعد عن التكشف والتعريوخصوصا للأحداث لأن التكشف والتعري مدعاة لفتنة الآخرين، وتسلب الساقطين، فينبغي عليهم الستر والعفاف، والبعد عن التكشف والتعري سواء في الرياضة أو في غيره؛ فالعورة عورة في الرياضة وغيرها، فلقد جاء الإسلام وكرم الجنس البشري في مجالات متعددة، كان من أبرزها أن كرم الإنسان وأمره بستر عورته وسمى ذلك زينة، ونهاه عن كشفها وسماه فتنة، قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ - مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ - مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم: ٣٠ - ٣٢] ، وصلي اللهم وسلم على سيد المرسلين حبيبا وشفيعنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

حد عورة المرأة والرجل وأحكامها :

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

والعورة لغة من العور، وهو القبح والنقص، وسميت كذلك لقبح كشفها شرعاً.

ما ماهية العورة وأقسامها:

أولاً- العورة بالنسبة للصلاة:

تنقسم العورة بالنسبة للصلاة إلى قسمين: مغلظة ومخففة، حسب الآتي:

أولاً : العورة المغلظة: عند الرجل السوءتان وهما القبل (ويضم الذكر والخصيتان) والدير

، وعند المرأة : البطن وما حاذاه من الظهر، ومن السرة إلى الركبة.

ثانياً - العورة المخففة: عند الرجل: ما زاد على المغلظة من السرة إلى الركبة ، وعند

المرأة البالغة: جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين وما ذكر من العورة المغلظة.

حكم ستر العورة:

١- المغلظة: سترها شرط لصحة الصلاة مع القدرة والذكر، فمن صلى مكشوف العورة

المغلظة من ذكر أو أنثى كلها أو بعضها ولو قليلاً بطلت صلاته إن كان قادراً على الستر

ذاكراً له، وعليه الإعادة مطلقاً، سواء في الوقت أو خارجه. أما إن صلى كاشفاً لها ناسياً أو

عاجزاً عن الستر صحت صلاته. ويعتبر قادراً على الستر إذا وجد من يعيره الثوب، ويلزمه

قبول الإعارة وإلا بطلت صلاته (لكن لا يلزمه قبول هبته لعظم المنة) . وكذا يجب عليه

شراؤه بالثمن المعتاد. وإذا لم يجد المكلف إلا ثوباً حريراً أو ثوباً نجساً فيصلي به، ويُقدّم

الحرير الطاهر على غير الحرير النجس إذا وجد معاً. فإذا عجز عن الستر صلى عرياناً ويعيد

الصلاة في الوقت الضروري إذا وجد الستر فيه .

٢- المخففة: بالنسبة للمرأة: يجب سترها، فإذا صلت مكشوفة العورة المخففة يجب عليها إعادة الصلاة في الوقت الضروري (وهو إلى الاصرار، والليل كله في العشاءين ، وطلوع الشمس في الفجر) وإذا خرج يندب لها القضاء، باستثناء كشف باطن القدمين فلا تعيد الصلاة لكشفهما رغم أنهما من العورة المخففة. عن عائشة رضي الله عنها "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار" وعن أم سلمة رضي الله عنها "أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أتصلي المرأة في درع وخمار وليس عليها إزار؟ قال: إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميها".

أما بالنسبة للرجل: المعتمد وجوب سترها، ويجب إعادة الصلاة لكشفها باستثناء كشف الفخذين فلا يعيد الصلاة لكشفهما رغم أنهما من العورة المخففة ، ويكره للرجل كشف كتفه أو جبينه أو تشمير ثوبه أو كفّ كفه أو عقص شعره أثناء الصلاة ، وبالنسبة للصبي: يندب ستر العانة والإليتين بالإضافة إلى المغلظة.

ثانياً- العورة خارج الصلاة:

- في الخلوة: يندب ستر العورة المغلظة ولو في الظلام، سواء عورة الرجل أو المرأة، ويزاد على عورة الرجل المغلظة العانة والإليتين ويكره كشفها لغير حاجة، لحديث بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده قال: "قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك. قال: قلت يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: إن استطعت ألا يرينها أحد فلا يرينها. قال رسول الله إذا كان أحدنا خالياً؟ قال: الله أحق أن يستحيا منه من الناس".

- العورة بالنسبة للنظر: يجب على المكلف ستر عورته أمام من لا يحل له النظر إليها، إلا لضرورة كالتداوي فيجوز لها كشفها بقدر الضرورة، ويحرم النظر إلى عورة المرأة والرجل سواء كانت متصلة أو منفصلة مثل شعر المرأة المقصوص.

عورة المرأة البالغة:

حدُّها أمام المرأة المسلمة من السرة إلى الركبة ، و حدّها أمام المرأة الكافرة على المعتمد كل بدنها عدا الوجه والكفين، وقيل من السرة إلى الركبة ولكن لا تمكنها من النظر لغير وجهها وكفيها لثلاث تصفها إلى زوجها، فالتحريم لعارض لا لكونه عورة ، و مع محارمها الرجال جميع بدنها عدا الرأس والعنق واليدين والقدمين، فيحرم عليها كشف صدرها أو ساقها، ويحرم على محارمها النظر إلى ذلك وإن لم يُلتد ، ومع الرجل الأجنبي (ليس بمحرم لها) : جميع بدنها عدا الوجه والكفين، فإنهما ليس من العورة لكن يجب سترهما لخوف الفتنة. قال تعالى: {ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها} ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وجهها وكفيها ، مع الرجل الأجنبي الكافر: كلها عورة بما في ذلك الوجه والكفين.

وصوت المرأة ليس بعورة، لأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن يكلمن الصحابة وكانوا يستمعون منهن أحكام الدين، ولكن يحرم سماع صوتها إن خيفت الفتنة ولو بتلاوة القرآن.

عورة الرجل:

حدّها أمام الرجال والنساء من محارمه من السرة إلى الركبة ، و حدّها أمام المرأة الأجنبية جميع بدنه واستثنى الرأس واليدان والرجلان فيجوز للأجنبية النظر إليها عند أمن التلذذ وإلا منع .

عورة الأُمرد:

يحرم النظر إلى الغلام الأُمرد على كل من وجد فرقا بالشعور ما بين النظر إليه والنظر إلى الملتحي، أما النظر إليه بغير قصد التلذذ فحائز إن أمنت الفتنة.

عورة الصغير والصغيرة خارج الصلاة:

١- الصغير: ابن ثمان سنوات فأقل: لا عورة له، فيجوز للمرأة أن تنظر إلى جميع بدنه حياً وأن تغسله ميتاً ، وابن تسع إلى اثني عشر سنة يجوز لها النظر إلى جميع بدنه، ولكن لا يجوز لها تغسيله. وأما ابن ثلاث عشر سنة فما فوقها فعورته كعورة الرجل.

٢- الصغيرة: بنت سنتين وثمانية أشهر: لا عورة لها ، وبنت ثلاث إلى أربع سنوات: لا عورة لها بالنسبة للنظر، أما بالنسبة للمس فهي كعورة المرأة فلا يجوز للرجل النظر إلى عورتها ولا تغسيلها.

مس العورة:

آ- المحارم نساء ورجالاً: كل ما جاز لهم النظر لهم مسه، أما العورة فيجوز مسها بحائل.
ب- بين الأجانب نساء ورجالاً: ليس كل ما جاز النظر له جاز مسه، فإذا كان يجوز للأجنبي أن يرى وجه الأجنبية فلا يجوز له مسه، وكذا المرأة لا يجوز لها مس أطراف الأجنبي رغم أنه يجوز النظر إليها.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

حفظ اللسان :

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد رسوله وعبده، وعلى آله وصحبه من بعده.

آداب اللسان : فاللسان إنما خلق لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه، وترشدن به خلق الله تعالى إلى طريقه، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك. فإذا استعملته في غير ما خلق له، فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه، وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر جهنم، ففي الخبر: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه فيهوي بها في قعر جهنم سبعين خريفاً) ، وروى أنه قتل شهيد في المعركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل: ن هنيئا له الجنة، فقال: صلى الله عليه وسلم: (وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويبخل بما لا يعنيه) .
فاحفظ لسانك من ثمانية:

الأول الكذب

فاحفظ منه لسانك في الجد والهزل، ولا تعود لسانك الكذب هزلا فيتداعى إلى الجد، والكذب من أمهات الكبائر، ثم إنك إذا عرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك، وتزدريك الأعين وتحتقرك.
وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك، فانظر إلى كذب غيرك، وعلى نفرة نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه واستقبحك له.

وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك؛ فإنك لا ترى قبح عيوبك من نفسك، بل من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة؛ فلا ترض لنفسك ذلك.
الثاني الخلف في الوعد

فإياك أن تعد بشيء ولا تفي به، بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى الناس فعلا بلا قول، فإن اضطرت إلى الوعد، فإياك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة؛ فإن ذلك من أمارات النفاق وخبائث الاخلاق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) .

الثالث الغيبة

فاحفظ لسانك عنها، والغيبة أشد من ثلاثين زنية في الاسلام. كذلك ورد في الخبر. ومعنى الغيبة: أن تذكر إنسانا بما يكرهه لو سمعه، فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقا.

وإياك وغيبة القراء المرآئين، وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح فتقول: أصلحه الله فقد ساءني وغمني ما جرى عليه، فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه؛ فإن هذا جمع بين خبيثين، أحدهما: الغيبة إذا حصل به التفهم، والآخر: تزكية النفس والثناء عليها بالتجريحلغيرك والصلاح لنفسك. ولكن إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله - الدعاء؛ فادع له في السر. وإن اغتممت بسببه، فعلامة أنك لا تريد فضيخته وإظهار عيبه، وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار تعيبه.

ويكفيك زاجرا عن الغيبة قوله تعالى: (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا، أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) . فقد شبهك الله بأكل لحم الميتة؛ فما أجدرك أن تحتزرها منها؟؟؟! ويمنعك عن الغيبة أمر لو تفكرت فيه وهو أن تنظر في نفسك، هل فيك عيب ظاهر أو باطن؟، وهل أنت مقارف معصية سرا أو جهرا؟ فإذا عرفت ذلك من نفسك، فاعلم أن عجزه عن التزهي عما نسبته إليه كعجزك، وعذره كعذرک. وكما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك، فهو أيضا يكرهه؛ فإن سترته ستر الله عليك عيوبك، وإن فضحته سلط الله عليك السنة حدادا، يمزقون عرضك في الدينا، ثم يفضك الله في الآخرة على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

وإن نظرت إلى ظاهرک وباطنك، فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحمافة، ولا عيب أعظم من الحمق. ولو أراد الله بك خيرا لبصرک بعيوب نفسك، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك. ثم إن كنت صادقا في ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولا تفسده بثلب الناس، والتمضمض بأعراضهم؛ فإن ذلك من أعظم العيوب.

الرابع المرآء والجدال ومناقشة الناس في الكلام

فذلك فيه إيذاء للمخاطب وتجهيل له، وطعن فيه، وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم، ثم هو مشوش للعيش؛ فإنك لا تمارى سفيها إلا ويؤذيك، ولا تمارى حلما

إلا ويقلبك ويحقد عليك؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (من ترك المراء وهو مبطل بين الله له بيتا في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بين الله له بيتا في أعلى الجنة) .
ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك: أظهر الحق ولا تداهن فيه، فإن الشيطان أدبا يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير، فلا تكن ضحكة للشيطان فيسخر منك، فإظهار الحق حسن مع من يقبله منك، وذلك بطريق النصيحة في الخفية لا بطريق الممارسة. وللنصيحة صفة وهيئة، ويحتاجها إلى تلميح وإلا صارت فضيحة، وكان فسادها أكثر من صلاحها.

ومن خالط فلاسفة العصر غلب على طبعه المراء والجدال، وعسر عليه الصمت، إذ ألقى إليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل، والقدرة على الحاجة والمناقشة هو الذي يمتدح به؛ ففر منهم فرارك من الأسود، واعلم أن المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق.

الخامس تزكية النفس

فقد قال الله تعالى: (فَلَا تُزَكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) ، وقيل بعض الحكماء: مالصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه. فإياك أن تتعود ذلك، واعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس، ويوجب مقتك عند الله تعالى. فإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك، فانظر إلى أقرانك إذا أتوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكره قلبك عليهم، ويستثقله طبعك، وكيف تدمهم عليه إذا فارقتهم؛ فاعلم أنهم أيضا في حال تزكيتك لنفسك يذمونك في قلوبهم ناجزا، وسيظهرونه بألسنتهم إذا فارقتهم.

السادس: اللعن

فإياك أن تلعن شيئا مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو إنسان بعينه، ولا تقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق؛ فإن المطلع على السرائر هو الله تعالى، فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى، واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك: لِمَ لم تلعن

فلانا، ولم سكت عنه؟ بل لو لم تعلن ابليس طول عمرك، ولم تشغل لسانك بذكره لم تسأل عنه ولم تطالب به يوم القيامة. وإذا لعنت أحدا من خلق الله تعالى طولبت به، ولا تدم شيئا مما خلق الله تعالى، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدم الطعام الرديء قط، بل كان إذا اشتهى شيئا أكله وإلا تركه

السابع الدعاء على الخلق

فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى، وإن ظلمك فكل أمره إلى الله تعالى؛ ففي الحديث: (إن المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم ييقى للظالم فضل عنده يطالب به يوم القيامة). وطول بعض الناس لسانه على الحجّاج فقال بعض السلف: (إن الله لينتقم للحجاج ممن تعرض له بلسانه كما ينتقم من الحجّاج لمن ظلمه).

الثامن المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس

فاحفظ لسانك منه، في الجد والهزل؛ فإنه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة، ويستجر الوحشية، ويؤذي القلوب، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم، ويغرس الحقد في القلوب؛ فلا تمازح أحدا؛ فإن مازحك أحد فلا تجبه، وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وكن من الذين إذا مروا باللغو مروا كراما.

فهذه مجامع آفات اللسان، ولا يعينك عليه إلا العزلة، أو ملازمة الصمت غلا بقدر الضرورة؛ فقر كان أبوبكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضع حجرا في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة، ويشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. فاحترز منه بجهدك؛ فإنه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حكيم مجيد.

الأخوة في الله، والصحبة والمحبة للإخوان فيه:

الحمد لله الأوّل الأزلي قبل الكون والمكان، من غير أوّل ولا بداية، الآخر الأبدي بعد فناء المكنونات والأزمان بغير آخر ولا غاية، الظاهر في علوّه بقهره عن غير بعد، والباطن في دنوّه بقربه من دون مسّ، الذي أحسن بلطفه كل شيء بدأه وأتقن صنع كل شيء أنشأه، ودبرت الأحكام حكمته وصرفت المحكومات مشيئته، فأظهر في الغيب والشهادة لطيف قدرته وعمّ في العاجل والآجل خلقه بنعمته، ونشر على من أحبّ منهم فضله، وبسط لجميعهم عدله، وأنعم عليهم بتعريفهم إياه، سبحانه وتعالى، به عزّ وجلّ، وأحسن إليهم باحتبائه إياهم إليه، وأفضل عليهم بتيسير كلامه لهم، ومنّ عليهم ببعثه رسولاً من أنفسهم إليهم، فنسأله الصلاة على النبي وآله، وأن يوزعنا بفضله وشكر نعمه، ويعرفنا خفيّ قدره، وصلى الله تبارك وتعالى على سيّد الأوّلين والآخريين، رسوله المفضل بالشفاعة والحوض المورود، المخصوص بالوسيلة والمقام المحمود، وعلى إخوانه السالفين في الأزمان، وأنصاره التابعين بإحسان.

ذكر الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين نعمته عليهم في الدين، إذ ألف بين قلوبهم بعد أن كانوا متفرقين، فأصبحوا بنعمته إخواناً بالألفة متفقين، وعلى البرّ والتقوى مضطجعين، ثم ضمّ التذكرة بالنعمة عليهم إلى تقواه، وأمر بالاعتصام بحبله وهداه، ونهى عن التفرق إذ جمعهم الدار، وقرن ذلك بالمنة منه عليهم، إذا أنقذهم من شفا حفرة النار، وقد جعل ذلك كله من آياته الدالة عليه سبحانه وتعالى وسيله الواصلة بالهداية إليه، فقال في جمل ما شرحناه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) آل عمران: ١٠٢ (ولا تفرقوا) (ولعلكم تهتدون) آل عمران ١٠٣ وقد كانت المؤاخاة في الله تعالى والصحبة لأجله والمحبة له في الحضر والسفر طرائق للعاملين، في كل طريق فريق، لما في ذلك من الفضل، ولما جاء فيه من الأمر والندب، إذ كان الحبّ في الله عزّ وجلّ من أوثق عرى الإيمان، وكانت الألفة والصحبة لأجله والمحبة والتزاور من أحسن أسباب المتّقين، وقد كثرت الأخبار في تفضيل ذلك والحث عليه، و

رأي التابعين قد اختلف في التعريف، فمنهم من كان يقول أقلل من المعارف، فإنه أسلم لدينك وأقل غدا لفضيحتك، وأخف لسقوط الحقوق عنك، لأنه يقال: كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق، وكلما طالت الصحبة توكدت المراعاة، وقال بعضهم: هل رأيت شراً إلا ممن تعرف، فكلما نقص من هذا فهو خير، وقال بعضهم: أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف، ومن مال إلى هذا الرأي: سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي والفضيل بن عياض، وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشي وبشر الحافي، وقال أكثر التابعين باستحباب كثرة الإخوان في الله عزّ وجلّ، بالتأليف والتحبب إلى المؤمنين، لأن ذلك زين في الرخاء، وعون في الشدائد، وتعاون على البرّ والتقوى، وألفة في الدين، وقال بعضهم: استكثر من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاععة، فلعلك تدخل في شفاععة أخيك، وكانوا يأمرّون بالأخوة ويتحاضون على الألفة، ويقال: إذا غفر للبعد شفع في إخوانه، وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تفسير قوله تعالى: (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) الشورى: ٢٦، قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم، ومن مال إلى هذا الطريق: ابن المسيب والشعبي، وابن أبي ليلى وهشام بن عروة، وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله، وابن عيينة وابن المبارك، والشافعي وأحمد بن حنبل، ومن وافقهم، وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون).

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن مألوف ولا خير فيمن يألف ولا يؤلف) ، وقد قيل: أول ما يرفع من هذه الأمة، الخشوع ثم الورع ثم الأمانة ثم الألفة، وفي الخبر: من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وروينا في خبر مثل الأخوين: إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان إلا أفاد الله عزّ وجلّ أحدهما من صاحبه خيراً، و في خبر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من آخى أحاً في الله عزّ وجلّ، رفعه الله عزّ وجلّ درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله، ويقال إن

الأخوين في الله عزّ وجلّ إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر، رفع الآخر معه إلى مقامه، وأنه يلحق به كما تلحق الذرية بالأبوين، والأهل بعضهم ببعض، لأن الأخوة عمل كالولادة، وقد قال الله سبحانه بعد قوله: (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) الطور: ٢١، أي وما نقصناهم، وقال تعالى مخبراً عمن لا صديق له حميم تنفعه شفاعته: (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) الشعراء: ١٠٠ - ١٠١ ومعنى حميم أي هميم، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من الاهتمام أي مهتم بأمره، ففيه دليل أنّ الصديق لك هو المهتم بك، وإنّ الاهتمام حقيقة الصداقة، وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن كثير بأخيه) ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ما أعطى عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح)، وقال أيضاً: (إذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به، فقلما تصيب ذلك).

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كونوا مؤلفين ولا تكونوا منفرين، وفي الحديث: إنّ أحبكم إلى الله عزّ وجلّ الذين يألفون ويؤلفون، وإنّ أبغضكم إلى الله عزّ وجلّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان) ، وفي أخبار داود عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا ربّ كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك، قال: خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك، وفي بعضها: خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا، وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة، قال الشعبي عن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخيه زيد: أنا كنت أحبّ إلى أبيك منك، وأنت أحبّ إليّ من ابني، خصلتان أوصيك بهما فاحفظهما: خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة، فإنّ الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وأنه لحق عليك أن تخلص المؤمن، وقد قال أبو الدرداء قبله: إنّنا لنشكر في وجوه أقوام وإنّ قلوبنا لتلعنهم، فمعنى هذا على الثقة والمداراة ليدفع بذلك شره وأذاه، كما جاء في تفسير قوله تعالى: (إِذْ فَعَّكَ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ) فصلت: ٣٤، قيل السلام: (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت: ٣٤ وكان ابن عباس يقول في معنى قوله عزّ وجلّ: (وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ

السَّيِّئَةَ الرَّعْدُ: ٢٢، قال: يدفعون الفحش والأذى وهو السيئة بالسلام، والمداراة وهو الحسنة، وقد كان أفضل الحسنات إكرام الجلساء، ومنه قوله عزّ وجلّ: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) البقرة: ٢٥١، قيل بالرغبة والرغبة والحياء والمداراة، وكذلك معنى قولهم: خالص المؤمن وخالق الفاجر فالمخالصة بالقلوب من المودة واعتقاد المؤاخاة في الله عزّ وجلّ، والمخالفة المخالطة في المعاملة والمبايعة، وعند اللقاء، وكذلك جاء مفسراً: خالطوا الناس بأعمالهم وزابلوهم في القلوب، وقد قال محمد بن الحنفية بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدءاً، حتى يجعل الله عزّ وجلّ له منه فرجاً، فمعاملة غير تقي ومكاملته من أحوال الإضرار، ومعاشرة التقي ومصافاته من حسن الاختيار.

قال بعض العلماء: المحبة الدائمة والألفة اللازمة من قبل، أن الأخوة والمحبة عمل، وكل عمل يحتاج إلى حسن خاتمة به ليتم العمل، فيكمل أجره، فإن لم يختم له بالآخرة ولم يحسن عاقبة الصحبة والمحبة، فقد أدركه سوء الخاتمة، بطل عنه ما كان قبل ذلك، فقد يصطحب الاثنان ويتواخى الرجلان عشرين سنة، ثم لا يختم لهما بحسن الأخوة فيحبط بذلك ما سلف من الصحبة، فلذلك شرط العالم المحبة الدائمة والألفة اللازمة إلى الوفاة ليختم له به، ويقال: ما حسد العدو ومتعاونين على برّ حسده، متواخيين في الله عزّ وجلّ ومتحابين فيه، فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على إفساد ما بينهما، وقد قال الله عزّ وجلّ: (وقل لعبادي يقولوا: التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم) الإسراء: ٥٣ يعني يقولون الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان، وقال عزّ وجلّ مخبراً عن يوسف عليه السلام من: (بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بُيْنَ وَيَّيْنِ إِخْوَتِي) يوسف: ١٠٠ وقد يقال: ما تواخى اثنان في الله عزّ وجلّ ففرق بينهما، إلاّ بذنّب يرتكبه أحدهما، فقال بشر: إذا قصر العبد في طاعة الله تبارك وتعالى، سلبه الله عزّ وجلّ من يؤنسه، ويقال للعدو شيطان، قد وكله بالتفريق بين المتواخيين، ليس له عمل إلاّ ذلك، قد تفرغ له، ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق، وجهيل البشر عند التقاطع .

فوصف الكريم في هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية، ألم تسمع إلى الدعاء المأثور عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوله: يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر، فكذلك صفات المؤمنين على معاني أخلاق المؤمن الأعلى، وقد كان أبو الدرداء يقول: معاتبه الصديق خير من فقده، ومن لك بأخيك كله هن لأخيك، ولن له ولا تطع الشيطان في أمره، غداً يوافيه الموت فيكفيك فقده، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله، وعن علي رضي الله عنه: أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما، وقد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معناه: لا يكن حبك كلفاً وبغضك تلفاً، قال: اسلم، قلت: وكيف ذاك، قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يجبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضاً تحب أن يتلف صاحبك ويهلك، وعن سعيد بن المسيب، قال: قال عمر رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجبك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلاّ الأمين، ولا أمين إلاّ من خشى الله عزّ وجلّ، ولا تصحب الفاجر فتعلم فجوره، ولا تطلعه على شرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تبارك وتعالى، وحدثونا عن إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن أكثم قال: حدثت المأمون أمير المؤمنين فقلت له: حدثني سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن أبجر قال: لما حضرت علقمة العطاردي الوفاة دعا بابنه فقال: يا بني، إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدّها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإذا حاولت أمراً أمرك، وإن تنازعتما أترك، قال ابن أكثم: فقال المأمون: وأين هذا؟، وقيل للأحنف بن قيس: أي إخوانك أحب إليك فقال: من يسد خللي، ويستر زللي، ويقبل عللي، وحدثونا

عن الأصمعي قال: حدثنا العلاء بن جرير عن أبيه قال: قال الأحنف: من حقّ الصديق أنّ يحتمل له ثلاث: أنّ يجاوز عن ظلم الغضب وظلم الهفوة وظلم الدالة، وقال: الإخاء جوهرة رقيقة، فهي ما لم توق عليها وتحرسها كانت معرضة للآفات، فارض الإخاء بالذلة حتى تصل إلى فوقه، وبالكظم حتى تعتذر إلى مَنْ ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أحيك التقصير، ويقال: مَنْ لم يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم ويتغافل عنهم، لم يسلم منهم، وكان أسماء بن خارجة الفزاري يقول: ما سئمت أحداً قط لأنه إنما يسأمني أحد رجلين: كريم كانت منه زلة وهفوة، فأنا أحق من غفرها وأخذ عليها بالفضل فيها، أو لئيم فلم أكن أجعل عرضي له غرضاً، وعن ابن عباس أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعدّه موعداً فتخلفه، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق، وعن أبي نجیح عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: خذ العفو وأمر بالعرف، قال: خذ من أخلاق الناس ومن أعمالهم ما ظهر من غير تحسس .

ومن عرف فضل الإخوة في الله عزّ وجلّ، وعلم درجة المحبة لله تعالى، صبر لأخيه وشكر له وحلم عنه وإحتمل له، لينال ما أمله من مؤمله فيه ويبلغ ما طلبه من طالبه به، فإنّ الصبر يحتاج إليه ليتّم العمل والشكر، لا بدّ له منه لدوام النعمة، ومن طلب نفيساً خاطر بنفيس ومن رغب في رغبة بذل لها مرغوباً، والله عزّ وجلّ الموفق من يجب لما يجب، وفي حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المتحابون في الله عزّ وجلّ على عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، مشرفون على أهل الجنة، يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، عليهم ثياب سندس خضر، مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله عزّ وجلّ، وروينا في حديث معاذ، وقد قال له أبو إدريس الخولاني: إني لأحبك في الله عزّ وجلّ، فقال له: أبشر ثم أبشر، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة،

ووجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس وهم لا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون، وهم أولياء الله عزّ وجلّ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقيل: من هؤلاء يا رسول الله، قال: هم المتحابون في الله عزّ وجلّ، ورواه أبو هريرة فقال فيه: إنّ حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغطهم الأنبياء والشهداء، فقالوا: يا رسول الله حلّهم لنا، فقال: هم المتحابون في الله عزّ وجلّ، والمتحالسون في الله تعالى، والمتزاورون في الله تعالى.

وفي حديث عبادة بن الصامت، يقول الله عزّ وجلّ: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيّ، والمتزاورين فيّ والمتبازلين والمتصادقين فيّ، وكان ابن مسعود يقول في قوله عزّ وجلّ: (لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمُ) الأنفال: ٦٣، قال: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله عزّ وجلّ، وأبو بشر عن مجاهد قال: المتحابون في الله عزّ وجلّ إذا التقوا فكشروا بعضهم إلى بعض، تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس، وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سبعة يظلمهم الله عزّ وجلّ في ظلّ عرشه، يوم لا ظلّ إلا ظله، منهم كذا، واثان تواخيا في الله عزّ وجلّ، اجتمعا على ذلك وتفرّقا، وكان الفضيل بن عياض وغيره يقول: نظر الأخ إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة، فلا تصحّ المحبة في الله عزّ وجلّ إلا بما شرط فيها من الرحمة في الاجتماع، والخلطة عند الافتراق بظهور النصيحة، واجتناب الغيبة، وتمام الوفاء، ووجود الأُنس، وفقد الجفاء، وإرتفاع الوحشة، ووجد الانبساط، وزوال الاحتشام، وكان الفضيل يقول: إذا وقعت الغيبة، ارتفعت الأخوة وقال الجنيد: ما تواخى اثنان في الله عزّ وجلّ فاستوحش أحدهما من صاحبه واحتشم منه إلا لعلّة في أحدهما، ومن ذلك ما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما تحاب اثنان في الله عزّ وجلّ إلا كان أحبهما إلى الله عزّ وجلّ أشدهما حبّا لصاحبه، وفي خبر: كان أفضلهما وفي الخبر الآخر أحب الإخوان إلى الله عزّ وجلّ ووجهه أرفقهما بصاحبه، وقال عليّ رضي الله عنه وكرم الله وجهه: شر الأصدقاء من أحوحك إلى مداراة، وأجأك

إلى اعتذار، وقال أيضاً: شرّ الأصدقاء من تكلف له، وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له ما لا يفعله كل واحد منهما في منزله، فيحشمه ذلك من الرجوع إليه، وعن عائشة رضي الله عنها: المؤمن أخو المؤمن لا يغتمه ولا يحشمه، وعن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: أهدي لهشام فرو كثير الثمن فقال: اذهب بها إلى سعيد الجوهري فقل له: هذه فرو جاء به هشيم اشتراها له قال: فذهب بها إليه فاشتراها، ثم بعث بها إلى هشيم فصارت له ودراهمها، وقال عليّ بن المديني: قال أحمد بن حنبل: إني أحبّ أن أصحبك إلى مكة وما يمنعني من ذلك إلاّ أني أخاف أن أملك أو تملني، لأنه يقال إنّ ملل الإخوان ليس من أخلاق الكرام وقال مكحول: قلت للحسن إني أريد الخروج إلى مكة فقال: لا تصحب رجلاً يكرم عليك فينقطع الذي بينك وبينه، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: يستحسن الصبر عن كل شيء إلاّ عن الصديق، وقال: أستحب للمتواخين في الله عزّ وجلّ أن يلتقيا في كل يوم مرتين وقال أنس بن مالك: كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتماشون، فإذا استقبلهم صحرة أو أكمة فرقت بينهم فالتقوا من ورائها، سلم بعضهم على بعض، وقال الحسن وأبو قلابة: ليس من المروءة أن يريح الرجل على صديقه، وقال ابن سيرين لا تكرم أخاك بما يشق عليه.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة فلا يجلس لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره، وخرج ابن المبارك في سفر، فصحبه قوم فقال لهم: إن أنكر أحد منكم شيئاً فليخبرني، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم: هل أنكرتم مني شيئاً فقال شاب منهم: أنا قال: وما أنكرت قال: لم أرك تستاك فقال: ويحك وهل يستاك الرجل بين يدي صديقه، وكان بشر بن الحارث يقول: لا تخالط من الناس إلاّ حسن الخلق فإنه لا يأتي إلاّ بخير، ولا تخالط سئ الخلق فإنه لا يأتي إلاّ بشر، وقال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرضى فهو شيطان، وقال عمرو بن دينار: زهدك في راغب فيك نقص حظ، ورغبتك في زاهد فيك ذلنفس، وكان ابن سيرين

يقول: يحتمل الرجل لأخيه إلى سبعين زلة ويطلب له المعاذير، فإن أغناه ذلك وإلا قال: لعل لأخي عذراً غاب عني، وقال الثوري: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ثم دسّ عليه من يسأله عنك، فإن قال خيراً فاصحبه وقال غيره: لا تؤاخين أحداً حتى تبلوه وتفشي إليه سرّاً، ثم إجفه واستغضبه وانظر، فإن أفشاه عليك فأجتبه، وقيل لأبي يزيد: من أصحب من الناس قال: من يعلم منك ما يعلم الله عزّ وجلّ، ويستر عليك ما يستر الله تعالى، وكان ذو النون يقول: لا خير لك في صحبة من لا يجب أن يراك إلاّ معصوماً، وقيل لبعض العلماء: من يصحب من الناس قال: من يرفع عنك ثقل التكلف، وتسقط بينك وبينه مؤونة التحفظ، وقد كان جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول: أثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم عليّ من أكون معه كما أكون وحدي، يريدون بهذا كله أنّ من لم يكن على هذه الأوصاف دخل عليه التصنع والترزين، فأخرجاه إلى الرياء والتكلف، فذهبت بركة الصحبة وبطلت منفعة الأخوة، وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلاّ من لا تزيد عنده ببرّ ولا تنقص بإثم، ومن يتوب عنك إذا أذنبت، ويعتذر إليك إذا أسأت، ويحمل عنك مؤونة نفسه ويكفيك مؤونة نفسك، وهذه من أعز الأوصاف في هذا الوقت، كما قال رجل للجنيد: قد عزّ في هذا الزمان أخ في الله تعالى قال: فسكت عنه، ثم عاد ذلك فقال له الجنيد: إذا أردت أخاً في الله عزّ وجلّ يكفيك مؤونتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل، وإن أردت أخاً في الله تتحمل أنت مؤونته وتصبر على أذاه، فعندي جماعة أدلك عليهم إن أحببت، فهذا لعمرى يكون محباً لنفسه إذا اقتضى هذا من أخيه لا محباً لأخ في الله تعالى، وليس الإخاء كف الأذى لأن هذا واجب، ولكن الإخاء الصبر على الأذى، وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون إلاّ على استواء أربع معان، لا يترجح بعضها على بعض، ولا يكون فيها اعتراض من بعض إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم، وإن صلّى الليل أجمع لم يقل له أحد نم بعضه، وتستوي حالاه عنده، فلا مزيد لأجل صيامه وقيامه، ولا نقصان لأجل إفطاره ونومه، فإذا كان عنده يزيد بالعمل وينتقص

بترك العمل، فالفرقة أسلم للدين وأبعد من المراعاة من قبل إن النفس مجبولة على حب المدح وكرهة الذم، ومبتلاة بأن ترب حالها التي عرفت به، وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها، فإن صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك بطريق الصادقين ولا بغية المخلصين، فمجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلب وأخلص للعمل، وفي معاشرتهم وصحبة أمثالهم فساد القلوب ونقصان الحال، لأن هذه أسباب الرياء، وفي الرياء حبط الأعمال وحسن رأس المال، والسقوط من عين ذي الجلال نعوذ به سبحانه وتعالى من ذلك،

وكان الثوري رحمه الله تعالى يقول: من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم، ومن راياهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا، وكان بعض الناس يقول: لا تؤاخ من الناس إلا من لا يتغير عليك في أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه، لأن هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع، وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلا من كان على هذا الوصف: يكتم سرّك وينشر برّك ويطوي عيبك ويكون في النوائب معك وفي الرغائب يؤثر، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجلاً تتعلم منه شيئاً من أمر دينك فينفعك، أو رجلاً تعلمه شيئاً من دينه فيقبل منك، والثالث هرب منه، وقال ابن أبي الحوارى: قال لي أستاذي أبو سليمان: يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل ترتفق به في دنياك، أو رجل تزيد معه وتتفجع به في آخرتك، والاشتغال بغير هذين حمق كبير.

وكان المأمون يقول: الإخوان ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه فالعبد مبتلي بهذا الثالث وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع عنده، والأول نعمة من الله سبحانه وتعالى على العبد، فيه ألفة وأنس ومعه غنيمة ونفع.

وكان أبو ذر يقول: الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وقال بشر بن الحارث: يكون للرجل ثلاثة إخوان: أخ لآخرته، وأخ لديناه، وأخ يأنس به،

فأخبر أن أخ المؤمنة قد لا يكون متقرباً عابداً، وأنّ الأنس مخصوص يقال: لا يوجد إلاّ في كريم، وكان يوسف بن أسباط يعزز من فيه أنس من الإخوان، فكان يقول ما في المصيصة ثلاثة يؤنس بهم، واعلم أنّ الأنس لا يوجد في كل عالم، ولا في كل عاقل، ولا في كل عابد زاهد، ويحتاج الأنس ألى وجود معان تكون في الولي، فإذا اجتمعت فيه كمل فيه الأنس، وارتفعت عنه الوحشة والحشمة، ومن لم تكن فيه لم يوجد فيه أنس، ومن لم تكمل فيه وجد فيه بعض الأنس، وإذا حصل الأنس ففيه الروح من الكروب والاستراحة من الغمّ والسكون وطمأنينة القلب، فكذلك عزّ من يوجد فيه الأنس لعزة خصاله وهي سبع: علم وعقل وأدب وحسن خلق وسخاء نفس وسلامة قلب وتواضع، فإن فقد بعضها لم يجد خلاًّ يأنس بكماله، من قبل أن أضدادها وحشة كلها لأن الجاهل لا أنس فيه، والأحمق لا أنس به، والبخيل سئ الخلق لا أنس عنده، والخبث والتكبر لا أنس معه فاعرف هذا.

وعن الأصمعي أنه ذكر عن بعض الحكماء قال: عاملوا أحرار الناس بمحض المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرغبة، وسوسوا السفلة بالمخافة، ومثل جملة الناس كمثّل جملة الشجر، منهم من له ظل ليس فيه ثمر وهذا الذي فيه نفع من الدنيا ولا ثمرة له في العقبى، ويحتاج إليه في وقت، ومنهم من فيه ثمر وليس له ظل وهذا يصلح للآخرة ولا يصلح للدنيا، ومنهم من فيه ظل وثمر، فهذا الذي يصلح للدين والدنيا وهو أعزها، ومنهم من لا ظل له ولا ثمر وهذا هو الذي لا يحتاج إليه، فمثله في الشجر مثل شجر الغضا وهو شوك البرية التي تسميه العامة أم غيلان، تمزق الثياب لا طعام فيه ولا شراب، فهؤلاء من الناس من يضرّ ولا ينفع ويكثر ولا يدفع، مثله كما قال الله تبارك وتعالى: (يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَكَبِئْسَ الْعَشِيرُ) الحج: ١٣، ومثله في الدواب مثل الفأرة والعقرب، قال بعض السلف: إذا ولى أخوك ولاية فتبت على نصف مودتك فكثير، وحدثنا محمد بن القاسم القرشي عن الربيع بن سليمان، عن الإمام الشافعي رحمه الله، أنه آخى رجلاً ببغداد ثم إنَّ

أخاه ولي السيبين فتغير للشافعي كما كان يعهده منه فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه هذه الأبيات:

أذهب فودك من ودادي طالق ... مني وليس طلاق ذات البين

فإن ارعويت فإنها تطليقة ... ويدوم ودك لي على ثنتين

وإذا امتنعت شفتها بمثلها ... فتكون تطليقتين في حيزين

فإذا الثلاث أتت منك مني بته ... لم تغن عنك ولاية السيبين

فذكر هذا الكلام لبعض الفقهاء فاستحسنه وقال: هذا الطلاق فقهياً، إلا أنه طلق قبل النكاح، وقد كان الشافعي عليه السلام أخى محمد بن عبد الحكم المصري وكان يحبه ويقربه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، واعتل محمد فعاده الشافعي، فحدثني القرشي عن الربيع قال: سمعت الشافعي ينشد وقد عاد محمداً: مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني ... فبرأت من نظري إليه

وما شك أهل مصر أن الشافعي يفوض أمر حلقة إليه، وأنه يستخلفه بعد موته ويأمر الناس بالحضور عنده، حتى سئل عن ذلك في علته فقيل له: يا أبا عبد الله إلى من نجلس بعدك، ومن يكون صاحب الحلقة، وهم يظنون أنه يشير إلى محمد فاستشرف لذلك محمد وتناول لها، وكان جالساً عند رأسه فقال: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه إلى أبي يعقوب البويطي، وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه وفارق مذهب مالك، إلا أن البويطي كان أزهد وأورع، فحمل الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين، ولم يداهن في ذلك بأن وجه الأمر إلى أبي يعقوب، وآثره لأنه كان أولى، فلما قبض الشافعي رضي الله عنه إنتقل محمد ابن عبد الحكم مذهب، وفارق أصحابه ورجع إلى مالك، وروى كتب أبيه عن مالك، وتفقه فيها، فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضي الله عنه، وأخمل البويطي رحمه الله نفسه واعتزل عن

الناس بالبويدة من سواد مصر، وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع ابن سليمان ويعرف به، وإنما هو جمع البويطي لم يذكر نفسه فيه، وأخرجه إلى الربيع فزاد فيه، وأظهره وسمعه منه وقد كان البويطي حمل في المحلة ورفع من مصر إلى السلطان، وحبس في شأن القرآن، فحدثنا عن الربيع قال: كتب إليّ البويطي من السجن يحثني على المجالس، ويأمرني بالمواظبة على العلم والرفق بالمعلمين والإقبال عليهم، وأن أتواضع لهم وقال: كثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يقول:

أهين لهم نفس لكي يكرمونها... ولن تكرم النفس التي لا تهينها

وأوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بني لا تصحب من الناس إلّا من إن افتقرت قرب منك، وإذا استغنيت لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك، إن تذلت له صانك، وإن احتجت له مانك، وإن اجتمعت معه زانك، فإن لم تجد هذا فلا تصحب أحداً، ومن حق الأخوة في الله عزّ وجلّ ما نقل إلينا من سيرة السلف قال: كان الرجل يجيء إلى منزل أخيه من حيث لا يعلم، فيقول لأهله: هل عندكم دقيق، ألكم زيت تحتاجون إلى كذا، فإن قالوا ليس عندنا اشترى لهم مصالحهم، قال: ولم يكن الأخ يفرق بين عياله وعيال أخيه، يقاسمهم المؤونة قال: ويلقى أحاه فلا يعلمه بشيء من ذلك، وأما سعيد بن أبي عروبة، فكان يعلق كل ثوب عنده على الحبل، ويظهر كل صنف من طعام فيصفه، وربما اشترى المسلوخ فيعلقه، ويفتح بابه ويدخل عليه إخوانه في الله عزّ وجلّ، فكان من أراد طعاماً أكل، ومن اشتهى لحمًا قطع وشوى أو طبخ، ومن احتاج إلى ثوب لبس من غير إذن ولا مؤامرة، قد عرفوا ذلك من أخلاقه، وكان مثله جماعة متخلّفين بهذه الأخلاق، وقد جعل الله تبارك وتعالى الألفة بين المؤمنين من آياته، وتمدح بوصفها ولم يكلها إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم فقال عزّ وجلّ: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) الأنفال: ٦٣، أي عزيز لا يؤلف غيره ما فرق، ولا يفرق سواه ما ألف، حكيم تفرد بالحكم في التأليف، كما توحد بالتوحيد

بالتعريف، ومعنى آخر: عزيز عزز الألفة وعظمها عند المؤمنين، حكيم جعلها في الحكمة مع الحكماء من الصالحين، ونظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان، فوقف أحدهما يحك جسده فوقف الآخر فبكى أبو الدرداء فقال له: هكذا الإخوان في الله عزّ وجلّ، يعملان لله تبارك وتعالى ويتعاونان على أمر الله، فإذا وقف أحدهما وقف الآخر لوقوفه، وكان أكثر عبادة أبي الدرداء التفكر، وكان يقول: إني لأدعو لأربعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم.

وقد جاء في الحديث: دعاء الأخ لأخيه بالغيب لا يرد، ويقول الملك: ولك مثل هذا، وفي لفظ آخر يقول الله تبارك وتعالى: بك أبدأ، والحديث المشهور: يستجاب للمرء في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه، فمن واجب الأخوة تخصيصه وإفراجه بالدعاء، والاستغفار له في الغيب، فلو لم يكن من بركة الأخوة إلاّ هذا كان كثير، وكان محمد بن يوسف الأصبهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح، أهلك يقتسمون ميراثك وهو منفرد بحسرتك، مهمته بما قدمت، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى، فقد أشبه الأخ الصالح الملائكة: لأنه جاء في الخبر: إذا مات العبد قال الناس: ما خلف وقالت الملائكة: ما قدم، يفرحون بما قدم من خير ويشفقون عليه، وقال بعض العلماء: لو لم يكن في اتخاذ الإخوان إلاّ أن أحدهم يبلغه موت أخيه فيترحم عليه ويدعو له، فلعله يغفر له بحسن نيته له ويقال: مَنْ بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له، كأنه شهد جنازته وصلى عليه، وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء، ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ، وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء، من الأنوار أمثال الجبال ويقال: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء في الدنيا، قال: فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور، عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية من عند أخيك فلان، من عند قرينك فلان قال: فيفرح بذلك، كما يفرح الحي بالهدية، فقد كان الإخوان يوصون إخوانهم بعدهم بدوام الدعاء لهم، ويرغبون في ذلك لحسن يقينهم وصدق نياتهم، وإن أعظم

الحسرة من خرج من الدنيا ولم يؤاخ أحماً في الله عزّ وجلّ، فيدرك بذلك فضائل المؤاخاة وينال به منازل المحبين عند الله تعالى، ومن أشد الناس وحشة في الدنيا من لم يكن له خليل يأنس به وصديق صدق يسكن إليه .

هذا وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدعوة إلى الله :

الحمد لله الذي نصر نبيه، وخليله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر، وجعل النصر حليف من اتبعه إلى آخر الدهر. وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم صلاة وسلاما بلا حصر ، أما بعد:

الدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعا، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم، قال تعالى عن نوح -عليه السلام: {لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} ، وقال تعالى عن هود -عليه السلام: {وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} ، وعن صالح قال تعالى: {إلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره}، وعن شعيب -عليه السلام- قال تعالى: {وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} .

وهكذا جميع رسل الله دعوا إلى الله، إلى عبادته وحده، التبرؤ من عبادة ما سواه، قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} ، فرسل الله هم الدعوة إلى الله، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس ، والأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله ، وأن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرفها أن أشركها مع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة إليه، وهذا التشريف والتكريم لا يستفاد فقط من الخطابات الإلهية لرسوله بالدعوة إليه كما ذكرنا، وإنما هو صريح الآيات الكثيرة في القرآن، قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر} ، فهذه الآية

الكريمة أفادت معنيين: الأول: خيرية هذه الأمة، والثاني: أنها جازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسول الله ورسول الله جميعا المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة؛ لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية -وهي المكلفة بالدعوة إلى الله- مكلف بهذا الواجب، ذكرا كان أو أنثى، فلا يختص العلماء أو كما يسميهم البعض رجال الدين، بأصل هذا الواجب؛ لأنه واجب على الجميع، وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظرا لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته.

يحتاج الداعي إلى الله في أداء مهمته ووظيفته التي هي في الأصل وظيفة رسل الله، إلى عدة قوية من الفهم الدقيق والإيمان العميق والاتصال الوثيق بالله تعالى، هذه هي مقومات عدة الداعي وأركانها، وإذا فقدتها لم يغن عنها شيء آخر، وإذا ضعفت معانيها في نفسه، فعليه أن يقويها، ويزيد الأمر وضوحا -وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة- قول ربنا -جل جلاله: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}، فأتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم، المؤمنون به، يدعون إلى الله على بصيرة، أي: علم ويقين، كما كان رسولهم -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى الله على بصيرة ويقين، ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل في إيمانه، ويجب تداركه بالقيام بهذا الواجب، واجب الدعوة إلى الله. قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول الله تعالى إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي"، وفي الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

"فليبلغ العلم الشاهد الغائب"، ويدخل في معنى الشاهد كل مسلم علم من أمر الإسلام شيئاً، والدعوة إلى الله وهي واجب على كل مسلم ومسلمة كما قلنا، قد تؤدي بصورة فردية، وقد تؤدي بصورة جماعية، وإذا أردنا الدقة بالتعبير قلنا: إن هذا الواجب يؤدي على نحوين: الأول: نحو فردي، بأن يقوم به المسلم بصفته فرداً مسلماً، والثاني: يؤدي هذا الواجب أو جانباً منه بصفته فرداً في جماعة تدعوا إلى الله تعالى.

أخلاق الداعي هي أخلاق الإسلام:

أخلاق الداعي المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في قرآنه، وفصلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم، وهي لازمة لكل مسلم، وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها؛ ليزن نفسه في ميزانه، ليعلم ما عنده منها، وما لم يصل إليه بعد منها، ومن ذلك:

أولاً: الصدق و في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تتحدث عن الصدق وفضليته، وتأمّر المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} .

ثانياً: الصبر والصبر من فروع الإسلام وهو نصف الإيمان، وذكره القرآن الكريم في أكثر من ثمانين موضعاً أمر به {واستعينوا بالصبر والصلاة} ، ونهيا عن ضده {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم} ، ومحبة لأهله {والله يحب الصابرين} ، ومعيته تعالى لهم {إن الله مع الصابرين} ، وعاقبته خير {وأن تصبروا خير لكم} ، وجزاؤه عظيم {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} ، وأهل الصبر هم المنتفعون بالآيات والعظات {إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور} ، وهو سبب لدخول الجنان {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} ، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} .

ثالثاً: الرحمة فمن أخلاق الداعي الضرورية: الرحمة، وقبل أن أبين أهميتها للداعي أذكر

ما ورد في السنة النبوية.

قال -صلى الله عليه وسلم: "لا يرحم من لا يرحم الناس"، "لا تتزع الرحمة إلا من شقي"، "الراحمون يرحمهم الله تعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، قبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحسن بن علي -رضي الله عنهما- وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم"، "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض".

وإن الداعي لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقتهم عليهم دعوتهم إلى الإسلام؛ لأن في هذه الدعوة نجاحهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى. إنه يجب لهم ما يجب لنفسه، وأعظم ما يجب لنفسه الإيمان والهدى، فهو يجب ذلك إليهم أيضا.

رابعا : التواضع فحاجة الداعي إلى التواضع ، والداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عاريا من التواضع وهو من ركائز أخلاق الإسلام؟ ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقا وصدقا .

وسائل الدعوة : من وسائل الدعوة: الاقتراب من المدعوين بالسؤال عنهم وزيارتهم وعيادتهم إذا كانوا مرضى، وبمساعدهم إذا احتاجوا، فهكذا كان يفعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعلى هذا الهدي النبوي يقوم الدعاة بإنشاء المؤسسات الخيرية، بما فيها من رعاية الفقراء واليتامى، وبما فيها من إنشاء المساجد والمدارس ومساعدة طلاب العلم، ومن الوسائل الحديثة الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية في الصحافة والمجلات والكتب والكتيبات والنشرات، مما يستدعي تضافر الجهود ليمتلك الدعاة الوسائل التي تعينهم على ذلك، من المطابع عالية الجودة، والمتخصصين المهرة في الإعداد والإخراج، وللإعلام

المسموع عبر الإذاعات والمواقع الإسلامية على شبكة المعلومات -الإنترنت- أثر كبير في توصيل رسالة الإسلام.

أما الإعلام المرئي في التلفزيون، وفي عهد السموات المفتوحة، فيما يعرف بالفضائيات، فيجب أن يحتل فيه الدعاة مكاناً مرموقاً، بنقل الخطب والدروس والندوات حيّة على الهواء، وعليهم أن يدرسوا كيفية الإعداد الجيد لما يلقي على الناس عبر هذه الوسائل، فليست المسألة مجرد معلومات تلقى، إنما هناك الاختيارات الجيدة، التي تتناسب مع ما عند الناس من قصور في فهم أو شطط في فكر، أو مشكلة تحتاج إلى الحل، وهناك الصوت وطريقة الإلقاء ومظهر الداعية في الإعلام المرئي، ومن خلال ذلك كله يتفنن الداعية في تبليغ رسالته، من خلال ما يسوق من ترغيب وترهيب، وما يذكر من قصص يساق في أسلوب قشيب، وألوان من طريقة القرآن في جداله مع المخالفين له، ومن خلال عرض أساليب القرآن وطريقته في إقناع الآخرين.

وقد يحتاج الداعية إلى تبليغ رسالته لغير الناطقين بالعربية، فليكن هناك مجموعات تتخصّص، كل مجموعة في إجادة لغة من لغات أهل الأرض؛ لحمل رسالة الإسلام للعالمين، وليحققوا حكمة الله من اختيار رسوله -صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين.

فهل لنا أن نفعل؟! هذه رسالتنا نسأل عنها أمام الله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (الزحرف: ٤٤).

أسلوب الدعوة إلى الإسلام، فإنه يتمثل فيما يأتي:

أولاً: التركيز على قضايا الإيمان الكلية، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

ثانياً: التدرج بالبداة بالأهم ثم المهم وهكذا، لما ورد في حديث ابن عباس في صحيح البخاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن قال له: "إنك تأتي قوماً من

أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله، فإن هم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ... " الحديث.

ثالثاً: إبراز محاسن الإسلام من خلال تشريعاته، كالربط بين هذه الحياة ودار الجزاء والحساب، والتكافل والرحمة بين المسلمين.

رابعاً: التركيز على جوانب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، على أن يتم ذلك بقدر دون تكلف.

خامساً: الاطلاع على الشبهات السائدة في تلك البيئة، والبحث عن الردود المناسبة لهذه الشبهات.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

اجتنبوا الكبائر

الحمد لله الذي جعل الإنسان هو الجامع الصغير فطوى فيه ما تضمنه العالم الأكبر الذي هو الجامع الكبير وشرف من شاء من نوعه في القديم والحديث بالهداية إلى خدمة علم الحديث. وأوتد له من مشكاة السنة لاقتباس أنوارها مصباحاً وضاحاً ومنحه من مقاليد الأثر مفتاحاً فتاحاً. والصلاة والسلام على أهل العالمين منصباً وأنفسهم نفساً وحسا المبعوث بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً حتى أشرق الوجود برسالته ضياءً وابتهاجاً ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ثم على من التزم العمل بقضية هديه العظيم المقدار من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم إلى يوم القرار الذين تناقلوا الخبر والأخبار ونوروا منهاج الأقطار بأنوار المآثر والآثار صلاة وسلاماً دائمين ما ظهرت بوزغ شموس الأخبار ساطعة من آفاق عبارات من أوتي جوامع الكلم والاختصار ، أما بعد :

اجتنبوا الكبائر ، قال الله تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء: ٣١] ، وقال صلى الله عليه وسلم: " أكبر الكبائر ":

«الإشراك بالله، وقتل النفس وعقوق الوالدين، وشهادة الزور» متفق عليه .

الكبيرة: هي كل معصية فيها عقوبة حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب، أو لعن من الله أو رسوله.

عدد الكبائر: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، والكبائر متفاوتة في درجاتها.

أنواع الكبائر

١ - الكبائر في العقيدة:

الشرك الأكبر: وهو صرف نوع من العبادة لغير الله - عز وجل - مثل: الذبح لغير الله والاستعانة بغيره ودعائه ورجائه مما لا يقدر عليه إلا الله قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨] سورة الجن آية ١٨.

ومنه تصديق الكهنة والعرافين والمنجمين فيما يدعون من علم الغيب الذي استأثر الله به قال تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: ٦٥] سورة النمل آية ٦٥.

ومنه التكذيب بالله أو برسوله - أو بشيء مما جاء به أو سخرية منه، أو اعتقاد أن هديا يفوق أو يساوي هديه، ومنه التكذيب بالملائكة أو بالكتب المنزل من عند الله كالقرآن ولو بحرف منه، ومنه التكذيب بالقدر أو بأمر من أمور الآخرة كعذاب القبر والبعث والميزان والصراف وغيرها.

الشرك الأصغر: ومنه الرياء كمن يحسن العبادة ليراه الناس وقول ما شاء الله شاء فلان، ومنه الحلف بغير الله كحلف بالنبي والكعبة والأمانة وغيرها لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان حالفا فليحلف بالله» ومن ذلك ما جاء في الشرع تسميته شركا أو كفرا كقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤] سورة المائدة،

آية ٤٤ . وقوله صلى الله عليه وسلم «الطيرة شرك» رواه أحمد وغيره، وقوله صلى الله عليه وسلم «ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» متفق عليه. وكقوله عليه الصلاة والسلام، «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» متفق عليه، وكقوله «اثنان بالناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت» . رواه مسلم وكقوله عن ربه جل وعلا قال: «ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» متفق عليه.

ومن ذلك عدم تكفير الكافرين أو الكذب على الله ورسوله والأمن من مكر الله والقنوط واليأس من رحمة الله، ومن ذلك: تعليق الأوتار والتمايم والحروز والشركيات.

٢ - الكبائر في النفس والعقل فمنها:

قتل النفس بغير الحق وظلم الناس والاعتداء عليهم والاستطالة في أعراضهم كالغيبة والنميمة، من ذلك: رد الحق والسخرية من المسلم ولززه وهمزه وسبه ، ومن ذلك: الكبر والعجب والتجسس والوشاية عند الحاكم للإيذاء، ومن ذلك: الكذب في القول، والتماثيل والتصاوير لذوات الأرواح بلا ضرورة.

ومن ذلك: شرب المسكرات والمخدرات والخمور وتناول الحشيش وأكل لحم الخنزير وأكل الميتة بلا ضرورة والأشربة الضارة كلها لما فيها من إهلاك للنفس.

٣ - الكبائر في المال: أكل مال اليتيم والقمار واليانصيب

والسرقة، وقطع الطريق، وأخذ المال غصبا، والرشوة ونقص الكيل والميزان، واليمين الغموس (الحلف بالله كذبا لأخذ المال) ، والخديعة في البيع والشراء، وعدم الوفاء بالعهد، وشهادة الزور، والغش والتبذير والإضرار بالوصية (كأن يوصي بدين ليس عليه ليمنع الورثة من حقهم) ، وكنمان الشهادة، وعدم الرضا بما قسمه الله، ولبس الذهب للرجال، وإطالة الثوب أو البنطال تحت الكعبين تكبرا.

٤ - الكبائر في العبادات: ترك الصلاة، أو تأخيرها عن وقتها بلا عذر، ومنع الزكاة، والإفطار في رمضان بلا عذر، وترك الحج مع القدرة عليه، والفرار من الجهاد في سبيل الله، وترك الجهاد بالنفس أو المال أو اللسان على من وجب عليه، وترك صلاة الجمعة أو الجماعة من غير عذر، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستطيع، وعدم التتره من البول (عدم التطهر من البول بالورق أو الحجر أو الماء) وعدم العمل بالعلم.

٥ - الكبائر في الأسرة والنسب: الزنا، واللواط (إتيان الذكور) ، وقذف المحصنات المؤمنات (الطعن في أعراضهن) ، وتبرج المرأة وإظهار شعرها، وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء ، وعقوق الوالدين (عدم إطاعتها في غير معصية) ، وهجر الأرحام من غير سبب مشروع، وعصيان المرأة زوجها في الفراش بلا عذر كالحيض والنفاس، وما يعمله المحلل والحلل له من حيل (المحلل: هو الذي ينكح زوجة مطلقة ليردها لزوجها الأول وهو المحلل له) وإنكار المرأة إحسان زوجها والانتساب إلى غير الأب مع العلم به، والراضي لأهله بالزنا، وأذى الجار، ونتف الشعر من الوجه أو الحاجب للمرأة أو الرجل.

٦ - التوبة من الكبائر: أخي المسلم إذا وقعت في كبيرة فاتركها حالا، وتب واستغفر الله، ولا تعد لقوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} - وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٧ - ١٨] .

هذا وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الجهاد في سبيل الله :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد :

الجهاد في سبيل الله الجهاد واجب على كل مسلم، ويكون بالمال، وهو الإنفاق، ويكون بالنفس وهو القتال، ويكون باللسان والقلم وهو الدعوة إليه، والدفاع عنه، والجهاد على أنواع:

١ - فرض عين: وهو ضد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين، كاليهود الآن الذين احتلوا فلسطين، فالمسلمون المستطيعون آثمون حتى يخرجوا اليهود منها بالمال والنفس.

٢ - فرض كفاية: إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي، وهو الجهاد في سبيل نقل الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد، حتى يحكمها الإسلام، فمن استسلم من أهلها فيها، ومن وقف في طريقها قوتل حتى تكون كلمة الله هي العليا، فهذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة فضلا عن الأول.

وحين ترك المسلمون الجهاد وغرهم الدنيا والزراعة والتجارة أصابهم الذل، وصدق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة أخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلا، لا يترعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» صحيح رواه أحمد .

٣ - جهاد حكام المسلمين: ويكون بتقديم النصيحة لهم ولأعوانهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة . قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: " لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» و لقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق ضد سلطان جائر» ، وبيان طريق الخلاص من ظلم الحكام الذين هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا هو أن يتوب المسلمون إلى ربهم، ويصححوا عقيدتهم، ويربوا أنفسهم وأهلهم على الإسلام الصحيح، تحقيقا لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١] سورة الرعد " آية ١١ .

وإلى ذلك أشار أحد الدعاة المعاصرين بقوله: " أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم لكم على أرضكم . " وكذلك فلا بد من إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها، ألا وهو

المجتمع، قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥] .

٤ - جهاد الكفار والشيوعيين والمحاربيين من أهل الكتاب: ويكون بالمال والنفس واللسان حسب الاستطاعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم» .

٥ - جهاد الفساق وأهل المعاصي: ويكون باليد، واللسان، والقلب، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» .

٦ - جهاد الشيطان: ويكون بمخالفته وعدم اتباع وساوسه .
قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: ٦] .

٧ - جهاد النفس: ويكون بمخالفتها، وحملها على طاعة الله، واجتناب معاصيه .
قال تعالى على لسان امرأة العزيز التي اعترفت بمراودتها ليوסף: {وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: ٥٣] .

اللهم وفقنا لأن نكون من المجاهدين العاملين المخلصين .
الجهاد في سبيل الله أفضل تطوع البدن، وعده بعض العلماء ركناً سادساً لدين الإسلام، وهو ذروة سنام الإسلام، وموجب الهداية، وحقيقة الإخلاص، والزهد في الدنيا، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعة في الدنيا، فهم الأعلون في الآخرة، وكان كثير من الناس يتلهفون على الجهاد الذي أغلقت أبوابه من زمن بعيد، من عهد أن كان الرجل يخرج بنفسه وبماله آملاً أن ينفق كل ماله في سبيل الله، وأن يحظى بالشهادة في سبيل الله، فإذا

رجع سالماً إلى أهله، رجع حزينا على ما فاته من مقام الشهادة التي كان يحرص عليها كل الحرص، ولقد كان المسلمون في أول هذه الأمة أقلية بين الأمم، وكانوا مع ذلك فقراء من المال، ولكن كانوا أغنياء، بما وهبهم الله من البطولة، غنى لم يرو لنا التاريخ نظيره بين ذوي البطولات، يعتمدون في تلك البطولة على معونة مولا لهم في كل حال من الأحوال.

ولقد كانت أحوالهم وأعمالهم تبيض الوجوه وتملأ القلوب سرورا وفرحا، كانوا إذا نزلوا الأعداء رجعوا ظافرين منتصرين، لا يرى عليهم أثر كآبة، اللهم إلا كآبة الحزن، على أن أحدهم لم يفز بمقام الشهادة التي كانت عندهم منتهى الآمال، لذلك دوخوا الدنيا، وكانوا عند الكل سادة الأعزاء، كانوا لا يطمع فيهم طامع، مع أنهم أقلية، وكانوا إذا نسبوا لغيرهم فقراء، ولكنهم أغنياء بالتوكل على من بيده القلوب، ويده كل شيء لا إله إلا هو جل وعلا وتقدس.

ولقد كان معهم صفوة الخلق، وعن إرشاداته يصدرن ما يصدرن من أعمال، وهو كان لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، كما أخبر الله جل وعلا بذلك، أما نحن فعدنا بمنآت الألف وقل ما تريد في غنانا فالواحد منا يملك الملايين، ومن العقارات الشيء الكثير، ولكننا مع ذلك غثاء كغثاء السيل، نحب هذه الحياة، حبا ملك مشاعرنا كلها اللحم والعظم والعروق وكل شيء ونكره الموت كراهة شديدة والسبب في ذلك أن حب الدنيا، والتعلق بها هو الذي أنسانا، وأهاننا عن تذكرو الجهاد، والحث عليه وتمنيه، وبذل النفس فيما يقرب إليه، نسأل الله أن يوقظ قلوبنا، ويوقظنا لسلوك سبيل سلفنا. لنقيم علم الجهاد، ويجعلنا من أنصار دينه، وحزبه المفلحين وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل) وقد ورد في فضل الجهاد، والحث عليه، وبيان عظيم ثوابه، آيات وأحاديث كثيرة، نذكر طرفا منها إن شاء الله تعالى.

فمن الآيات قوله تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} ففي هذه الآية الكريمة ترغيب في الجهاد على أبلغ وجه، وأحسن صورة. قال ابن القيم رحمه الله على هذه الآية: فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين وأموالهم، إذا بذلوا فيها استحقوا الثمن، وعقد معهم هذا العقد، وأكدته بأنواع من التأكيدات.

١- أولا: إخبارهم بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن.

٢- ثانيا: الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي وقع وثبت واستقر.

٣- ثالثا: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه، وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

٤- رابعا: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن، وعدا لا يخلفه ولا يتركه.

٥- خامسا: أنه أتى بصيغة (على) التي للوجوب، إعلاما لعباده بأن ذلك حق عليه، أحقه هو على نفسه.

٦- سادسا: أنه أكد ذلك بكونه حقا عليه.

٧- سابعًا: أنه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنه في أفضل كتبه المنزل من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

٨- ثامنا: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

٩- تاسعا: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد، ويبشروا به بعضهم بعضا، بشارة من قد تم له العقد ولزم، بحيث لا يثبت فيه خيار، ولا يعرض له ما يفسخه.

١٠- عاشرا: أنه أخبرهم إخبارا مؤكدا بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم، والبيع ها هنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن، وهو الجنة، وقوله: {بايعتم به} أي عاوضتم وثامتم به، ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم، وهم التائبون إلخ.

وكما قال الشاعر :

إذا قل دين قل بهاءه ... وضافت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري وإن كان حازما ... أقدامه خير له أم وراؤه
فإن كان ذا دين علاه بهاءه ... وأصبح مسرورا به أصدقاؤه

ويقول سيد قطب رحمه الله على الآية المتقدمة قريبا: هذا النص النص الذي تلوته من قبل وسمعتة ألف مرة أو تزيد في أثناء حفظي للقرآن، وفي أثناء تلاوته بعد ذلك ودراسته، في أكثر من ربع قرن، هذا النص أشهد أنني أدرك منه اللحظة ما لم أدركه في ألف مرة أو تزيد، إنه نص رهيب، يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين الصادقين بالله، وعن حقيقة البيعة التي في أعناقهم طول الحياة، فمن بايع البيعة، ووفى بها فهو المؤمن الحق، الذي ينطبق عليه معنى المؤمن وحقيقته، وإلا فهي دعوى تحتاج إلى التصديق والتحقيق.

حقيقة هذه البيعة - أو هذه المبايعة كما سماها الله كرما منه وفضلا - أن الله سبحانه قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم، فلم يعد لهم منها شيء، لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية، لا ينفقوها في سبيل الله، لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا، كلا إنها بيعة كاملة، فالثمن الجنة والطريق الجهاد، والنهاية هي النصر أو الاستشهاد، ومن رحمته أن جعل للصفقة ثمنا، وإلا فهو مالك الأنفس والأموال ولكنه كرم هذا الإنسان، فجعله مريدا، وكرمه فجعل له أن يعقد العقود ويمضيها حتى مع الله وكرمه فقيده بعقوده وعهوده، وجعل وفاءه بها مقياس آدميته الكريمة، كما جعله مناط الحساب والجزاء.

وإنما لبيعة رهيبة بلا شك، ولكنها في عنق كل مؤمن، لا تسقط عنه إلا بسقوط إيمانه والعياذ بالله، يا الله عونك، فإن العقد رهيب، وهؤلاء القاعدون بالملايين، في مشارق الأرض ومغارها يدعون أنهم مؤمنون بك، وهم قاعدون، لا يقاثلون لإعلاء كلمتك، ولا

يقتلون ولا يقتلون، ولا يجاهدون جهادا ما دون القتال والقتل، يسدون به ثغرة ويساهمون به في الدفاع عن دينك الذي أردت له النصر والاستعلاء، قال:

ولقد كانت هذه الكلمات تدخل إلى قلوب مستمعيها الأولين، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ففتحول من فورها إلى واقع من واقع حياتهم، ولم تكن مجرد معان يتملوها بأذهانهم، ويجسونها مجردة في مشاعرهم، كانوا يتلقونها للعمل المباشر بها، لتحويلها إلى حركة منظورة، لا إلى صورة متأملة، هكذا أدركها عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في بيعة العقبة.

قال محمد بن كعب القرظي: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ليلة العقبة - اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم». قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع، لا نقييل ولا نستقيل فترلت: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} .

اللهم يا عالم الخفيات ويا سامع الأصوات ويا باعث الأموات ويا مجيب الدعوات ويا قاضي الحاجات يا خالق الأرض والسموات أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، الوهاب الذي لا يبخل والحليم الذي لا يعجل، لا راد لأمرك ولا معقب لحكمك، نسألك أن تغفر ذنوبنا وتنور قلوبنا وتثبت محبتك في قلوبنا وتسكننا دار كرامتك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكما قال الشاعر :

تألف برق الحق في العارض النجدي

فعم جميع الكون في الغور والنجد

به زعزعت أركان كسرى وقيصر

ولم يجد ما حازا من المال والجنند

وأمثالها في السالكين طريقهم
أرنا كما قد قاله صادق الوعد
فله حمد يرتضيه لنفسه
على نعم زادت عن الحصر والعد
فأعظمهما بعث الرسول محمد
أمين إله الحق واسطة العقد
دعانا إلى الإسلام دين إلهنا
وتوحيده بالقول والفعل والقصد
هدانا به بعد الضلالة والعمى
وأنقذنا بعد الغواية بالرشد
حبانا وأعطانا الذي فوق وهمنا
وأمكننا من كل طاغ ومعتد
وأيدنا بالنصر واتسعت لنا
ممالك لا تدعوا سوى الواحد الفرد
فنسأله إتمام نعمته بأن
يثبتنا عند المصادر كالورد
فيا فوز عبد قام لله جاهدا
على قدم التجريد يهدي ويستهدي
وجرد في نصر الشريعة صارما
بعزم يرى أمضى من الصارم الهندي
وتابع هدي المصطفى الطهر مخلصا
لخالقه فيما يسر وما يبدي

ويا حسرة المحروم رحمة ربه
 بإعراضه عن دين ذي الجود والمجد
 لقد فاته الخير الكثير وما درى
 وقد خاب واختار النحوس على السعد
 ومن بعد حمد الله أذكى صلاته
 وتسليمه الأوفى الكثير بلا حد
 على المصطفى خير الأنام وآله
 وأصحابه أهل السوابق والزهد
 اللهم ثبت إيماننا بك وبملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر والقدر خيره وشره،
 واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك.
 اللهم نور قلوبنا وشرح صدورنا واستر عيوبنا وأمن خوفنا واختم بالصالحات أعمالنا
 واجعلنا من عبادك الصالحين وحزبك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،
 وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .
 ومن الآيات التي وردت في الحث على الجهاد، والترغيب فيه، وملازمة الصبر عليه، قوله
 تعالى: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون} وقوله تعالى:
 {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} * فرحين بما آتاهم
 الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون
 * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين} .
 وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم} *
 تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم
 تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في
 جنات عدن ذلك الفوز العظيم} .

وقال تعالى: {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وحنان لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم} .

وقال تعالى: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما} .

وقال تعالى: {انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} .
وكما قال الشاعر :

أطيب الطيبات فعل الفرائض ... والجهاد في سبيل الله لقتل الأعداي

وقال تعالى: {لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم} .

وأما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد، والحث عليه بالنفس والمال، فأليك منها طرفا فتأمله واسأل الله أن يقيم علم الجهاد في سبيله، وأن يرزقنا وإياك الشهادة، وأن يلحقنا بالسلف الصالح، ويجمعنا وإياهم في مستقر رحمته إنه جواد كريم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا نبي الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله». متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها». وقال أحد الشعراء:

ولم أرى في عيوب الناس عيبا ... كنعص القادرين على الجهاد
جهاد النفس مع قتل الأعداء ... لدين الله فافهم من مراد

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أي الناس أفضل؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله». قال ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله، ويدع الناس من شره». متفق عليه. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها». متفق عليه.

وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان».

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل ميت يجتم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن فتنة القبر». وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل».

من أسباب النصر

من أسباب النصر أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جيشا بقيادة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - لفتح بلاد فارس وكتب إليه عهدا هذا نصه:
١ - تقوى الله:

أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب.
٢ - ترك المعاصي:

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم علينا الفضل في القوة، وإن لم نصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شرّ منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فربّ قوم سلط عليهم من هو شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل كفار الجوس - لما عملوا بالمعاصي (وكما سلطت اليهود على العرب المسلمين الآن) .
٣ - الاستعانة بالله:

وسلوا الله النصر على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم .
وأعجبني قول شاعرا حينما قال :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجي للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفرع
يا من خزائن رزقه في قول كن ... أمنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقري ادفع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأبي باب أفرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تُقنطُ عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله ... (من جاء بالقرآن نورا يسطع) صلى الله عليه وسلم.

الدعاء :

الحمد لله الرب الغفور، العفو الرؤوف الشكور، الذي وفق من شاء من عباده لتحصيل
المكاسب والأجور، وجعل شغلهم بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، يرجون تجارة لن تبور،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي بيده تصاريف الأمور، وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله، أفضل أمر وأجل مأمور، اللهم صل وسلم وبارك على محمد، وعلى آله
وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور

الدعاء: هو سؤال الله القريب المحيب والاستعانة به والتضرع إليه والالتجاء إليه في
كشف الضر عند الشدائد، قال الله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } . [غافر:
٦٠] . وقال تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [الأعراف: ٥٥] .
وقال تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } الآية [البقرة:
١٨٦] وقال تعالى: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } الآية [النمل: ٦٢] .

وعن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الدُّعَاءُ هُوَ
الْعِبَادَةُ". رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَجِبُ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدْعُ مَا
سِوَى ذَلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي

هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر " رواه مسلم.

آداب الدعاء :

١ - التوحيد: شرطُ الدَّاعي أن يكونَ عالماً بأنَّه لا قادرَ على حاجته إلَّا اللهُ، وأنَّ الأمرَ بيده، وأن يكونَ موحدًا لله في ربوبيته وأسمائه وصفاته؛ قال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}. [النمل: ٦٢]، وأن لا يدعو إلَّا اللهُ؛ فلا يجوز له أن يسألَ غيرَ اللهِ، أو أن يدعوَ غيره معه؛ قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨].

٢ - الإخلاص في الدعاء: وقال - عزَّ من قائل: {وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف: ٢٩] ، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه: "إن الله لا يقبل من مسمع، ولا مرء، ولا لاعب، ولا داعٍ إلَّا داعياً دعاءً ثبتاً من قلبه".

٣ - إطابة المطعم: وهو من شروط إجابة الدعاء؛ قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبِينَ} [التوبة: ٢٧]، وكما في الحديث الذي رواه مسلم: «إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلَّا طيباً»، ثم ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذِّي بالحرام؛ فَأَتَى يُسْتَجَابُ لذلك».

٤ - حضور القلب عند الدعاء: فلا بدَّ للدَّاعي أن يكون حاضرَ القلب متفهِّماً لما يقول مستشعراً عظيمة من يدعو؛ إذ لا يليق بالعبد الذليل أن يخاطبَ ربَّه ومولاه بكلام لا يعيه هذا الدَّاعي، وبجمل قد اعتاد تكراره دون فهم لفحواها، أو تجري على لسانه هكذا على سبيل العادة والاسترسال؛ قال - صلى الله عليه وسلم - : «واعلموا أنَّ الله لا يستجيب دعاءً من قلب لاه» .

٥ - عدمُ الاعتداء في الدعاء: قال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}. [الأعراف: ٥٥] ، قال بعضُ السلف في معنى المعتدين: (هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحلُّ فيقولون: اللهم احزهم، اللهم العنهم) .

كيفية الدعاء :

١ - التَّناء على الله قبل الدُّعاء والصَّلَاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - : فعن فضالة بن عبيد قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاعد إذ دخل رجل فصلّى فقال: اللهم اغفر لي، وارحمي. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدي فاحمد الله بما هو أهله، وصل علي ثم ادعه». ثمّ صَلَّى رجلٌ آخر بعد ذلك، فحمد الله، وصَلَّى على النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أيها المصلي ادع تحب».

٢ - الإقرارُ بالذنب والاعترافُ بالخطيئة .

٣ - تقديم العمل الصالح قبل الدعاء: قال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح: ٧ - ٨]. أي: إذا فرغت من صلاتك فاجهد نفسك بالدُّعاء وسله حاجتك". وقال عبد الله بن عمر: "إذا أردت أن تدعو فقدمْ صدقة أو صلاة أو خير ثم ادع بما شئت". وهذا من الآداب؛ أن يقدم بين يدي نجواه صدقة .

٤ - الإلحاح والتكرار وعدم الضَّجر والملل: ويحصل الإلحاح بتكرار الدعاء مرتين وثلاثاً وأكثر للحديث؛ حيث ورد ما يدلُّ على تكريره - صلى الله عليه وسلم - للدُّعاء ثلاث مرات؛ فقد رَوَى ابنُ مسعود- رضي الله عنه- أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً، وفي حديث عائشة- رضي الله عنها- في قصة سحره - صلى الله عليه وسلم - : «فدعا ثم دعا ثم دعا» .

٥ - الدعاء في الرخاء والإكثار منه في وقت اليسر والسَّعة ، إنَّ من شأن العبد الصَّالح أن يُلازمَ الدُّعاءَ في حالتي الرِّخاء والشَّدَّة، وأما غير الصَّالح فإنه لا يلتجئ إلى الله تعالى إلَّا في وقت الشَّدَّة ثم ينساه؛ وهذا شأن أكثر النَّاسِ إلَّا من عصمه الله ، قال جل جلاله: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} [فصلت: ٥١].

٦ - استقبال القبلة: وذلك لأنَّ القبلةَ هي الجهة الفاضلة التي ينبغي أن يُتَّجَهَ إليها في العبادات، وهي أيضاً قبلةً للدُّعاء كما أنَّها قبلةٌ للصَّلوات، وقد وَرَدَ في ذلك عدَّةُ أحاديث؛ من ذلك حديث ابن مسعود- رضي الله عنه- في إلقاء قريش الأذى على ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي؛ وفيه: «استقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - الكعبة فدعا على نفر من قريش»، وحديث عبد الله بن زيد- رضي الله عنه- في الاستسقاء؛ قال: «إن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج إلى المصلَّى يصلي، وإنَّه لما دعا أو أراد أن يدعو استقبال القبلة وحول رداءه» .

٧ - الطهارة والسواك و رفع اليدين: قال أبو موسى الأشعريّ- رضي الله عنه: (دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم رفع يديه، ورأيت بياضَ إبطيه) .

إستجابة الدعاء :

فإمَّا أن يُعطَى السَّائِلُ عَيْنَ ما سأل، وإمَّا أن يعوّضَه بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً؛ بأن يرفع عنه من السُّوء مثلاً، أو يدخِرَ له في الآخرة خيراً ممَّا سأل؛ لحديث أبي سعيد الخدريّ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن يعجل له دعوته وإما أن يؤخرها له في الآخرة، وإما أن يكف عنه من الشر مثلها». قالوا: إذا نُكُثِر. قال: «الله أكثر» (حديث حسن صحيح) .

أوقات وأماكن وأوضاع يُستجاب فيها الدُّعاء :

١ - الدُّعاء في جوف اللَّيْلِ ووقت السَّحَر: قال- تعالى- في وصف عباده المؤمنين: {وَبِاللَّسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذَّارِيَات: ١٨].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يَتَزَلُّ رُبُّنَا - تبارك وتعالى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (أخرجه البخاري) .

- ٢ - دُبِّر الصَّلوات المكتوبات: عن أبي أمامة الباهليّ - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله، أيُّ الدُّعاء أسمع؟ قال: «جوفُ اللَّيل الآخر، ودُبِّر الصَّلوات المكتوبات».
- ٣ - بين الأذان والإقامة: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الدُّعاء لا يُرَدُّ بين الأذان والإقامة فادعوا» .
- ٤ - عند النَّداء للصَّلوات المكتوبة: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ثنتان لا تردّان - أو قلّما تُردّان - الدُّعاء عند النَّداء ... الحديث» .
- ٥ - عند نزول الغيث: فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اثنتان ما تردّان: الدُّعاء عند النداء، وتحت المطر».
- ٦ - ساعة من الليل: قال - عليه الصَّلوة والسَّلَام: «إنَّ في اللَّيل ساعة لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً من أمر الدُّنيا والآخرة إلّا أعطاه إيّاه؛ وذلك كلَّ ليلة» .
- ٧ - السَّاعة التي في يوم الجمعة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ قائمٌ يصليّ يسأل الله - تعالى - شيئاً إلّا أعطاه إيّاه» . وأشار بيده يقلِّلها . وأرجحُ الأقوال أنَّها بعدَ العصر .
- ٨ - عند شرب ماء زمزم: عن جابر - رضي الله عنه - عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «ماءُ زمزم لما شُرِبَ له» .
- ٩ - في السُّجود: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فأكثرُوا الدُّعاء» .
- ١٠ - الدُّعاء يوم عرفة: قال - عليه الصَّلوة والسَّلَام: «خيرُ الدُّعاء دعاءُ يوم عرفة» .
- ١١ - في حال دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب: عن أبي الدَّرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلّا قال الملك: ولك بمثل» .

١٢ - دعاء المضطر: فالله- تبارك وتعالى- يُجيب المضطرَّ إذا دعاه؛ قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

١٣ - دعاء المظلوم: كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ- رضي الله عنه- عندما بعَّته إلى اليمن: «وأتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» .

١٤ - دعاء المسافر: لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده».

١٥ - دعاء الوالد لولده: قال - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاث دعوات لا تُردّ. وذكرَ منها: دعوة الوالد لولده» .

مما ينهى عنه في الدعاء :

١ - تحجُّرُ الدُّعاء: ومن ذلك قولُ الأعرابيِّ: (اللهمَّ ارحمني ومحمّداً ولا ترحم معنا أحداً).

فلمَّا سلّم النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم - قال للأعرابيِّ: «لقد حجّرتَ واسعاً» يريد رحمة الله .
٢. - تعليقُ الدُّعاء بالمشيئة؛ فعن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يُقلُّ أحدُكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة؛ فإنَّ الله لا مكروهَ له»، ولمسلم: «وليعظم الرّغبة، فإنَّ الله لا يتعاضمه شيء أعطاه».

فقولُ القائل: (اللهمَّ اغفر لي إن شئت) كأنه يقول: لست محتاجاً إليك؛ إن شئت فاغفر لي، وإن لم تشأ فلست بمحتاج. وهذا فعلُ أهل التّكبير وأهل الإعراض عن الله؛ ولهذا حرّم هذا اللفظ.

٣ - الدُّعاء على الأهل والمال والولد والنَّفْس؛ لأنه ضررٌ محضٌ وليس فيه مصلحة، وقد نهَى عنه الشّارع الحكيم؛ قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم» .

٤ - تَمَنَّى الموت: عن أنس بن مالك- رضي الله عنه، قال النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الموتَ من ضُرِّ أَصَابِهِ؛ فَإِن كَانَ لَابَدًا فَاعِلًا فليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي» .

٥- السَّجْعُ المتكَلِّفُ في الدُّعَاءِ؛ خصوصاً في القنوت والبحث عن غرائب الأدعية والكلمات.

٦- دعاء الحسن في التَّهْنِئَةِ بالمولود: (شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ أشدَّه ورزقت برّه) (قال عنه أحمد: منكر الحديث) وإسناده ضعيف . فالحديث لا يصحُّ عن الحسن البصري؛ إذاً فليس من السُّنَّة التَّزَامُ هذا الدُّعَاءِ.

٧- رفع الصوت والصياح .

٨- الدعاء في أماكن لا يجوز فيها كالكنيسة ، إن الكنائس هي بقاع يكرهها الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وهي بيوت لشياطين الإنس والجن لما يقع فيها من الكفر بالله ورسوله والشرح بل وتنطلق منها المؤامرات والدسائس لمحادة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - . ولما فيها من التصاوير والتماثيل فكيف يستقيم دعاء المؤمن لربه والحالة هذه.

٩- رفع البصر إلى السماء في الصلاة أثناء الدعاء لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم» .

١٠- دعاء الإمام أو المؤذن وتأمين الجماعة بعد الصلاة: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى بدعة هذا العمل. لأن هذا العمل لم يكن من فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - فضلاً على أن يداوم عليه كما يفعله البعض اليوم. ربنا آتِ أنفسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها؛ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. ربنا اغفر وارحم، وتجاوز عما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، وأنت أعلم وغيرك لا يعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

خاتمة :

ثم اني أختتم هذا الكتاب المبارك بآيات الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، بأني أستغفر الله وأسأله التجاوز عني والمسامحة في كل ما أخطأت فيه من هذا الكتاب وغيره فاني محل الخطأ والغلط والجهل وأهله وهو سبحانه وتعالى أهل المغفرة والسعة والمسامحة والغنى الأعظم والكريم الأكرم عن مضايقة المساكين والجاهلين اذ كان تعالى عز وجل غنيا عن عرفان العارفين غير متضرر بجهل الجاهلين ،فسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، وآخركلامي كاف له أن الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحبه الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الفهرس :

رقم الصفحة	الموضوع	الرقم
٢	مقدمة	١
٤	الإسلام دين الكمال والشمول	٢
٧	عقيدة المسلم	٣
١٣	علامات الساعة الكبرى و الصغرى	٤
٢٢	أسماء الله الحسنى	٥
٢٨	فقه القلب	٦
٤٦	الموت	٧
٥٤	مايفعل بالمختضر والميت	٨
٦٠	وصف الجنة	٩
٦٦	وصف النار	١٠
٨٠	الشفاعة	١١
٨٣	فضل تعلم العلم وتعليمه	١٢
٨٨	فضل تعلم القرآن وتعليمه ومكانة أهله	١٣
٩٢	فضل تعلم القرآن وتعليمه	١٤
٩٩	ذم من هجر القرآن	١٥
١٠٩	أهمية علم الحديث	١٦
١١٠	الغربة في طلب العلم	١٧
١١٣	خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٨
١٢٣	الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها	١٩
١٢٨	تركيب النفس	٢١
١٣٨	حسن الخلق	٢٢

١٤١	الأمانة	٢٣
١٤٥	التواضع	٢٤
١٤٩	التوبة	٢٥
١٥٧	الذكر	٢٦
١٧٢	الشكر	٢٧
١٧٧	الصبر	٢٨
١٨٦	التكسب وطلب الرزق	٢٩
١٩٠	الصدقة وفضلها	٣٠
٢٠١	بر الوالدين	٣١
٢١١	حق المسلم على المسلم	٣٢
٢٢٦	حق الطريق	٣٣
١١٩	صلة الرحم	٣٤
٢٣٣	المرأة في الإسلام	٣٥
٢٣٩	خصال الفطرة	٣٧
٢٤٣	حد عورة المرأة والرجل وأحكامها	٣٨
٢٤٦	حفظ اللسان	٣٩
٢٥١	الأخوة في الله، والصحبة والمحبة للإخوان فيه	٤٠
٢٦٥	الدعوة إلى الله	٤١
٢٧٠	اجتنبوا الكبائر	٤٢
٢٧٣	الجهاد في سبيل الله	٤٣
٢٨٥	الدعاء	٤٤
٢٩٢	خاتمة	٤٥

رقم الإيداع (2018/553)